إميلي بشارات

مجلة نسوية فكرية عربية
تصدر عن اتحاد المرأة الأردنية

العدد الخامس عشر/شتاء 2018

الإفتتاحية
زهير أبو شايب 4

الحركة النسائية الأردنية
بين السياسي والنسوي المطلبي (1954 - 1974)
د.سهير سلطي التل 11

أدب المرأة في الأردن .. الخروج من كهف الرجل
نزيه أبو نضال 28

أوراق من زمن الثورة:
تقلبها : خديجة حباشنة 44

ناشطات أردنيات في الميدان العام:
(السيدة سلوى زيّادين؛ بثينة جردانة؛ أسمى خضر)
د. سلوى العمد 58

صورة المرأة الأردنية في الموروث الشعبي
إرادة التحرر والارتقاء
هدى أبو غنيمة 80

شهادة إملي نفاع حول تجربتها الحزبية
إعداد: قسم التوثيق في اتحاد المرأة الأردنية 87

لمعة بسيسو
حياة مليئة بالنضال والعطاء 93

عناوين المجلة:
الروزنة
اتحاد المرأة الأردنية
ش صفد، خلف مدرسة سكينة، جبل الحسين
ص.ب: 961188، عمان 11196
المملكة الأردنية الهاشمية
هاتف: 009626 5689522
009626 5687037
009626 5687238
فاكس: 009626 5687061
الشؤون المالية: 009626 5674285

البريد الإلكتروني:
rozanah__jwu@yahoo.com

الاشتراكات:
يرسل طلب الاشتراك إلى عنوان المجلة مع حوالة مصرفية أو شيك بقيمة الإشتراك باسم مجلة الروزنة.
ص.ب: 2999، الأردن - عمان

داخل الأردن
للأفراد:
عشرة دنانير
للهيئات والمؤسسات:
عشرون ديناراً

خارج الأردن:
للأفراد
خمسة وعشرون دولاراً
للهيئات والمؤسسات:
خمسون دولاراً

ترسل الموضوعات ومواد النشر مصفوفة ومشفوعة بنبذة عن المؤلف

رئيسة التحرير المسؤولة:
آمنة الزعبي / رئيسة اتحاد المرأة الأردنية

هيئة التحرير:
يوسف عبدالعزيز
د. سلوى العمد

رئيس التحرير
زهير أبو شايب

السكرتارية
ميس اشنيور

التصميم والإشراف الفني

الطباعة
مطبعة فراس، الأردن

من كتاب هذا العدد:
سهير التل
هدى أبو غنيمة
نزيه أبو نضال
إيمان عبدالهادي
غادة خليل
سلوى العمد
مريم شريف

جميع المراسلات باسم رئيس التحرير
zuhairabushayeb@gmail.com

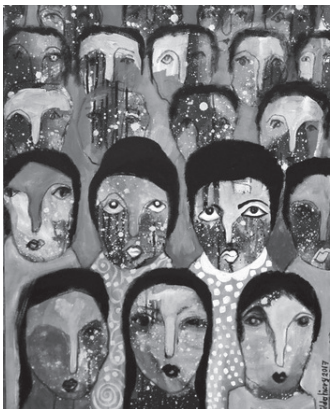

هيلدا حياري / الأردن

المحتويات

بدايات التشكيل
حوارات: طارق مكاوي 105

ندى صبحي أبو غنيمة : ابنة الأردن وشهيدة فلسطين
هدى أبو غنيمة 121

سيدة كانت وستبقى مصدر إلهام لنا جميعاً
عصام عبد الهادي
هلا أبو طالب 123

كتابُ الأغاني
إيمان عبد الهادي 129

قصائد
مريم شريف 133

تعالَ لآخذَ حقي منك
غادة خليل 136

بداية
ماجدة العتوم 141

حجر نرد
منال حمدي 145

المكتبة 147

الأردنيّات: نقاط الضوء

لا أحد ينكر أنّ ما حقّقته المرأة الأردنيّة، منذ نشوء الدولة، كبيرٌ بالمقارنة مع ما حقّقته شقيقاتها العربيّات، مع أنّ الواقع الاجتماعيّ والثقافيّ كان يبدو شديد الانغلاق والصلابة والذكوريّة. لكنّ ما يجري الحديث عنه بوصفه إنجازاتٍ لن يكون ذا قيمةٍ جوهريّة ما لم يتحوّل إلى (ثقافة) متجذّرةٍ في الوعي الجمعيّ، ومحروسةٍ بمنظوماتٍ قيميّةٍ وقانونيّةٍ ومؤسّسيّة راسخة.

لقد كان مهمًّا وضروريًّا بالتأكيد أن يحدث هدم تلك الجدران الّتي ظلّت تحاصر وجود المرأة المادّيّ والروحيّ والعقليّ في الأردنّ وفي غيره من بلاد العرب، حتّى وإن تمّ الهدم (بغير أيدي النساء)، وعلى نحوٍ مرتجلٍ غالبًا وسطحيّ. لقد حدث الهدم في سياق عمليّة الانتقال القسريّ والسريع والمشوّه وغير العضويّ من الحقبة الكولونياليّة ومرحلة ما قبل الدولة إلى مرحلة الدولة القطريّة والمجتمع القطريّ، ولذا فإنّنا نحتاج إلى القيام بمراجعات شاملة لتاريخ تلك الإنجازات من أجل حمايتها أوّلاً من النكوصات الّتي رافقت ظاهرة (الغلوّ الدينيّ)، ومن أجل عقلنتها ثانيًا، وتحويلها إلى جزء من ثقافة المجتمع يصعب التنازل عنه.

إنّ ما تحتاج إليه المرأة ليس تفضّل المجتمع الذكوريّ عليها ببعض التعليم، وبعض الحريّة، وبعض المقاعد النيابيّة في البرلمان، وبعض الوظائف العليا في الدولة، وغير ذلك من الأعطيات الّتي ليس من شأنها سوى أن تحسّن صورة المجتمع الذكوريّ في نظر نفسه وفي نظر المرأة لا أكثر. إنّ أهمّ ما تحتاج إليه المرأة – وما نحتاج إليه جميعًا في الحقيقة – هو التخلّص من مناطق العتمة في ثقافتنا الذكوريّة، وتحريرها من كلّ النزوعات الاستعلائيّة والتسلّطيّة والإقصائيّة الّتي ظلّت تنفي المرأة من متن الحياة إلى هوامشها القصوى.

الملفت للنظر أنّ الحركة النسائيّة الأردنيّة والحركة النسائيّة الفلسطينيّة نشأتا ملتصقتين مثل توأم سياميّ، حتّى لم يعد من السهل الفصل بينهما، ولذا فإنّ إملي بشارات، ولمعة بسيسو، وإميلي نفّاع، وسلوى زيّادين، وعصام عبد الهادي، وخديجة حباشنة، وتريز حداد، وعبلة أبو علبة، وآمنة الزعبي، وسلوى العمد، وسهير التلّ، ونادية شمروخ، وتريز الريان، وغيرهنّ من رموز الحركة النسائيّة الأردنيّة لم يفصلن بين ما هو نسويّ وما هو سياسيّ، ولم تكن نضالاتهنّ الجندريّة إلاّ امتدادًا لنضالاتهنّ الوطنيّة؛ ولم يكن الأردنّ وفلسطين في وعيهنّ جميعًا سوى جسدٍ واحدٍ تسري فيه الدماء ذاتها والوجدان ذاته والأسئلة ذاتها. ولعلّ هذا هو أهمّ ما يميّز النسويّة الأردنيّة الّتي لم تنغلق داخل السؤال النسويّ، ولا داخل الإطار القطريّ، ولا داخل البعد المطلبيّ.

زهير أبو شايب

لقد استطاعت المرأة الأردنيّة، بجدارةٍ، أن تصل إلى كلّ ما يصل إليه الرجل. لكنّ الفجوة الجندريّة ما زالت كبيرة في معظم قطاعات الحياة والعمل، باستثناء قطاع التعليم الّذي بلغت نسبة الإناث فيه بالقياس إلى الذكور 115/ 100، بينما تراجعت نسبة مشاركة المرأة في القوى العاملة في الأردنّ من 16% سنة 2010 إلى 6.12% سنة 2014، فيما هبطت إلى 3.10%سنة 2016، وهذه من أقلّ النسب عالميًّا. الغريب في الأمر أن تزداد المرأة تعليمًا وتأهيلاً فيما هي تزداد تعطيلاً؛ وأن يتقبّل المجتمع مسألة (تأهيل) المرأة فيما هو يرفض مسألة (تفعيل) المرأة، وينكص سنة بعد سنةٍ عمّا كان قد أتاحه للمرأة من مساحاتٍ في مراحل نهوضه. والحقيقة أنّ الهبوط الاقتصاديّ، وتفاقم الثقافة الاستهلاكيّة، وتراجع دور الدولة القطريّة في التنمية، وما رافق كلّ ذلك من خلخلة في القيم والبنى الاجتماعيّة، قد ساهم في إحداث ذلك التراجع. لكنّه ما كان ليحدث لو أنّ الدولة لعبت دورًا أكبر في (تفعيل) المرأة، وخلق المناخ الثقافيّ لجعل (التفعيل) ضرورةً وجوديّةً لا مجرّد زركشةٍ باهتةٍ على سطح المجتمع سرعانَ ما تمحوها حركة الزمن.

إنّ تعليم المرأة، إذن، قد لا يكون أكثر من سرابٍ يحسبه الظمآن ماءً، لأنّ معظم المتعلّمات ينتهين إلى عاطلاتٍ عن العمل بانتظار أن يصبحن (ربّات بيوت) أفسدهنّ التعليم. ومثلما أنّ (العلم) و(العمل) مرتبطان افتراضيًّا في اللغة، فإنّهما مرتبطان واقعيًّا في الحياة، ولا يؤدّي الفكاك بينهما إلاّ إلى خراب. ولذا فإنّ (تعطيل) المرأة لا يعود بالضرر على المرأة وحدها، بل يشلّ كامل الكيان الاجتماعيّ الّذي يتحرّك بأقلّ من نصف جسد.

لقد اشتغلت الحركة النسائيّة الأردنيّة- شأنها في ذلك شأن سائر الحركات النسائيّة العربيّة- على القضايا المطلبيّة أكثر من اشتغالها على الوعي، ولذا فإنّ نضالاتها في مواجهة الدولة كانت أكثر من نضالاتها في مواجهة المجتمع، ولم تحفر عميقًا في الثقافة العامّة الّتي ظلّت غالبًا على ما هي عليه. لكنّ اتّحاد المرأة الأردنيّة، الّذي أعتبره أحد أهمّ النقاط المضيئة في الأردنّ، أحدث انتقالةً نوعيّةً مهمّةً حين التفت إلى ضرورة الاشتغال على الوعي من خلال إصدار مجلّة فكريّة تعنى بالنقد النسويّ. ذلك لأنّ ما تحتاج إليه المرأة في مجتمعاتنا لا يتحقّق بالصراع والمغالبة العنيفة كما تتوهّم بعض النسويّات، بل بالعقلنة والحوار النقديّ الّذي يؤسّس لمجتمع معافىً لا تُنتقص فيه المرأة، ولا تُعطّل، بل تستردّ ما منحته لها الميثولوجيا في طفولة البشريّة الأولى حين اعتبرتها إلهةً للخصب، وأمًّا عظيمةً تسبّب الحياة وتوغل في العمران.

تيريز الريان / الأردن

توجان فيصل / الأردن

خديجة حباشنة / الأردن

حكمت هلسا / الأردن

أمل عبدالكريم / الأردن

آمنة الزعبي / الأردن

نادية شمروخ / الأردن

عبلة أبو علبة / الأردن

دعد معاذ / الأردن

عائشة أبو سالم / الأردن

ليلى نفاع / الأردن

هيفاء البشير / الأردن

الملفّ

الحركة النسائية الأردنية
بين السياسي والنسوي المطلبي (1954 - 1974)
د.سهير سلطي التل

أدب المرأة في الأردن ..
الخروج من كهف الرجل
نزيه أبو نضال

أوراق من زمن الثورة:
خديجة حباشنة

ناشطات أردنيات في الميدان العام:
(السيدة سلوى زيّادين؛ بثينة جردانة؛
أسمى خضر)
د. سلوى العمد

صورة المرأة الأردنية في الموروث الشعبي
إرادة التحرر والارتقاء
هدى أبو غنيمة

الملف

الحركة النسائية الأردنية: بين السياسي والنسوي المطلبي (1954 - 1974)

د. سهير سلطي التل ◄

تمهيد

تحاول هذه الكتابة الإجابة على سؤال العلاقة بين السياسي المباشر والنسوي المطلبي من خلال استعراض التفاصيل التاريخية لمسيرة هذه الحركة عبر مراجعة وثائق وأنشطة أبرز المنظمات العاملة في هذه الحقبة التاريخية الممتدة من سنة 1954 م إلى سنة 1974م، في هذه المرحلة تأثرت أوضاع النساء بمتغيرين كبيرين هما :

اولا: سلسلة الأحداث السياسية الخطيرة على الصعيدين المحلي والإقليمي، فعلى الصعيد المحلي: شهدت البلاد نتائج سقوط الجزء الأكبر من فلسطين التاريخية بين براثن الاحتلال الصهيوني عام 1948م، ومن ثم نتائج حرب عام 1968م الكارثية وما تبعها من احتلال كامل الأرض الفلسطينية التاريخية، وأيضا نتائج مرحلة الانفتاح الديمقراطي القصيرة في مطلع الخمسينيات قبيل إلغاء المعاهدة الأردنية البريطانية وحركة تعريب الجيش، والتي لم تدم طويلا لترزح البلاد ولمدة طويلة تحت نير الأحكام العرفية وحالة الطوارئ، أما على الصعيد الإقليمي: فقد شهدت نتائج الثورة الجزائرية والعدوان الثلاثي على مصر مما أشعل روح التضامن العربي لدى شرائح واسعة من الأمة العربية بما فيها النساء في الأردن.

ثانيا: التطور الاجتماعي – الاقتصادي المتسارع الذي أدى إلى قيام النساء بأدوار جديدة وولد لهن حاجات متزايدة أيضا، مما فرض على المنظمات النسائية على تلاوينها مهام

باحثة وقاصة من الأردن

جديدة ومتزايدة.
هـذان المتغيران أثـرا بشكل مباشر على حركة المجتمع ككل، وعلى أنشطة المنظمات النسائية العاملة في هذه المرحلة، مما أوجد ما يمكن تسميته بجدلية السياسي المباشر والنسوي المطلبي في إطار جدلية العلاقة بين العام والخاص في تحرك النساء2،
كبداية نشير إلـى ان الحـركـة النسائية انطلقت من خلال تأسيس أولى تنظيماتها سنة 1944م، كجمعية خيرية تعنى بشؤون الأطفال، باسم (جمعية التضامن النسائي الاجتماعية) لكن مؤسساتها الرائدات وعلـى رأسـهـن الأسـاذه الـراحلـة إميلي بشارات، كن يدركن أهمية العمل بين النساء وتمكينهن، فجاءت جمعية الاتحاد النسائي الأردني، والـتـي لم تعمر طـويـلا، إضافة فعلية على العمل إذ اهتمت بمطالب النساء وحقهن في التعليم، لكن الانطلاقة الكبرى الآولـى كانت بعد وحدة الضفتين وتأسيس اتحاد المرأة العربية، الذي أدركت مؤسساته أهمية المشاركة السياسة وضرورة أن تؤدي النساء دورهـن السياسي الوطني لخدمة قضايا الـوطـن والأمـة، مـع استمرارهن بالعمل المطلبي لتحصيل حقوق النساء في العمل والتعليم والمشاركة السياسية، والعمل الخـيـري لتلبية الحـاجـات الملحة لعديد اللاجئين الذين قدموا إلى الأردن، بعد أن فقدوا مقومات حياتهم المادية نتيجة احتلال فلسطين، وعديد الفقراء المنتشرين في المدن والقرى والبوادي،
هذه الوقائع أدت بنا إلى البحث في طبيعة العلاقة بين السياسي الوطني العام وبين الاجتماعي النسوي الخاص في عمل الحركة النسائية الأردنية، لذلك ارتأينا مراجعة أبرز نماذج العمل النسائي التي تبلورت في مجموعة صيغ تنظيمية منها:

اتحاد المرأة العربية

تعتبر تجربة (اتحاد المرأة العربية)، الذي أسس سنة 1954م، واحدة من التجارب الغنية، التي أحدثت تحولا نوعيا في العمل النسائي، إذ أقدمت نخبة من السيدات على تأسيس اتحاد نسائي باسم «اتحاد المرأة العربية»،واجتمعن بتاريخ 17 حزيران من عام 1954 في قاعة سينما فيلادلفيا برئاسة رائدة العمل النسائي الأستاذة «أميلي بشارات»، في هذا الاجتماع انتخبت المجتمعات (الهيئة التأسيسية) الهيئة الإداريـة الأولـى له3، كما أقـررن نظامه الأسـاسـي(دسـتـور الاتحـاد) وكـان من أهدافه:
«مكافحة الأمية بشتى الوسائل ورفع مستوى المرأة أدبياً واجتماعياً واقتصادياً وإعدادها إعـداداً صحياً لتمارس حقوقها الكاملة «كمواطنة، وتنمية أواصر العدالة والتفاهم بين النساء العربيات ونساء العالم من أجل المساهمة بتحسين أوضاع الوطن في شتى الميادين الحيوية وتوثيق عرى السلام»4.
ومـن تتبع أسماء النساء المؤسسات لهذا الاتحـاد نلاحظ أنهـن من النخبة المثقفة اللواتي انتمين إلى أحزاب يسارية وقومية و/أو قريبات منها، وهـذا ما انعكس على النظام الأساسي للاتحاد فمفاهيم مثل «المواطنة»و«السلام»، وتوثيق عرى الصداقة بين النساء، مفاهيم جديدة تذكر للمرة الأولـى في صياغة وثائق الهيئات النسائية العاملة، مما يشير إلى التأثير القوي لانتماء النسوة إلى المؤسسات السياسية والفكرية، القومية واليسارية بشكل عام، فضلا عن عضوية هـذا الاتحـاد في الاتحـاد النسائي الديمقراطي العالمي، من خلال الخبرات التي أكسبها للمشاركات في انشطته من المنطقة،

بهذه المرجعيات أدار هذا الاتحاد سلسلة طويلة من الأنشطة المطلبية الاجتماعية والسياسية، فعلى الصعيد المحلي وإلى جانب أنشطته في مجال محو الأمية والتوعية الصحية والتوعية والتثقيف بشكل عام، قاد سلسلة حملات للمطالبة بحقوق النساء السياسية والاجتماعية فطالب بتعديل قانون الأحوال الشخصية، بتحديد تعدد الزوجات بتقييده والحد من الطلاق5، كما سعى إلى الحصول على حق النساء بالمساواة الكاملة في فرص التعليم بتوسيع دائرته لتشمل نساء الريف والبادية في المناطق النائية، فضلا عن حقهن بهذه المساواة في فرص التعليم العالي والعمل وحقهن بالوصول إلى الوظائف العليا.

كذلك اعتنى بالحقوق السياسية للنساء6، بما فيها حق الترشح والانتخاب للمجالس النيابية وقد بدأحملاته بسلسلة زيارات لعدد من المسؤولين 7 قدمن فيها مجموعة مذكرات منها ما يخص قانون الانتخاب ومنحهن حق الانتخاب والترشيح، وتعديل قانون البلديات لمنح النساء حق الانتخاب والترشيح للمجالس البلدية8.

وقد استجابت الحكومة لمطلب الاتحاد، فتم تعديل قانون الانتخاب ومنحت النساء المتعلمات تعليما ابتدائيا فقط، 9حق الانتخاب دون الترشيح، فتابع حملته لضمان المساواة الكاملة في ممارسة هذا الحق،10، ومن طرائف هذه الحملة أن الاتحاد رفع إلى مجلس الأمة الأردني مذكرة تطالب بالمساواة في ممارسة هذا الحق، وممهورة بمئات البصمات لنساء لم يحصلن على شهادة التعليم الابتدائي وأميّات، حرمهن التعديل من هذا الحق.

وقد انضمت الهيئات والمنظمات النسائية في الضفة الغربية إلى هذه الحملة فتداعت لاجتماع حضره العديد من منظمات رام الله وبيت لحم ونابلس والخليل وغيرها، وعقد في مقر الاتحاد النسائي العربي في القدس، وانتهى بإرسال برقية إلى رئيس الوزراء تؤكد فيها مطالب الاتحاد وتضم صوتها إلى صوته بضرورة إجراء تعديل آخر يحقق المساواة بين الرجال والنساء ناخبات ومرشحات وبغض النظر عن المستوى التعليمي11. كما أبرقت كل من السيدة زليخة الشهابي رئيسة الاتحاد العربي في القدس، والسيدة ابتهاج قدورة رئيسة الاتحاد النسائي العربي العام، للاتّحاد تضامنا ولرئاسة الوزراء، في عمان لشكر الحكومة على خطوتها ولحثها على إكمالها بتعديل آخر يضمن حقوق جميع النساء بغض النظر عن المستوى التعليمي12.

كما أثارت هذه الحملة، تضامن بعض رجال الدين المتنورين وبخاصة بعد ظهور العديد من المقالات في الصحف المحلية ما بين مؤيد لحقوق النساء ومعارض لها، ونشر بيان الهيئة العلمية الإسلامية الذي رفض فيه هذه الحقوق وبخاصة حق الانتخاب والترشيح13، فكتب الشيخ إبراهيم القطان ردا قويا مفحما، بيّن فيه خطأ حكم الهيئة العلمية الإسلامية، وفند حجتها برصد الشواهد المستمدة من الشريعة والفقه التي تبين مساواة النساء بالحقوق عامة، والسياسة خاصة، وجواز مشاركتهن بالعمل السياسي14.

على الصعيد التنظيمي امتلك الاتحاد قاعدة شعبية واسعة، فضم آلاف النساء اللواتي التحقن بفروعه في القرى ومحافظات البلاد، كما انفتح على غالبية منظمات المجتمع المدني الناشطة، وغالبا ما كانت هذه المنظمات تشاركه الفعاليات والأنشطة التي يدعو لها، فعلى سبيل المثال لا الحصر

شارك في المهرجان الكبير الذي دعا إليه لمناسبة عقد مؤتمره السنوي وانتخاب هيئته الإدارية الجديدة، العديد من منظمات المجتمع المدني، ومنها منظمات نسائية في الضفة الغربية، ممثلة بالسيدة زليخة الشهابي عن المنظمات المقدسية، وعصام عبدالهادي عن منظمات نابلس، وفيكتوريا النوانّي عن منظمات بيت لحم، وفوزية حاوي عن مؤتمر الطلبة، وعدد من رجالات الأحزاب السياسية والوطنية وعلى رأسهم أمير اللواء علي أبو نوار15.

كذلك ارتبط الاتحاد بعلاقات عربية ودولية واسعة وجيدة، إذ كان عضواً في اتحاد المرأة العربية، والاتحاد النسائي الديمقراطي العالمي، وشارك في غالبية اجتماعاتهما، ونقل توصياتهما بما يتناسب مع حاجات النساء الأردنيات إلى الحكومات الأردنية والمجتمع عبر الصحافة المحلية، وبخاصة المطالب التي سبق وتبناها كتعديلات القوانين والمساواة بالأجور وفرص التعليم والعمل16، كما دعم قضايا النساء العربيات بشتى الوسائل17.

امتلك الاتحاد قاعدة شعبية واسعة، فضم آلاف النساء اللواتي التحقن بفروعه

على صعيد القضايا الوطنية المحلية والعربية، ونتيجة للعدوان الإسرائيلي المتكرر على القرى الأمامية، وقبيل أزمة تأميم قناة السويس وما تلاها من عدوان ثلاثي على مصر، بادر الاتحاد برفع مذكرة إلى وزير الدفاع السيد فلاح المدادحة طالب فيها بالموافقة على تشكيل فرقة من المتطوعات وتوفير السلاح والتدريب اللازم لهن، وتعديل قانون الحرس الوطني بحيث يسمح للنساء بالتطوع في صفوفه، وقد وافق الوزير على تشكيل فرقة المتطوعات إبان لقاء له مع رئيسة الاتحاد أميلي بشارات، وبدأ فورا تشكيل الفرقة وتدريبها وما إن مضت مدة قصيرة، حتى بلغ عدد المنضمات إليها المئات من النساء اللواتي تلقين التدريب على استعمال الأسلحة الخفيفة والإسعافات ورعاية الجرحى،18 ومع بدء أزمة السويس قام وفد برئاسة أميلي بشارات وعضوية ما يزيد على خمسين سيدة، مثلن الاتحاد وغالبية المنظمات والجمعيات النسائية والطلابية والحزبية بزيارة السفارة المصرية للتضامن مع الشعب المصري، ووضع أنفسهن بتصرف القيادة المصرية للدفاع عن مصر والأردن إزاء التهديدات الإسرائيلية19، وأصدر العديد من البيانات المؤيدة لموقف مصر في تأميم قناة السويس والوقوف وراءها إزاء أي اعتداء تتعرض له، كما أرسل عدة برقيات استنكر فيها مقررات مؤتمر لندن، وأرسلت لسفراء بريطانيا وفرنسا وأميركا20، وأقام العديد من الأنشطة ومنها استضافة الدكتور حسني عبد الوهاب الملحق الثقافي في السفارة المصرية في محاضرة بعنوان دور المرأة في المعركة21.

وفي غمرة العمل أعلنت حكومة الرئيس إبراهيم هاشم الخامسة حالة الطوارئ والأحكام العرفية، وحلت جميع منظمات المجتمع المدني من أحزاب ونقابات، بما فيها المنظمات النسائية المطلبية وعلى رأسها اتحاد المرأة العربية، وكان ذلك في شهر نيسان من عام 1957م22.

رابطة اليقظة النسائية ورابطة الدفاع عن حقوق المرأة في الأردن

وبالعودة إلى مطلع الخمسينيات تجدر الإشارة إلى نوعية أخرى من التنظيمات النسائية غير الرسمية، التي مزجت بين العمل النسائي الحقوقي المطلبي والعمل

النسائي السياسي، ومنها «رابطة اليقظة النسائية» التي أسست عام 1952، في القدس من قبل مجموعة من الناشطات في العمل السياسي الحزبي ومنهن: السيدة سلوى زيادين، وأميلي نفاع وآيات بدر، وسميرة أبو غزالة، ورفقة الحسيني وأخواتها، والشاعرة فدوى طوقان، وسحاب شاهين، ومنور صلاح، ورفقة سليم الغصين، وحياة بدر، ورقية النجاب، وغيرهن، وطالبت هذه المنظمة بحق النساء في الانتخاب والترشح للمجالس المحلية23.

وقد نشط في هذه المنظمة، عدد كبير من الناشطات الحزبيات أو القريبات من الأحزاب اليسارية، ومنها الحزب الشيوعي الأردني، وكان لهذه المنظمة امتداد في الضفة الشرقية حمل اسم «رابطة الدفاع عن حقوق المرأة في الأردن» برئاسة إميلي نفاع، وقد أصدرت مطبوعة غير دورية حملت اسم «صوت المرأة الأردنية»، ناقشت من خلالها أوضاع النساء الأردنيات ودورهن السياسي، وسلطت الضوء على أخبار تحركهن الاجتماعي والسياسي ومطالبهن، كما نقلت أخبار النساء في الوطن العربي والعالم وأنشطتهن النضالية، فأدت بذلك دورا توعويا كبيرا،

شكلت هذه المنظمة، وامتدادها في الضفة الشرقية، علامة فارقة في العمل النسائي الأردني إذ قدمت وللمرة الأولى تحليلا فكريا معمقا لقضية النساء في الأردن، فربطت بين تحرر النساء وبين مشاركتهن في الحياة الإنتاجية، وتحرر المجتمع ككل من النظامين الطبقي والاستعماري، وممارسة الحريات الديمقراطية، لذلك رأت ضرورة مساهمة النساء بشكل فاعل في الأنشطة الوطنية والسياسية الهادفة إلى تحرر المجتمع24، وقد حددت الرابطة لنفسها مجموعة كبيرة من الأهداف شملت الصعد المحلية والعربية والعالمية، أبرزها «تنظيم النساء وتعبئتهن من أجل نيل حقوقهن وإزالة التمييز ضدهن ومساواتهن مع الرجال في المجالات كافة»25، وبهذا النص يذكر العمل النسائي الأردني وللمرة الأولى مطلب المساواة مع الرجال وإزالة كافة أشكال التمييز ضد النساء.

واستمر العمل من خلال «رابطة اليقظة النسائية» وامتدادها «رابطة الدفاع عن حقوق المرأة في الأردن» ، كما استمرت بإصدار نشرتها غير الدورية صوت «المرأة في الأردن» ومع أن غالبية أنشطتها كانت سرّية، واقتصرت على الأنشطة التثقيفية وتوقيع المذكرات والبيانات، إلا أنها أدت دورا مهما في التأثير على العمل النسائي بشكل عام، وقد دفعت هذه المنظمة عضواتها إلى الالتحاق بكافة منظمات المجتمع المدني العاملة والمسجلة رسميا، كالنوادي الثقافية والجمعيات والنقابات وغير ذلك، فكان لعضواتها تأثير ملحوظ في أنشطة هذه المنظمات وبخاصة في اتحاد المرأة العربية26، مما يفسر الأنشطة السياسية المهمة التي نفذتها المنظمات والجمعيات النسائية، في الأحداث السياسية الكبرى، ودورها في نقل وجهة نظر النساء الأردنيات إلى المستويين العربي والعالمي، وبخاصة أن هذه المنظمة كانت عضوا فاعلا في الاتحاد النسائي العربي العام، والاتحاد الديمقراطي العالمي، من خلال شخصيتين نسائيتين بارزتين هما سلوى زيادين وأميلي نفاع.

مساهمة النساء في الأنشطة الوطنية والسياسية الهادفة إلى تحرر المجتمع

النساء ورياح المقاومة

ما إن أطل عام 1968م، حتى بدت ملامح مرحلة جديدة بالظهور، فعرفت منظمات جديدة أخذت على عاتقها القيام بمهمات اجتماعية وتنموية وسياسية، فقد سجلت رسميا «جمعية المرأة العربية»27 في المفرق، و«جمعية السيدات العاملات»28 في الرصيفة، كذلك ظهرت مجموعة من المنظمات التي لم تسجل رسميا لدى أية جهة، منها على سبيل المثال «رابطة المرأة العربية»29 التي تشكلت نتيجة تحالف قوى يسارية وقومية أردنية فلسطينية، كذلك ظهر اسم «الاتحاد النسائي الأردني»30 الذي يعتقد أنه امتداد لمنظمة اليقظة النسائية، وامتدادها لجنة الدفاع عن حقوق المرأة في الأردن، واسم «اللجنة النسائية للتوجيه والإعلام» ومن رموزها السيدة أميلي نفاع31 ، و«اتحاد المرأة الوطني» الذي أعلن عنه لاحقا باسم «اتحاد المرأة الأردنية الفلسطينية» وكانت رئيسة فرع السلط السيدة ندى رمضان، ومن رموزه السيدات خزامة الرشيد وحمدة غزاوي32، وقد نشطت هذه المنظمات في إطار جو الانفتاح السياسي، وغالبا ما ارتبطت بمنظمات المقاومة الفلسطينية بفصائلها المتنوعة، والأحزاب اليسارية والقومية الأردنية،إذ انخرطت في أنشطتها العديد من النساء من شرق نهر الأردن وغربه، في إطار وحدة العمل الوطني الذي ساد إثر حرب 1967م33، وقد عملت هذه المنظمات جنبا إلى جنب مع الجمعيات الخيرية، ومع اتحاد المرأة الفلسطينية، لمواجهة استحقاقات هذه المرحلة الدقيقة من تاريخ الأردن المعاصر، فإلى جانب مشكلات النساء التقليدية، عاشت النساء الأردنيات والفلسطينيات مشكلات اللجوء الجديد، كما عانت نساء الأغوار والمدن والبلدات الحدودية، نتائج الاعتداءات الإسرائيلية الدامية والمتكررة، فضلا عن تزايد احتياجات أسر الجيش العربي الأردني وأسر رجال المقاومة ، نتيجة قيام الجيش والمقاومة بواجبات الدفاع عن حدود الوطن ومقاومة الاحتلال، مما تطلب من المنظمات النسائية على اختلاف تلاوينها المزيد من العمل لتلبية الاحتياجات المتزايدة، إلا أن الطابع الأبرز لأنشطة هذه المنظمات كان الطابع السياسي المباشر كالمشاركة في الاضرابات والاعتصامات والمظاهرات وتوقيع المذكرات والبرقيات، في هذه المرحلة من المهم الاشارة إلى انخراط العديد من النساء الأردنيات والفلسطينيات في العمل العسكري المباشر من خلال

أمل العاثم / قطر ◄

تنظيمات المقاومة الفلسطينية المعروفة.
قبيل اقتراب نهاية عام 1970م، بدأت ملامح تحول جديد في أسلوب عمل المنظمات النسائية، حقيقة أن غالبية الجمعيات الخيرية المسجلة رسميا لدى وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل استمرت بعملها المعتاد، إلا أن التطورات السياسية التي عاشتها البلاد في الفترة ما بعد عام 1970م، أدت إلى تراجع الأنشطة ذات الطابع السياسي والمطلبي، لدرجة غياب العديد من المنظمات التي كرست ذاتها لمثل هذه الأنشطة، كرابطة المرأة العربية والاتحاد النسائي الوطني، وغيرهما من المنظمات النسائية التي تبعت أو دارت في فلك منظمات وفصائل المقاومة الفلسطينية، بحيث يمكن القول إن تجربة عام 1957 تكررت إذ إضطرت العديد من الناشطات

إما العودة إلى نمط العمل السري، واقتصار أنشطتها على العمل التعبوي والتثقيفي، أو التكيّف مع طبيعة المرحلة وتأسيس منظمات جديدة تلبي متطلبات المرحلة القانونية على الأقل، وسنجد بصمات هذه الناشطات عند تحليل انشطة النموذج الدائم الذي عرف بالجمعيات الخيرية ومتعددة الاغراض.

الجمعيات الخيرية والمنظمات متعددة الأهداف

من المهم الإشارة إلى أن هذه المرحلة التي امتدت من عام 1954م وحتى 1974م، شهدت استمرار أشكال العمل التنظيمي التقليدي الذي عرف باسم (الجمعيات الخيرية) وقد أدت نتائج الحروب العربية الإسرائيلية، واحتلال فلسطين سنة 1948م، وما نشأ عنها من هجرة واسعة للفلسطينيين إلى الأردن، تزايد عدد الجمعيات الخيرية بشكل ملحوظ، لحاجة المجتمع الكبيرة إلى خدمات الإغاثة والعون.
ومن الجدير بالذكر أنه أعلن عن أول منظمة نسائية عملت بهذه الصفة عام 1944م، لتتزايد بعد ذلك المنظمات النسائية في سياق من التردد وعدم الاستقرار، إلى أن تم تنظيم هذا النوع من العمل النسائي بشكل رسمي في الأول من حزيران عام 1951م، عندما أسست وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل التي أخذت على عاتقها مهمة الإشراف على تنظيم وإدارة أعمال الجمعيات التي كانت قائمة من قبل، فأصدرت قانون الجمعيات الخيرية رقم 36 لسنة 1953 م، وبذلك أصبحت أعمال الجمعيات خاضعة لإشراف الوزارة وأصبح لزاما على كل جمعية وهيئة في البلاد، أن تتقدم بطلب التسجيل بموجب القانون، وبناء عليه تم تسجيل الجمعيات القديمة وتشكيل أخرى جديدة وتسجيلها34.

اتسم العمل في هذه الصيغة التنظيمية بشكل عام بطابع العمل الخيري نتيجة ظروف شريحة واسعة من النساء وثقافة الناشطات اللواتي بادرن إلى العمل بهذه الصيغة في البدايات، مع استثناءات لافتة تمثلت بدور الرائدة النسائية الأستاذه إميلي بشارات ولفيف من زميلاتها، ومما زاد من قوة هذا التوجه أن الوزارة وقبيل إعلان العمل بالأحكام العرفية وحل الأحزاب والنقابات ومنظمات المجتمع المدني بما فيها المنظمات النسائية، أصدرت قانون رقم 12 لسنة 1956م، وسمي قانون الجمعيات الخيرية لسنة 1956م، الذي ركز على مفهوم العمل الخيري في تعريفه واستثنى من تعريفه للجمعية الرهبنات والهيئات الدينية الرسمية والجمعيات الطائفية أو الجمعيات التي لها أهداف دينية، والأندية والجمعيات والمنتديات الرياضية والثقافية والنوادي العائلية والقبلية أو السياسية35 وبذلك، ومع اعلان حالة الطوارئ والاحكام العرفية التي ادت إلى حل منظمات المجتمع المدني، أعاد هذا القانون المنظمات النسائية إلى المربع الأول، مربع العمل الخيري التطوعي، ومنع عنها إمكانية العمل الحقوقي المطلبي، والمساهمة بالنشاط السياسي، كذلك ركزت السياسات العامة لوزارة الشؤون الاجتماعية على تجميع الجمعيات على تنويعات أنشطتها وعضويتها في اتحادات لوائية، بهدف تركيز الأنشطة وعدم تكرارها وتوحيد جهود العاملين فيها، وما أن أشرف عام 1958م على الانتهاء، حتى بلغ عدد الجمعيات المسجلة لدى الوزارة 105جمعيات، منها ست جمعيات أسست سنة 1958م36.

ومن الجدير بالذكر أنه تم تأسيس منظمة نسائية تنسيقية باسم مكتب الاتحاد النسائي العربي الأردني في القدس وضم ثماني جمعيات نسائية عاملة37.

في نهاية عام 1959م، بلغ عدد الجمعيات المسجلة 116 جمعية خيرية نسائية ومختلطة، توزعت على محافظات المملكة السبع، وكانت غالبيتها العظمى تقع في محافظة عمان، 33 جمعية، تليها محافظة القدس32 جمعية، وقد توزعت الجمعيات كافة على مدن المملكة وتراوحت أعدادها بين جمعية واحدة في مدينة الكرك و11 جمعية في مدينة بيت لحم، كما تم تجميع الغالبية العظمى من هذه الجمعيات في خمسة اتحادات لوائية هي ألوية عمان وإربد والقدس ونابلس والخليل، وبكل الأحوال لا تظهر الوثائق الرسمية عدد الجمعيات النسائية على نحو دقيق، فبالإضافة إلى

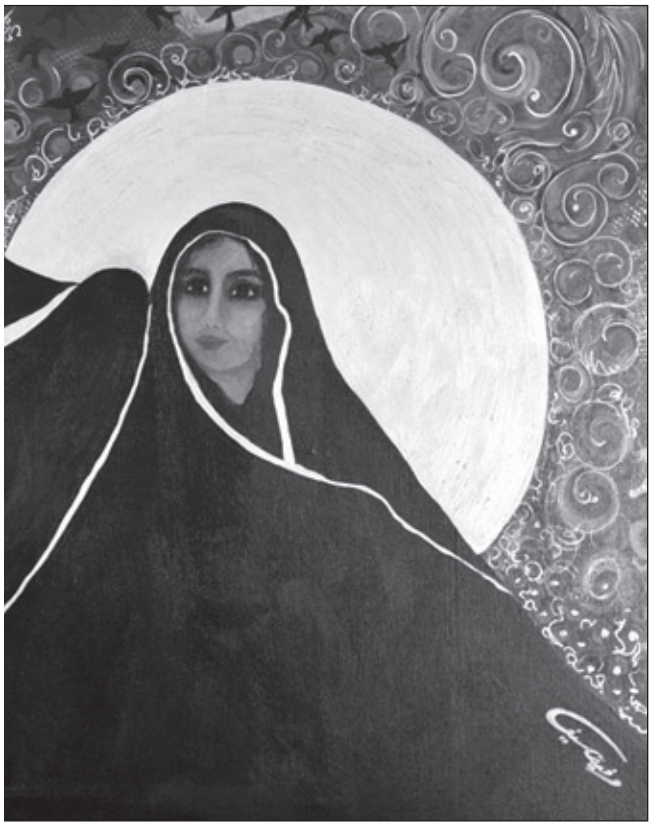

وفيقة سلطان / قطر

الجمعيات التي كانت مسجلة في المرحلة السابقة، ذكرت صحف المرحلة وتقارير رسمية، عددا من أسماء الجمعيات الجديدة.

شهد عام 1961م، تطورا مهما في عمل الجمعيات والهيئات بشكل عام، إذ بعد نجاح تجربة تجميع العمل الاجتماعي في إطار الاتحادات اللوائية، تم إعادة تجميع الجمعيات تحت مظلة ناظمة واسعة باسم الاتحاد العام للجمعيات الخيرية فأقر نظامة الداخلي وسجل رسميا في 3 نيسان من عام 1961م، وانضمت إلى عضويته جميع الاتحادات اللوائية المسجلة سابقا، بما في عضويتها من جمعيات 38، وقد أخذ هذا الاتحاد على عاتقه مهمات التعاون مع وزارة الشؤون الاجتماعية في وضع السياسات والتخطيط للعمل الاجتماعي والتنسيق بين

المنظمات العاملة، وباشر أعماله بتمتين الصلات بين الاتحادات اللوائية ودراسة أوضاعها تمهيدا للتعرف على الصعوبات التي تواجهها وبخاصة المشكلات المالية ومشكلات جمع التبرعات، وقد بلغ عدد الجمعيات النسائية والمختلطة المسجلة ما يقارب (144) جمعية حتى وصل عدد الجمعيات النسائية والمختلطة عام 1966م إلى (269) جمعية 39.

نشطت هذه الجمعيات والمنظمات في المجالات التي اختصت بها، وقامت بالعديد من الأنشطة الاجتماعية لجمع التبرعات، لتمويل مشروعاتها في إدارة حضانات ورياض الأطفال، وتقديم المساعدات والعلاج، ومحو الأمية، وبذلك جمعت بين العمليّن الخيري والتنموي الذي تمثل في أنشطة محو الأمية والتدريب المهني.

كذلك شهدت هذه المرحلة أشكالا من التنظيم النسائي العلني، خارج صيغة الجمعيات الخيرية ومنها الجمعيات المهنية النسائية، والجمعيات التعاونية النسائية، فبلغ عدد الجمعيات التعاونية المسجلة في هذه المرحلة أربع جمعيات وسجلت جمعية الممرضات الأردنيات كجمعية مهنية حتى سنة 1963م40.

ومن اللافت في هذا النوع من التنظيم التعاون وتبادل الخبرات وأساليب العمل بين جمعيات الضفتين الشرقية والغربية، بمشاركة عدد كبير من الجمعيات، كذلك تم تشكيل مكتب الاتحاد النسائي العربي الذي انضمت إليه مجموعة من الهيئات النسائية العاملة في الضفة الغربية وهي: جمعيات الاتحاد النسائي العربي في القدس ونابلس وطولكرم وبيت لحم وبيت جالا وبيت ساحور وجمعية رعاية الطفل وجمعية توجيه الأم، وقد قرر المكتب دعوة الاتحاد النسائي

العربي العام الذي يضم غالبية المنظمات النسائية العربية لعقد اجتماعه الدوري في القدس، كما قرر إنشاء صندوق موحد لجمع التبرعات، وقد عقد هذا المؤتمر في نيسان من عام 1964م بمشاركة عربية واسعة واهتمام حكومي جلي، ومن قراراته: اعتبار اليوم الثاني من شهر تشرين الثاني من كل عام يوما لفلسطين، ومطالبة الجهات المعنية باعتماد نظام التعليم الإلزامي للفلسطينيين، وحث وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين على تطوير التعليم وبخاصة تعليم البنات، وجعل مادتي تاريخ وجغرافية فلسطين إلزاميتين في مدارس الوكالة 41.

كما يلاحظ حضور القضية الفلسطينية وتداعياتها في أنشطة معظم الهيئات في الضفتين، فبالإضافة إلى أنشطة غوث سكان المخيمات والقرى الحدودية التي كانت تتعرض لاعتداءات العدو الصهيوني، كتأمين الخدمات الطبية والتعليمية والمهنية وغير ذلك، قامت هذه المنظمات بالعديد من الأنشطة منها على سبيل المثال لا الحصر: إرسال البرقيات في أكثر من مناسبة إلى مسئولين سياسيين ودينيّين دوليين وبخاصة سكرتير عام الأمم المتحدة، لافتة إلى انتهاك إسرائيل لحقوق الإنسان وإلى حقوق اللاجئين الفلسطينيين، ومطالبة بإعادة الحق إلى أصحابة42، وتأييد الخطوات العربية التضامنية ومثالها برقية الهيئات النسائية إلى مؤتمر القمة العربي للمطالبة باتخاذ إجراء حاسم لحماية نهر الأردن من الاعتداءات الصهيونية43، وبرقيات تأييد إلى جلالة الملك الحسين بن طلال، والرئيس جمال عبد الناصر، لدى توقيعهما اتفاقية الدفاع المشترك44. وكانت الهيئات النسائية في الأردن، قد وجهت نداءً بمناسبة يوم المرأة العالمي إلى نساء العالم، لإعلان يوم المرأة العالمي، يوما للتضامن مع النساء العربيات في نضالهن لإزالة آثار العدوان، ووقف المجازر الوحشية التي ترتكبها سلطات الاحتلال ضد النساء والأطفال والسكان الآمنين45، كذلك عقد الاتحاد العام للجمعيات الخيرية بمشاركة اتحاد المرأة الفلسطينية وغالبية الهيئات النسائية، ندوة موسعة لمناقشة سبل دعم نضال النساء في المناطق المحتلة، وبمناسبة بدء أنشطة «أسبوع المرأة العالمي للتضامن مع النساء العربيات» ارسلت الجمعيات النسائية المنبثقة عن الاتحاد العالمي للجمعيات الخيرية في الأردن، برقيات تحية وتضامن إلى جلالة الملك حسين، وجلالة الملكة

فاروق شحاتة / مصر ◄

الوالدة زين الشرف، والحكومة الأردنية، والمقاومة العربية، والجنرال ديغول، وسكان الأرض المحتلة، وناشدت دعم صمود سكان الأرض المحتلة، كما أبرقت للأمين العام للأمم المتحدة، تطالبه باستعمال صلاحياته والتدخل الفوري، لوقف الجرائم الوحشية التي ترتكبها سلطات الاحتلال ضد العرب في المناطق المحتلة، ووجهت نداءً إلى الرؤساء الروحيين في العالم، ومنظمات الصليب الأحمر، والاتحادات الطلابية والعمالية، ورؤساء الدول الأعضاء في مجلس الأمن، للتنديد بفظائع الاحتلال ضد المواطنين في الأراضي العربية المحتلة46،

كذلك عقدت «رابطة المرأة العربية في الأردن» مؤتمرا نسائيا للتضامن مع سكان الأراضي الفلسطينية المحتلة، بمشاركة عدد كبير من المنظمات والشخصيات

النسائية والنقابية، من الضفتين الشرقية والغربية، وصدر عنه بيان استنكر جرائم الاحتلال، والدعم الاقتصادي والسياسي غير المحدود، الذي تقدمه الولايات المتحدة الأمريكية لإسرائيل، ووجه تحية إجلال للصامدين على أرضهم، وأهاب بالضمير العالمي، العمل من خلال الهيئات والمنظمات الدولية للقيام بحملة احتجاج على جرائم الاحتلال47.

من جهة أخرى شارك عدد من المنظمات النسائية بفعاليات دولية نقلن إلى المشاركين والمشاركات بها، أوضاع النساء العربيات ومعاناتهن جراء ممارسات سلطات الاحتلال الصهيوني، ومن هذه الفعاليات، مشاركة وفد نسائي كبير وبدعم حكومي في مؤتمر هلسنكي الذي عقده الاتحاد النسائي الديمقراطي العالمي في حزيران من عام 1969م،48.

وقد تابعت المنظمات النسائية مناصرتها للثورة الجزائرية وتنسيق الجهود بينها لتحقيق هذا الغرض49، فنذكر على سبيل المثال لا الحصر، عقد مهرجان وطني كبير، انتهى بجمع كمية من التبرعات للثوار، وإرسال برقيات تضامن50، كما اجتمعت الهيئات النسائية العاملة في محافظة نابلس، وأصدرت نداءً من أجل المساهمة بحملة لدعم الجزائر تضمنت جمع التبرعات النقدية والعينية والتبرع بالدم51، على صعيد آخر، أبرقت الجمعيات إلى رئيس المجلس العسكري في سوريا مطالبة بوقف أحكام الإعدام الصادرة بحق بعض رجال السياسة السوريين بعيد انفصال الوحدة السورية - المصرية، وكما ناصرت ثورة الجزائر، طالبت بحل الخلافات العربية وديا، فأبرقت إلى السيد أحمد بن بيلا الرئيس الجزائري، وجلالة الملك

الحسن الثاني ملك المغرب، راجية حقن الدماء العربية وادخارها لصالح القضية الفلسطينية، والاحتكام إلى الجامعة العربية لحل الخلافات الحدودية وغيرها من المشكلات52.

على الصعيد المحلي اجتمعت المنظمات النسائية العاملة في مدن الضفة الغربية في مقر الاتحاد النسائي العربي في القدس، وأعلنت عن حملة لجمع التبرعات لقوات حرس الحدود، وخصصت يوم الإسراء والمعراج لبدء هذه الحملة53، ولم تغب المطالبة بالحقوق السياسية للنساء الأردنيات عن أجندة العمل النسائي، إذ يذكر أنه في لقاء لوفد جمعية الميتم العربي، برئاسة أميلي بشارات مع رئيس الوزراء، كرر الوفد المطالبة بحقوق النساء السياسية، ومشاركتهن في الانتخابات النيابية ناخبات ومرشحات54، كذلك نشطت الهيئات النسائية وبخاصة العاملة في الضفة الغربية، من أجل ضمان الحريات الديمقراطية وإطلاق سراح المعتقلين السياسيين، في الأردن والدول العربية، فأبرقت إلى جلالة الملك الراحل الحسين ابن طلال، وإلى رئيس الوزراء، وبمناسبات عدة، للمطالبة بإطلاق سراحهم، ومن خلال هذه الأنشطة المجتمعة والمتراكمة عبر السنوات نلمح بصمات تلك النسوة الرائدات اللواتي خضن تجربة العمل النسائي بمرجعية سياسية واضحة و/ أو الناشطات القريبات من الأحزاب السياسية والمنخرطات بالعمل الوطني العام، وفي هذا السياق نشير إلى نشاط قيادات نسائية مثلت ضمنا منظمات نسائية سبق حلها، مثل اتحاد المرأة العربية، من خلال مجمع النقابات المهنية، إذ شاركت كل من إميلي بشارات وإميلي نفاع، في تأسيس «التجمع الوطني الأردني» الذي تشكل أوائل عام 1968م، من النقابات المهنية والعمالية وعدد من الشخصيات السياسية العامة55، بعيد عام 1970م عاد التباطؤ إلى العمل النسائي نتيجة الظروف السياسية التي شهدتها البلاد، إلا أن التطور اللافت كان في صدور قانون معدل باسم «قانون معدل لقانون الجمعيات الخيرية والهيئات الاجتماعية لسنة 1971م»، ويقرأ مع القانون رقم 33 لسنة 1966م، والذي قضى بحذف كلمة الخيرية من عنوان القانون وتعريف الجمعية56، فبرزت منظمات نسائية جديدة سجلت كجمعيات من دون إضافة كلمة «الخيرية»، نشط من خلالها بعض الرموز التي عرفت بلونها السياسي ، مثل «جمعية النساء العربيات» التي سجلت بتاريخ 22 تشرين ثاني من عام 1970م، تحت الرقم 436، لدى وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل57، لتعمل من العاصمة عمان، من أجل مجموعة من الغايات أوردتها في المادة الثانية من وثيقة النظام الأساسي58. و«الجمعية النسائية لمكافحة الأمية في الأردن» التي سجلت عام 1972م، وركزت أهدافها المعلنة على أنشطة محو الامية وتشجيع تعليم الفتيات ووقف تسربهن من المدارس59، كذلك سجلت «جمعية الأسرة البيضاء» التي بدأت عملها باسم «هيئة صديقات مستشفى البشير» بدعم من وزير الصحة الراحل الدكتور محمد البشير60 ، وكان من أهدافها المعلنة تقديم خدمات الرعاية والتثقيف الصحي وغيرها من الاهداف العامة 61.

تأثرت الحركة النسائية، بالأحداث والمتغيرات السياسية الكبرى التي شهدتها المرحلة

وهكذا تابعت الجمعيات والمنظمات القديمة والمسجلة حديثا أنشطتها المعتادة حتى بداية عام 1974م، لتدور عجلة العمل النسائي بقوة من جديد تأسيسا لما بات يعرف بالنهضة النسائية الثانية استعدادا لعام المرأة الدولي ومن ثم عقد المراة الدولي وما تلاها من تغييرات جذرية في العمل النسائي.

الخلاصة

عرضنا في السطور السابقة لأبرز أشكال العمل النسائي المنظم وأبرز انشطته على الصعيدين الاجتماعي المطلبي والسياسي الوطني، وبقراءة مجمل السياقات التاريخية التي احاطت بهذا العمل خلصنا إلى مجموعة استنتاجات منها:

تأثرت الحركة النسائية على تنوع صيغها التنظيمية وأهدافها وأنشطتها، تأثرا عميقا بالمتغيرات والاحداث السياسية الكبرى التي شهدتها المرحلة محل البحث فضلا عن تجاوبها مع الحاجات المتنامية لشرائح النساء نتيجة التطور الاقتصادي – الاجتماعي الحادث مما انعكس على مجموع الأنشطة التي نفذتها هذه المنظمات، وتجدر الإشارة إلى ان مجموعة الانشطة ذات الطابع السياسي المباشر كانت حاضرة بقوة وان لم تتضمن اهداف وغايات المنظمات المعلنه ما يشير اليها، لذلك .

كذلك تأثرت هذه المنظمات بهذه الأحداث لجهة الديمومة والاستمرارية، إذ كثيرا ما تعرضت للحل وإيقاف النشاط مما دفع القيادات إلى البحث عن أشكال عمل بديلة تنسجم مع التغيرات القانونية المتلاحقة لضمان الاستمرار بالعمل على الصعيدين الاجتماعي والوطني.

نتيجة الوقائع السابقة لا يمكن للباحثة/ الباحث رسم خطوط فصل واضحة بين الصيغ التنظيمية المرتبطة بالعديد من المسميات مثل (الجمعية الخيرية) و(الجمعية) و(الهيئة) و(اللجنة) و(الرابطة) و(الاتحاد) والأنشطة الملازمة لها، فتحت هذه العناوين كان يلتقي السياسي العام والنسوي الخاص لدى الغالبية العظمى من المنظمات، كما كانت تلتقي القيادات والناشطات المنخرطات في العمل السياسي الحزبي المباشر بصيغته السرية والعلنية (حسب الظرف القائم في حينة) مع القريبات منه، ومع جموع النساء المسكونات بالهم الوطني العام، ففي هذه المرحلة وفي العديد من منعطفاتها الحاسمة، كإعلان الأحكام العرفية، وما أدت إليه من حل جميع منظمات المجتمع المدني بما فيها المنظمات النسائية، ووقوع البلاد تحت قبضة التشديد الأمني في أكثر من مناسبة، بدا أن أمام القيادات والناشطات واحداً من خيارين: إما العمل من خلال الجمعيات الخيرية أو العمل الحقوقي السياسي السري، وقد اختارت القيادات النسائية والعديد من الناشطات العمل بالاسلوبين، وهذا ما يثبته التدقيق في أنشطة الجمعيات النسائية، حتى ذات الطابع الاجتماعي الخيري، إذ شهدت هذه الصيغة تداخلا قويا في أنماط العمل، فمن الناحية القانونية سجلت الغالبية العظمى من المنظمات النسائية كجمعيات خيرية، وفي الوقت ذاته انخرطت الغالبية العظمى من النساء المثقفات والمسيسات الحزبيات، والقريبات فكريا من أحزاب سياسية يسارية وقومية، في عضوية هذه الجمعيات فأضفين على أنشطتها شكلا من أشكال العمل

كان يلتقي السياسي العام والنسوي الخاص لدى الغالبية العظمى من المنظمات

التنموي والحقوقي المطلبي، والسياسي، بما تسمح به ظروف العمل الدقيقة، في ظل حالات التشديد الأمني.

كذلك نلاحظ، ومع تنوع المسميات سنلاحظ إندغام عمل النساء ووحدته على ضفتي نهر الأردن، الأنشطة التشاركية، والتنسيق، وتماثل المهمات والخدمات المقدمة لكافة شرائح النساء في القرى والمخيمات والبلدات والمدن، فضلا عن وحدة الموقف والعمل السياسي لدى الأطياف المتنوعة على ضفتي النهر، ولهذا التداخل العميق بين الحركتين النسائية الأردنية التي انطلقت من شرق الأردن والحركة النسائية الفلسطينية، والذي استمر لفترة طويلة، مجموعة أسباب، أبرزها العلاقات المميزة بين الشعبين الشقيقين، حتى قبل احتلال فلسطين ونكبة أهلها وتشريدهم، فضلا عن وحدة الضفتين التي أعلنت سنة 1951م، وما نتج عنها من وقائع سياسية وقانونية واجتماعية على الأرض، والأهم من ذلك كله حضور القضية الفلسطينية العميق في وجدان النساء وحيواتهن على ضفتي النهر.

بنيونس عميروش / المغرب

وإذا أخذنا بعين الاعتبار حجم نشاط التدريب المهني ومحو الأمية، الذي اهتمت به الغالبية العظمى من الجمعيات العاملة في هذه المرحلة، لاستنتجنا بكل وضوح أن غالبية هذه الجمعيات أدركت ومنذ وقت مبكر مفهوم التمكين في العمل النسائي، فإذا نظرنا إلى سياق التطور الاقتصادي-الاجتماعي والثقافي، لوجدنا أن هذه الأنشطة على بساطتها، أنشطة تمكينية تنموية، بمعنى من المعاني، وذلك يغير الصورة السائدة عن بدايات العمل النسائي، من حيث هو عمل فوقي خيري، اعتنى بتقديم المساعدات في إطار مفهوم الإحسان الخيري، وليس بتعليم النساء ما يمكنهن من تحسين شروط حياتهن، من خلال محو أميتهن، وتعليمهن حرفا مقبولة في هذه المرحلة من مراحل التطور الحضاري.

الهوامش

1 - تعتمد هذه الكتابة على مؤلف: تاريخ الحركة النسائية الأردنية: 1944 - 2008م، دار أزمنه ، عمان- الأردن. ولمعرفة المزيد من التفاصيل يمكن العودة إلى هذا الكتاب وبخاصة الفصل الرابع.

2 - لابقصد هنا بالخاص المعنى على المستوى الفردي، إذ يقصد بالعام السياسي الوطني على المستوى المجتمعي، في حين يقصد بالخاص النسوي المطلبي على مستوى شريحة النساء في المجتمع.

3 - وهنّ فريدة شبيلات، ووداد بولص، ولمعة الرزاز، وفيروز جورج سعد، وفريدة غنما، وسميحة المجالي، وزها منكو عن جريدة الدفاع العدد رقم 5575 تاريخ 18 حزيران1954م.

4 - جريدة فلسطين بدون رقم تاريخ 18 حزيران 1954م.

5 - جريدة الأردن العدد رقم 5575 تاريخ 18 حزيران 1954م.

6 -جريدة الأردن العدد رقم 3033 تاريخ 15 كانون أول 1954م.

7 - تكون الوفد من السيدات إميلي بشارات وفريدة شبيلات وسميحة المجالي وزها منكو وفيروز سعد وسهام العامري

8 - جريدة الدفاع العدد رقم 5876 تاريخ 13 حزيران 1955م.

9 - علما بان القانون يمنح الرجال جميعاً هذا الحق بغض النظر عن مستواهم التعليمي وقد عرف مجلس الأمة بغرفتية العديد من النواب والأعيان الاميين وحتى فترة متقدمة من تاريخ البلاد.

10 - جريدة فلسطين بلا رقم عدد تاريخ 12 تشرين الأول 1955م.

11 - جريدة فلسطين بلا رقم عدد تاريخ 11 تشرين الأول 1955م.

12 - جريدة فلسطين بلا رقم عدد تاريخ 14 تشرين الأول 1955

13 - جريدة فلسطين رقم العدد غير موجود تاريخ 8 تشرين الثاني 1955م

14 - جريدة الدفاع رقم العدد 6009 تاريخ 8 تشرين الثاني 1955

15 - جريدة الدفاع 6371 تاريخ 28 كانون الثاني 1957

16 - جريدة فلسطين بلا رقم عدد تاريخ 6 نيسان 1956م، والعدد الصادر بتاريخ 13 نيسان 1956م.

17 - جريدة الدفاع عدد رقم 6375 تاريخ 1 شباط 1957م.

18 - جريدة فلسطين بدون رقم عدد تاريخ 12 نيسان 1956م، وأيضا العدد الصادر بتاريخ 25 أيار 1956م.

19 - جريدة فلسطين بدون رقم عدد تاريخ 10 آب 1956م.

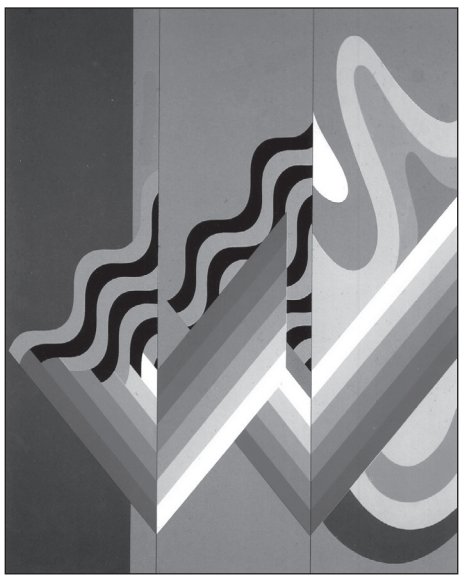

محمد مليحي / المغرب

20 - جريدة فلسطين بلا رقم عدد تاريخ 16 آب 1956م.

21 - جريدة الدفاع عدد رقم 6395 تاريخ 27 شباط 1957م.

22 - دائرة المطبوعات والنشر، الوثائق الأردنية: الوزارات الأردنية 1921 – 2003، ص 62

23 - مقابلة مع السيدة إميلي نفاع

24 - رابطة اليقظة النسائية، النظام الأساسي، ص 5

25 - رابطة اليقظة النسائية، النظام الأساسي، ص 6

26 - مركز أميلي بشارات للتوثيق والدراسات: حياة سلوى زيادين في مجلة الروزانة العدد الأول شتاء 2009، اتحاد المرأة الأردنية، عمان.

27 - جريدة الدستور العدد رقم 518 تاريخ

1968 م.
28 – جريدة الدستور العدد رقم 560 تاريخ 28 تشرين الثاني 1968م.
29 – أميلي نفاع، تاريخ الحركة النسائية الأردنية في موقع جريدة الرأي الالكتروني، تاريخ النشر 27 شباط 2010 ، تاريخ الدخول 4 آذار 2010م.
30 – جريدة الدستور العدد 515 تاريخ 13 أيلول 1968م.
31 – جريدة الدستور العدد 684 تاريخ 8 آذار 1969.
32 – جريدة الدستور، العدد رقم 1047 تاريخ 11 آذار 1970م، أيضا: الدستور العدد رقم 999 تاريخ 16 كانون ثاني 1970م.
33 – ظهرت في هذه المرحلة العديد من الأسماء لمناضلات فلسطينيات وأردنيات شاركن بشكل مباشر في العمل السياسي والعسكري أمثال ليلى خالد وعائشة عودة ورسمية عودة وتريز هلسة، وغيرهن(على سبيل المثال لا الحصر) لكنني لست متأكدة من انخراطهن في هذه المنظمات ذات الطابع الاجتماعي – السياسي الداعم للمنظمات والأحزاب السياسية
34 – لمعرفة المزيد من التفاصيل عن الجمعيات والهيئات المعلنة منذ ذلك التاريخ يمكن العودة إلى كتاب: تاريخ الحركة النسائية الأردنية: 1944 – 2008 للمؤلفة، دار أزمنه ، عمان– الأردن
35 – قانون رقم 12 لسنة 1956، قانون الجمعيات الخيرية لسنة 1956
36 – جريدة الجهاد العدد رقم 3045 تاريخ 18 تموز 1963م.
37 – تقرير عن أعمال وزارة الشؤون الاجتماعية لسنة 1956 – 1957 مجلد يحمل رقم متسلسل 2533 بدون أرقام صفحات.
38 – تكونت الهيئة الإدارية الأولى من السيدات والسادة: الدكتور جميل التوتنجي رئيسا، زليخة الشهابي نائبة للرئيس، وفوزي عز الدين أمينا للسر، و عندليب العمد أمينة للصندوق، وهند الحسيني، وعبد الخالق يغمور، وعبد القادر الجاعوني، وعصام عبد الهادي، وأميلي سمعان داوود أعضاء
39 – وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل، التقرير السنوي لعم 1966م، رقم متسلسل 2535، ص 71.
40 – جريدة الجهاد عدد رقم 2052 تاريخ 18 تموز 1963م.
41 – جريدة الجهاد العدد رقم 3299، تاريخ 16 نيسان 1964، و العدد 3304 تاريخ 22 نيسان 1964م.
42 – جريدة الجهاد، العدد رقم 3194 تاريخ 11 كانون الأول 1963، والعدد رقم 3213 تاريخ 4 كانون الثاني 1964م.
43 – جريدة الجهاد العدد رقم 3316 تاريخ 9 أيار 1964م.
44 – جريدة الدستور العدد رقم 57 تاريخ 1 حزيران 1967م.
45 – وقد وقع هذا النداء عدد من الهيئات والشخصيات النسائية بالنيابة عن جمعياتهن ومنظماتهن، يذكر منهن: د.عدويه العلمي، وأميلي نفاع، وسهام جبري، وسعاد الحسني، وناجية النابلسي، وانتصار جردانة، وعايدة النجار، وماري شوارب، ومرغريت قطان، وهالة خورشيد، وتودد عبد الهادي، ونعمة عالول، وأميلي بشارات، وبثينة جردانة، ونمرة طنوس، وفيروز سعد، وهدية عبد الهادي، وسميحة الخالدي، ولبيبة صلاح، ويسرى الناصر، عن جريدة الدستور. العدد رقم 672 تاريخ 22 شباط 1969م.

46 – جريدة الدستور، العدد رقم 685 تاريخ 9 آذار 1969م.
47 – جريدة الدستور، العدد رقم 901 تاريخ 10 تشرين الأول 1969م.
48 – تشكل الوفد من المحامية أميلي بشارات، وسهام العامري، ووجدان صيام، وربـاب النابلسي، وأميـلي نفـاع،جريدة الدستور العدد رقم 774 تاريخ 5 حزيران 1969م.
49 – جريدة فلسطين، بلا رقم عدد، تاريخ 29 تشرين أول 1958 وتاريخ 21 تشرين الثاني 1958 م.
50 – جريدة فلسطين بلا رقم عدد تاريخ 24 تشرين ثاني 1961م.
51 – جريدة فلسطين بلا رقم عدد، تاريخ 9 تشرين الثاني 1958م.
52 – جريدة الجهاد، العدد رقم 2991 تاريخ 8 كانون الثاني 1963، و العدد رقم 3144 تاريخ 21 تشرين الأول 1963، والعدد رقم 3194 تاريخ 11 كانون الأول 1963م.
53 – جريدة فلسطين بلا رقم عدد، تاريخ 7 شباط 1958م.
54 – جريدة الجهاد، العدد رقم 2996، تاريخ 23 أيار 1963م.
55 – هاني حوراني وحسين أبو رمان: تطور المجتمع المدني الأردني وواقعه الراهن، ج1، ص 50.
56 – قانون رقم 9 لسنة 1971 قانون معدل لقانون الجمعيات الخيرية والهيئات الاجتماعية لسنة 1971م.
57 – التقرير السنوي لوزارة الشؤون الاجتماعية لعام 1970، مجلد رقم 2535، ص 73.
58 – وهن: وجدان على صيام، وسهيلة جودت بهلوان، ونـاديا صبحي الخوري، وأميلي نفاع، وحنان الحسن، وليلى صبحي القاسم، ويسرى محمد القاسم، وتماري خوري، ومرغريت مبارك، ونازك الشريقي عن وثيقة النظام الأساسي لجمعية النساء العربيات، المادتين الأولى والرابعة.
59 – وقد ساهم في تأسيس هذه الجمعية كل من أسمى مدانات ورسمية مخيمر، وهند فراج، وسعاد هاني عكشة، وفادية مبيضين، و سونيا عيسى قبعين، وفرجيني دعدس، ووداد شكري سالم يعقوب، وأمل شكري مريش، و كاترينا جاد أبو منة، و فاطمة حسني المغربي، وفاطمة فزع، وهالة يوسف عبدا لله، و واصلة حنا الشوارب، وأمل هاني حدادين، وسميرة سمعان القسوس، وفخرية خلف الطوالبة، ومريم غالب القسوس، وكريمة خوري، ونهى الحايك، وحكمات لطفي سمارة، ومنتهى الزعمط من مقابلة السيدة اسمى مدانات رئيسة الجمعية أجريت بتاريخ 16 / 8/ 2009، أيضًا النظام الأساسي للجمعية النسائية لمكافحة الأمية في الأردن.
60 – وعرف من مؤسساتها فضلا عن السيدة هيفاء البشير عدد من زوجات الأطباء والعاملات في الحقل الصحي منهنّ أميرة التل، وعايدة مشربش وماري شوارب وغيرهن.
61 – مقابلة مع هيفاء البشير أجريت بتاريخ 1/8/2009 م، وأيضا هيفاء البشير: محطات: رحلتي مع الحياة، ص 337.

أدب المرأة في الأردن ..
الخروج من كهف الرجل

نزيه أبو نضال

للحديث عن منجز المرأة الأدبي في الأردن فإن الأمر يحتاج إلى مجلدات لتغطية جوانبه المتعددة: قصة، رواية، سيرة، شعر، نص، مقال أدبي، كتابة ساخرة، مسرحية، دراما إذاعية وتلفزيونية، أدب أطفال، نقد أدبي.. الخ.. هذا بالطبع عدا إسهام المرأة في البحوث والدراسات الاجتماعية والفكرية، وكذلك في مختلف أنواع الفنون والإبداعات الأخرى.
وقد تناولت العديد من هذه الجوانب في كتابيّ «تمرد الأنثى» و«حدائق الأنثى» وفي مجلة تايكي، عدا عشرات الدراسات والندوات والببليوغرافيات (1)، ولكنني اعترف بأنني لا زلت أحبو على ضفاف هذا البحر الشاسع والعميق، وحيث تتزايد في كل يوم اصدارات الكاتبات الأردنيات، وفق متواليات هندسية.. وهذا ما أسميته (ظاهرة انفجار الكتابة النسوية في الأردن).. فيما يتزايد إنتاج الكتاب وفق متواليات حسابية.
في هذه المساهمة لا يتسع المجال سوى لتناول الأنواع الأدبية الرئيسية الثلاثة: الشعر، الرواية، القصة. وربما مع إشارات سريعة إلى بعض الأنواع الأخرى.
قبل أن نبدأ لا بد من التنويه إلى ما أعتقدها حقائق أو مؤشرات أساسية في قراءة أدب المرأة في الأردن، وفي كشف أسباب تميزه وخصوصيته نوعاً وكماً:

❖ هل هناك أدب نسوي وآخر ذكوري؟

الجواب نعم هناك أدب نسوي.. فثمة تاريخ خاص لكائن مختلف في أدواره ووظائفه الحياتية

ناقد وباحث من الأردن

حيث سلطة الذكر واضطهاده للمرأة ومصادرة حقوقها، وثمة تكوين بيولوجي مختلف، حتى إن آخر علوم التشريح الحديثة قد دلت على وجود اختلافات نوعية في تكوين المخ نفسه، بين المرأة والرجل، كما يقول كتابا الأميركي د. جون جراي والألمانية أوزولا شيوي (2) .

وهذه الفوارق مجتمعة تفرض وظائف على طرف لا يفرضها على الآخر: الطمث، الولادة، الرضاعة، الرعاية اليومية إلخ.. ثم تقسيم العمل التاريخي المبكر بين الرجل الصياد وبين امرأة البيت، وهذا الخاص التاريخي والبيولوجي ينتج مشتركات بين النساء سينعكس بالضرورة، بالنسبة للمبدعة، على أدبها فيمنحه سمات خاصة متميزة، من حيث الأساليب والتقنيات والمضامين، حيث عالم المرأة وتفاصيلها.. ومن هنا رأينا المبدعة العظيمة تنتج أدبا نسويا.. فيما الكاتبة الرديئة تنتج أدبا ذكوريًا.

❖ ولكن لماذا تكتب المرأة؟

بالطبع فإن المشتركات والأسباب عديدة بين الطرفين ولكن في ظني أن الرجل يكتب أساساً ليسجل تجربة.. فيما المرأة تكتب لتدافع عن قضية.. حتى تكاد العديد من كتابات مبدعاتنا تتحول إلى مرافعات طويلة، لتعديل ميزان العدالة المختل. وهذا بالضبط ما تفعله المرأة التي تعرضت وما تزال إلى أشكال مركبة ومرعبة من الاضطهاد عبر آلاف السنوات، وهي الآن تواصل تمردها ضد القامع الذكر فيما أسميه بثورة المرأة العربية ضد منظومة القيم والتشريعات والقوانين والمحرمات التي صاغها الذكر لتأبيد استلابها، ولتأكيد بقائها في القالب «الصيني» الذي وضعها فيه.

في مواجهة هذا التاريخ من التحريم تذهب الكاتبة النسوية إلى النص كي تمارس حريتها المفقودة في المجتمع.. صارت الكتابة بحثا عن أفق أوسع للحرية، تحقق فيه المرأة توازنها المفقود بين ذاتها الداخلية وذاتها الاجتماعية.. بين ما ترغب في إعلانه وبين المسكوت عنه، والكاتبة المبدعة في الأردن الآن، كما المرأة العربية تلتقط برهافة حواسها الست اتجاه البوصلة نحو المستقبل، وتسابق للوصول إليه .. وانظروا إلى حضور المراة الكاسح في مصر، خلال السنوات الأخيرة.. وانتبهوا، فالنساء قادمات!

❖ وهناك سؤال يتكرر حول خصوصية الأدب في الأردن، ومن ضمنه أدب المرأة؟ حين نتحدث عن الكتابة النسوية في الأردن، فنحن لا نتحدث عن جزيرة معزولة، رغم خصوصية تجربتها وتميزها، بل عن ظاهرة عربية وحتى كونية شاملة، وليس الأردن سوى نموذج لهذه الظاهرة العالمية، والأمر لا ينطوي بالنسبة لنا على أية خصوصية محلية معزولة، أو منطويات إقليمية، وما حققته المرأة في الأردن من إنجاز إبداعي هائل، كمًّا ونوعًا، منذ تسعينيات القرن الماضي، ما كان ليتحقق لولا توفر الأساس المادي لهذه الانطلاقة الأدبية، وذلك من خلال نزول المرأة الواسع إلى ميادين العلم والعمل.. فكان أن امتلكت بالضرورة حريتها العقلية والاقتصادية معًا. وقد ترافق هذا الحضور الاستثنائي للمرأة الأردنية في تسعينيات القرن الماضي، في إطار تحرك كوني شامل داعم للمرأة، وخاصة بعد القمة الرابعة للمرأة في بكين أيلول (1995) حيث تفجرت قضية المرأة في كل مكان من العالم تقريبًا، وخصوصًا في الوطن العربي.

❖ والسؤال المهم في حقل الأدب، إلى جانب الخصوصية، هو: هل ثمة تميّز في الكتابة

النسوية في الأردن؟

نعم هناك تميز واضح في الكتابة النسوية في الأردن، وخاصة في القصة القصيرة وجزئيا في الرواية والشعر، سواء وفق القياس العربي أو الذكوري، ومرد هذا التميز في تقديري ناتج، بجانب منه، عن الطابع المتحرك وغير المستقر لتكوين البلاد السكاني.. ذلك أن الثبات الطويل يفرز منظومات أخلاقية وقيمية حازمة، ويفرض كوابح اجتماعية ملزمة لا تتيح للمرأة فرصة للتفلت بحرية، على عكس المجتمعات المتحركة.. ويكفي ان تقرأ المكون الديموغرافي في الأردني، خلال السنوات الستين الماضية، فسنمسك بأيدينا مدنا بكاملها تتشكل وتنمو: عمان، الزرقاء، إربد، مادبا.. وسنجد مجاميع سكانية طارئة ومتنوعة تضاعف عدد الموجود أصلا: نكبة 48، نكسة 67، الهجرة الثالثة من الخليج بداية التسعينات، وقبلها هجرة اللبنانيين جزئيًا، وبعدها هجرة العراقيين 2003، والآن هجرة السوريين منذ 2011. ثم العمالة المصرية دائما.

ظلت حقول النقد والفكر والفلسفة، ولسنوات قليلة، بعيدة عن تناول المرأة

ومع هذه الحركة السكانية الهائلة يمكن رصد حركة داخلية من البادية إلى الريف إلى المدينة.. من الرعي إلى الجندية ومن الزراعة إلى الوظيفة.. إلخ مما يطول شرحه.. غير ان المهم فيما يخص موضوعنا هو ان المبدعة خاصة تتعرض لضغط أقل حين يكون الكابح الاجتماعي شديد الحراك.. أو عند انتقال المبدعات إلى مواقع جديدة خارج البلاد. وبفعل هذا الحراك المتنوع تذهب الكتابة النسوية باتجاه مساحات جديدة من حرية الإبداع، كما ونوعا.

ولقد رصدت في الدراسة التي قمت بها حول التمرد الأنثوي في القصيدة النسوية ظاهرة مهمة وهي انه من أصل ال (38) شاعرة قمت بدراسة دواوينهن، وجدت (17) فقط ممن تجرأن على التمرد أنثويا في قصائدهن، ومن اصل هذا الرقم (17) وجدت (12) شاعرة قد غيرن مكان إقامتهن إلى خارج البلاد، وبنسبة تفوق الـ 70% ، وبما يخفف إلى الحد الاعلى من تأثير الكابح الاجتماعي على إبداعهن (3) .

والآن قبل الحديث عن إبداعات المرأة الثلاثة، وهي الشعر والرواية والقصة، أرى من الضروري التوقف قليلا عند حقل أساسي يتصل بالمنجز الفكري للمرأة، وحققت فيه إنجازا متقدما وهو النقد وجزئيًا الفكر:

في النقد والفكر:

ظلت حقول النقد والفكر والفلسفة عموما، ولسنوات قليلة، بعيدة عن تناول المرأة، ليس في الأردن والوطن العربي فحسب، بل على مستوى العالم، ورغم أهمية هذه الحقول فإن المجال لا يتسع لتناولها بما تستحق، ونامل أن نعود لها في دراسة لاحقة.

صدر أول كتاب في النقد النسوي الأردني عام 1955، وهو «عشر نفوس قلقة». وكان علينا أن ننتظر سبع سنوات لصدور الكتاب الثاني عام 62، ثم بعد سنتين صدر كتابان، ومثلهما في عام 70، وهذه الكتب جميعها لثريا ملحس، وكلها صدرت في بيروت. ويسجل لأمينة العدوان طباعة أول كتابين في النقد النسوي، صدرا في عمان، عام 76 .. فيما طبعت سلمى الجيوسي عام 77 كتابها حول «اتجاهات الشعر»، في لندن. وهكذا لم يصدر من عام 55 حتى عام 81، وخلال 26 عاما سوى 10 كتب نقدية. (وستلاحظون ذات الظاهرة

في الحقول الإبداعية الأخرى)، وبما يؤشر إلى تواضع المشهد الأدبي النسوي، حتى نهاية السبعينيات، كمًا وكيفًا. في الثمانينيات (81 إلى 89) صدر 9 كتب فقط، أما مرحلة التسعينيات فلم تشهد انفجاراً في حقل النقد، شبيها بالأنواع الأدبية الإبداعية الأخرى.. ففي الفترة من 90 إلى 99 لم يصدر سوى 13 كتابًا.

كان على الوعي النقدي أن يراكم اختمار العملية الإبداعية قبل حدوث الانفجار النقدي الكبير في الألفية الثالثة حيث ارتفع الرقم من معدل كتاب في العام إلى معدل 45 كتابا في العام حيث صدر (بين 2000 و 2009) 45 كتابا، وقد طبعت جميعا في الأردن، عدا ثلاثة منها. مما يعني أن الحركة النقدية النسوية وجدت حاضنتها أخيراً! فأعطت كثيراً.. فكان أن بلغ عدد الاصدارات النقدية حتى العام 2012 أكثر من 100 كتاب.

ومن بين الناقدات تبرز أسماء: ثريا ملحس، أمينة العدوان، رفقة دودين، تهاني شاكر، هيا صالح، مريم جبر، مها العتوم، مهى مبيضين، عالية محمود صالح، امتنان الصمادي، رزان ابراهيم، أماني سليمان، أروى عبيدات، حفيظة أحمد، منى محمد محيلان، نوال مساعدة، فريال العلي، شهلا العجيلي، سناء شعلان، وفي النقد المسرحي مجد القصص. وإلى جانب ذلك قُدم عدد كبير من الأطروحات الجامعية في حقل النقد الأدبي، وثقنا منها، خلال السنوات السابقة، ما يزيد على 70 أطروحة ماجستير ودكتوراه، في مختلف الجامعات الأردنية، وبما يبشّر بمستقبل واعد للحركة النقدية النسوية في الأردن، خاصة وقد لاحظنا رجعة مباركة إلى مناهج النقد العربي القديم، وبما يحقق صياغة جدلية بين الأصالة والمعاصرة.. بين الشرق والغرب. ورغم هذه الإيجابيات فلا تزال الناقدة تتكىء على التراث النقدي الذكوري العام والشائع، وعليها أن تبحث عن خصوصيات نقدية في كهفها الخاص بها، وليس في كهف الضبع الذكر. وهنا تبرز اهمية مساهمات الراحلة رفقة دودين في النقدي النسوي.

إن النقد النسوي السائد في الأردن يشتغل على اتجاهين أحدهما يذهب إلى كتابة الرجل لتبيان حجم ما تحتويه من اضطهاد ذكوري للمرأة، والاتجاه الآخر يذهب إلى إزالة الغموض والسحر عن جسد المرأة وصورها النمطية في الثقافة والمجتمع وأشكال تمثيلها في الأدب والفن، سواء فيما تكتبه هي أو الرجل.

صدرت، خلال السنوات الماضية، مؤلفات تناولت قضايا المرأة الفكرية والاجتماعية

وما تزال الناقدة تنطلق من موقع أيديولوجي في الدفاع عن المرأة والرد على الذكر القامع ، مما يجعلها تبتعد، إلى حد بعيد، عن النقد الجمالي لصالح الخطاب النضالي.

أما في الفكر النسوي فقد صدرت، خلال السنوات الماضية، مؤلفات ودراسات هامة تناولت، إلى جانب الموضوعات العامة، قضايا المرأة الفكرية والاجتماعية: سهير التل في أطروحاتها «حول قضية المرأة»، و«مدينة الورد والحجر حول جرائم الشرف»، و«حركة القوميين العرب وتحولاتها الفكرية». سلوى العمد في متابعاتها لـ «واقع المرأة في الثورة الفلسطينية» ولـ «نظريات النقد النسوي من منظور أنثروبولوجي». وفي كتابها المرجعي «الإمام الشهيد في التاريخ والأيديولوجيا، شهيد الشيعة مقابل بطل السنّة».

زليخة أبو ريشة في بحثها عن «اللغة الغائبة»، وسلوى الخماش في قراءتها لـ «عقلية الخرافة»، وخديجة العزيزي في رصدها «الأسس الفلسفية للفكر النسوي الغربي»، وخديجة حباشنة في وقوفها مبكرا عند «مقدمات حول واقع المرأة وتجربتها في المقاومة الفلسطينية»، وغيرهن. والآن إلى إبداعات المرأة الثلاثة، حسب حضورها الزمني.

في الشعر:

في دراسة بيبليوغرافية قمت بها حول الشعر النسوي في الأردن (1949 – 2011) ، تبين أن مساهمة الكاتبات الأردنيات في مجال الشعر، بلغ ما مجموعه 307 دواوين شعرية، وذلك على النحو التالي، ولاحظوا اطراد المتواليات الهندسية: بين عامي 49 و 69 صدر 20 ديوانا، أي بمعدل ديوان في كل عام، وبين عامي 70 و 79، صدر 29 ديوان أي بمعدل 3 دواوين في كل عام، وبين عامي 80 و 89 صدر 52 ديوان أي بمعدل 5 دواوين في كل عام، ليرتفع الرقم، مع انفجار الكتابة النسوية في التسعينيات (90 إلى 99)، إلى 82 ديوان، أي بمعدل 8 دواوين في العام، ثم ليقفز بين عامي 2000 و 2009 إلى 103 دواوين أي بمعدل أكثر من 10 دواوين في العام، وقد استمر صعود هذا المعدل في عامي 2010 و 2011، وحتى الآن.

شاكر حسن / العراق

إذا كان الجيل الشعري المؤسس قد قدم لنا أسماء: ثريا ملحس، فدوى طوقان، سلمى الخضراء الجيوسي، سلوى السعيد، أمينة العدوان، مي صايغ، هيام دردنجي، فإن الجيل الحالي قدم لنا شاعرات محدثات: مها العتوم، نبيلة الخطيب، رانه نزال، زليخة أبو ريشة، نوال العلي، نضال حمارنة، بيسان أبو خالد، مريم شريف... غير أن الحراك الشعري النسوي، ورغم تميز بعض الأصوات فيه، لم يتقدم نوعاً، قياساً لبقية الأنواع الأدبية والفنية، بل فقد، بنسبة كبيرة منه، حق انتسابه لهذا النوع الشعري..

في الشعر ظلت اللغة هي العالم الأثير للشاعر، بظلالها وانزياحات مفرداتها وايحاءاتها ومجرداتها وكمائن المعنى فيها.. بينما ظل عالم التخييل ومتعة الحكي والمشوقات الشهرزادية هي عدة السارد في القص والراوية، ولكننا في زمن العولمة ومنوعات التجنيس الأدبي والفني رحنا نشهد ظاهرات جديدة.. فقد غادر الشعر، أو نسبة كبيرة منه، تفعيلات الخليل إلى ما يسمى بقصيدة النثر أو نحو الفكرة .. بعيداً عن وهج الشعر واحتداماته العاطفية.. وقد تسيدت قصيدة النثر، المسماة بقصيدة المرأة، المشهد الشعري الآن، حيث بلغت نسبتها بين 2115 قصيدة، وفق دراسة د.مي عمر نايف (4) عن شعر المرأة الفلسطينة 60.66 % بينما وصلت قصيدة التفعيلة إلى 33.75 % فيما لم تتجاوز قصيدة البيت الـ 5.6 % وهذه المقاربات تشتمل على عدد كبير من الشاعرات الأردنيات من أصول فلسطينية كما تؤشر للنتاج الشعري للمرأة الأردنية.. حين تكتب المرأة ما يحس به جسدها أو تفكر به صاحبته باعتباره استجابة مشروعة لمكوناتها الطبيعية تأخذ هذه الكتابة في نظر

الذكر صفة الحرام والعيب فتضطر إلى السكوت عما تحس به وترغبه، فتصبح محرومة حتى من اللغة، وهذا المسكوت عنه هو ما تسعى قصيدة المرأة إلى التمرد عليه. القصيدة النسوية الحقيقية تقوم، في إحدى مهماتها الكبرى، بوظيفة ردم الهوة بين جسد المرأة ولغة هذا الجسد أو قل يصبح للجسد لغة تقول ذاته أي تعيده إلى طبيعته الأولى التي جرت عملية مصادرتها ووأدها ومن هنا فإن الرجل الشرقي ينظر إلى الشعر النسوي المتمرد باعتباره فضيحة وعيب، فيما هو يعيد التوازن المفقود بين الجسد والطبيعة بين السكوت عنه والمعلن.. بين اللغة والجسد والمجتمع الذي يقمعها ويستلب وجودها من المهد إلى اللحد!!! فتصرخ فدوى طوقان:

الصخرة السوداء شدت فوق صدري
نحتت مع الأيام ذاتي
سحقت مع الدنيا حياتي،
عبثًا أزحزح ثقلها عني
سدى أبغي الهروب
فلا مفر(5)

فيكون أن يحضر الشعر المتمرد كي يدين هذا الواقع القاسي ويبحث عن وسائل الهروب منه باتجاه المدى/ الأفق/ الفلوات/ التحليق/ الطيران/ البحر/ الحلم.. وهذا هو قاموس الشعر النسوي. وإذا كانت الكتابة، حسب رولان بارت ، تمر عبر الجسد فإن القصيدة النسوية المتمردة ستكون هي وجسد صاحبتها تجليا باتجاه الانفلات والتحرر.. ذلك أن المحك الحقيقي للتمرد هو الفعل المادي بواسطة الجسد كونه المقترح الأول للحرية، ومواضعة إنسانية قابلة للإطلاق في وجه وحشية الحصار.. حصار الجسد.. وحصار الإنسان. وهنا بالضبط يعبّر الشعر بجرأة عن الذات، ويطرح قضية المرأة، ولعل فدوى طوقان قد عبرت بجلاء عن هذا الدور:

أبوسع السجون خنق الأحاسيس
وقتل الحياة في الأعماق؟
من يصد الشلال عن سيره الكاسح
عن إندفاعه الدفاق
أتحدى السجان، أسخر بالعرف
بما شادت التقاليد حولي
من جدار ضخم مضت أغنياتي
تتخطاه في تحدٍّ مثلي (6)

ولم تكتف فدوى هنا بتمردها الفردي ، بل أرادته نموذجا لتمرد قبيلة النساء ضد قمقم الحريم وزمن الوأد:

كم فتاة
رأت بشعري
انتفاضات
رؤاها الحبيسة
المكتومة
كان شعري مرآة
كل فتاة
وأد الظلم روحها
المحرومة (7)

شاكر حسن / العراق

وتقول الشاعرة الشابة سندس القيسي:

سأمنح جسدي للريح
والشمس والمطر
وللأنثى التي تصطخب
وسأعلن عطشي لحمّى الأشياء
وسأتخطى أبعاد نساء خلعن طراوتهن
وانتصبن كالجدران القديمة
يؤدين واجب التنحي للحياة
سأمنح جسدي للريح..
فأنا امرأة من رذاذ وفوضى (8)
وتعلن منيرة مصباح أن

الجسد المتشح بالسكون يخفي..
امرأة تتأرق
تبحث عن سيف التغيير
في ريح الفلوات (9)
وقد تذهب ابنة (سوف)، مها العتوم
إلى لغة أكثر جرأة:
قلمي..
توت
يحتاج إلى شهوتنا
كي يحيا
وأموت» (10)
ذلك أن الأنثى المتمردة لاتكف عن الصهيل في الفلوات:
وروحي أنا فرسٌ حرةٌ
ومريضة عشق
وتأنف أن تستريح
لن تقيم بأرض تشن عليها اللجاما
لن تقيم بأرض
تحف حوافرها
كي تكف عن البحث في لغة..
لا تطيق السلاما (11)

إن الأمر المهم فيما أوردنا من نماذج شعرية، أو باعترافات غيرها بمشاعر الروح والجسد، ولا يتسع له المجال هنا، هو في جوهره خروج على سطوة كابح الرقابة الاجتماعية.. غير أن الشعر النسوي عموما، وحتى في أشد حالاته تمردا وخروجا على السائد، فإنه لا يسقط في لغة سوقية مبتذلة. إن رهافة الشاعرة المبدعة وحساسيتها، وبما تحمله من إرث الوصايا، تنأى بشعرها، حتى وهي تكسر (تابو) الجنس، عن أن تخدش الحياء أو الذوق العام، وهي تستعين لذلك بلغة الفن الراقية بكل ما فيها من رموز وإيحاءات وظلال وانزياحات وإشارات ملغزة لكي تقول ذاتها بعيدا عن المباشرة الفجة والتعبيرات المسطحة. وهذه المعادلة بين الرغبة في البوح وبين الخشية المتوارثة من قائمة المنوعات ولدّت على المستوى الفني درجة عالية من التميز الإبداعي العالي، وهذا يعني أن القصيدة النسوية المتمردة لا تشكل إضافة نوعية على مستوى الارتقاء بالوعي وبالمجتمع فحسب، ولكنها تمثل كذلك إضافة نوعية على الإبداع الفني.

في الرواية والسيرة:

السيرة

يرى الكثيرون، وفي مقدمتهم الفرنسي فيليب لوجون، (12) أبرز منظّري السيرة الذاتية، صعوبة حصر السيرة في نوع أدبي من حيث حدودها المضطربة وغياب تخومها المحددة وتعدد تعريفاتها التي تصل إلى عدد الذين حاولوا تعريفها، وذلك بفعل اشتباكها

محمود صادق / الأردن

وتداخلها مع العديد من الكتابات المجاورة كالرواية والمذكرات واليوميات والاعترافات والشهادات، والحوارات الشخصية، والرسائل.. بل والخواطر والمقالات أيضًا إلخ.. غير أنني ممن يعتقدون باعتبار السيرة التي تكتبها المبدعة/المبدع هي أقرب ما تكون إلى السرد الروائي.. فيما لاحظنا في المقابل أن الرواية النسوية تقترب من السيرة الشخصية، نجيب محفوظ أعلن رفضه كتابة سيرة حياته قائلاً « لأنني كتبت سيرتي في رواياتي وقصصي». ويؤكد: «أنا كمال عبد الجواد
بطل الثلاثية».

فيما نجد السير النسائية، في ظل أوضاعنا الشرقية المحافظة بالغة القتامة والتخلف.. تفرض على هذه السير، في معظمها، أن تغفل أو تقلّص إلى أبعد حد الجوانب العاطفية والجنسية.. كي تنسجم مع السائد الثقافي الذكوري، في نظرته للمرأة (ربة الصون والعفاف).. فتخلو هذه السير بالتالي من (دسمها) وقيمتها الحقيقية، كشهادة على الذات وعلى الزمن وعلى المكان.. خصوصاً في مجابهة تابو الجنس. وهذ ما نلحظه بوضوح في مذكرات كاتبات الأردن وفلسطين، حيث تغيب الأنثى في سيرة ثريا ملحس «أراقيم معلقة»، فالفتاة العمّانية، ابنة السلط، تحمل في عقلها ووجدانها تاريخ نساء الشرق، ولهذا تظل دائماً، وهي في القدس وبيروت، مسكونة بالخوف وباحثة عن رحم آمنة في بيت أهلها بجبل عمان.. وفي «بنات عمّان» تهرب عايدة النجار من بئرها الأولى إلى وصف المكان وحيوات
الأخريات.

وفي «الحصار» لمي صايغ، نتابع معها تفاصيل تجربة حصار بيروت 1982، وهذا ما يتكرر كذلك في مذكرات: نجمية حكمت «65 عاما من حياة امرأة أردنية»، نزيهة عيسى «صراع مع القدر»، نهاد عباسي «محاكمة يمامة عربية»، نجوى فرح «مذكرات رحلة»، أنيسة درويش «شمس على البني»، عائشة عودة «أحلام بالحرية»، ليلى خالد «شعبي سيحيا»، سيرين جمال الحسيني «ذكريات مقدسية»، وربما كان الاستثناء الوحيد فدوى طوقان في رحلتيها الجبلية الصعبة والأصعب، ولكن فدوى رغم شجاعتها النسبية فإنها لم تبح بكل ما لديها وهي تعترف بأنها لم تعرض إلا بعض زوايا حياتها، «لم أفتح خزانة حياتي كلها..فليس من الضروري أن ننبش كل
الخصوصيات»(13).

ومن هنا نجد الكاتبة إذا ما تجرأت على البوح والاعتراف تلجأ إلى السرد الروائي مختبئة خلف بطلاتها.. فهل تكون

الرواية بالتالي أكثر صدقاً من السيرة؟!

الرواية

أظهرت عملية الرصد الببليوغرافي، لمجمل الإصدارات الروائية النسوية في الأردن، أنها تبدأ مع رواية مريم مشعل «فتاة النكبة» عام 1957، ولكنها ظلت وحيدة، حيث لم نشهد أي إصدار روائي آخر إلى بداية السبعينيات، لتصل مع بداية 2012 إلى حوالي 140 رواية، منها 14 فقط بين عامي 1957 و 1979. فيما صدر في الثمانينيات 16 رواية، ليرتفع في التسعينيات إلى 28 رواية، ومع انفجار الكتابة النسوية وجدنا أن ما صدر في الألفية الثالثة وحتى 2011 فقط زهاء (80) رواية وسيرة.. وبغض النظر عن السويّة الإبداعية المتدنية لبعض هذه الروايات، فنحن في الببليوغرافيات نرصد الظاهرة الرقمية وحدها.

شكلت الرواية الميدان الأثير للمرأة في خوض معركتها التاريخية ضد الاستلاب، والهيمنة

ومن أبرز الروائيات: سميحة خريس، سحر خليفة، ليلى الأطرش، رفقة دوديـن، سلوى البنا، زهرة عمر، غصون رحال، فيروز التميمي، سحر ملص، فاديا الفقير. وخلال السنوات الأخيرة ظهرت أسماء روائية جديدة: كفى الزعبي، ليلى نعيم، مهى مبيضين، سناء أبو شرار، آية عبد الله الأسمر، بارعة النقشبندي، سوزان الراسخ، أو قدمت من حقول إبداعية أخرى: جميلة عمايرة، حزامه حبايب، سامية عطعوط، شهلا العجيلي، سناء شعلان. ولقد لاحظنا خلال متابعاتنا لرواية المرأة كيف غادرت هذه الرواية في جزء منها عالم السرد الشهرزادي، كما حاولت مغادرة نموذج رواية الرجل، بحثًا عن صوت الأنثى فيها، صوت لا يشبه صوت السارد الذكر، ولكن الجرأة لم تواتها دائما فكان أن ذهبت إلى لعبة اللغة والتجريد وتهاويم الشعر.. هكذا بدأت لعبة التجنيس تترك بصماتها على إبداعها الفني. المرأة هنا تريد، مع فيروز تميمي، أن تؤكد ذاتها بامتلاك القدرة لتكتب نص المرأة، «»كي لا يبقى ما لم أقله....إنني أرى امرأة فأكاد أصرخ بها.. توقفي إن فيك من نصي شيئا... لكنني لا أحتمل زمن الكتابة، ولا إعادة كتابة نص قديم.. يجب أن ألحق الكلمات قبل أن يقولوها كلها. ألحق القص قبل أن تنضب تلك النبعة الرائقة» (14) . أو هي تكاد، مع سميحة خريس في روايتها «الصحن»، تتقمص أسطورة (بيجماليون)، ولكن ليس على هيئة فنان ينحت امرأة ويعشقها، إنها لا تريد أن تنحت رجلا، لكنها تتوق بملء روحها أن تعيد نحت ذاتها من جديد، على غير الهيئة التي استلّوها من ضلع آدم. «سأترك الكتابة تنحدر كما شاءت. ثم أعمل فيها إبرتي ومغزلي أو فأسي وسكيني. سأصل وأقطع، أضيف وأرمي، لست بحالة خلق ابدأها بكن فيكون..ولكنني أمام عمل مؤلم أشعر به كفم صغير يقتات من روحي، أو حالة تتقدم مثل موج. تجتاح شواطئي.... تتحد بي وكأنها تعشقني. إذا ما اكتمل توهجها ستسلمني جسدها لأفصّله كما أهوى»..

في المضامين شكلت الرواية الميدان الأثير للمرأة في خوض معركتها التاريخية ضد الاستلاب، وهيمنة الذكر، وانتقاص الحقوق، وتغييب العدل والمساواة، وفي المشهد العام فإن الهاجس الرئيسي الذي اشتغلت عليه الرواية النسوية، أيديولوجيًا هو تحرر المرأة الاجتماعي والسياسي والجسدي. والذكر بالطبع هو رأس القوى

المعيقة التي تحول بين المرأة وحريتها.. ولذلك فإن السمة الغالبة للرواية هنا تأخذ شكل حرب ضد الرجل.. حتى كادت الرواية تتحول إلى مرافعة قانونية، للدفاع عن حقوق المرأة، وتبنّي قضاياها، في مواجهة الذكر القامع. ولكن غياب العمل الجماعي المنظم في نضال المرأة ألجأ الكاتبة إلى ما يشبه التمرد الفردي على طريقة سيزيف في مواجهة آلهة الأولمب، والذي ظل يواصل حمل صخرته الثقيلة صعودا نحو القمة وهبوطا منها: إنها «محاولتي مرة تلو المرّة أن اقول ما أريد وأفشل»، كما تقول فيروز التميمي (15) .

أمّا غصون رحال فتصرخ مجرّحة من الأمل: «إن سيزيف حمل رأسي على كتفيه ووصل» (16) صارت الكتابة بحثا عن أفق أوسع للحرية، تحقق فيه المرأة توازنها المفقود بين ذاتها الداخلية وذاتها الاجتماعية.. بين ما ترغب في إعلانه وبين ذلك المسكوت عنه، كما في «خشخاش» سميحة خريس، وهي تحاول الخروج عن استقامة الطريق الإسفلتية الباردة نحو منعطفات الدهشة (17).

هذه الرغبة النسوية العارمة بتحقيق ولادة جديدة، لم تكن معزولة عن مجمل التغيرات العاصفة التي كانت ترهص بربيع عربي لم يكتمل، وهذا العالم الجديد والمتغير هو، في أحد تجلياته العميقة موضوع الرواية النسوية التي بات من مهماتها الكبرى أن تجد له الصيغ والأشكال واللغة والمضامين، كي تحوّل هذا المتغير التاريخي إلى قناعات اجتماعية مدعومة بالشرائع والقوانين، وتذكروا فيلم «أريد حلا» لفاتن حمامة. وستحتاج عمليات التجاوز والتغيير بالطبع إلى قرابين كثيرة، تم دفعها مع كامل استحقاقاتها، على مساحة الإبداع النسوي، وخصوصا في الرواية، ذلك أن المجتمع الذكوري يقرأ في حكاية بطلة الرواية سيرة الكاتبة الشخصية ذاتها، وهذا هو نصف الحقيقة الذي غالبا ما يكون أخطر من الحقيقة نفسها.. ما يولد الكثير من الآلام بالنسبة للروائية التي تحاول سرد قصة بنات جنسها أو هي تتخيل حلما يأتي، فيتعاظم الالتباس وسوء الفهم والظن، فيلقى القبض عليها متلبسة باعتراف صريح وموقع، أو بممارسة أحلام شاذة وممنوعة..

غير أن الذكر القامع لم يعد هو نفسه، فقد تثلم سيفه بتوالي الهزائم، وفقد هو نفسه معيار ذكوريته.. فقد فحولته، وصار عنينا وعاجزا حتى جنسيا، فالرجل المقموع في الداخل، والمهزوم من الخارج، سيكون أضعف حالا في مواجهة امرأة رفضت الخنوع وتمردت، كما تشي روايات ليلى الأطرش، حيث نرى كيف تقوم الكاتبة/البطلة بتقديم رجال معطوبين ومهزومين، فيما المرأة تتماسك وتتقدم لإنقاذ الرجل/الزوج/والد الأبناء، كما تفعل بطلتها «زهرة» في «صهيل المسافات» وهذه «ناديا الفقيه»، بطلة روايتها «امرأة للفصول الخمسة»، تتحول، رغم بدايات حياتها السلبية، إلى سيدة أعمال ناجحة في أوروبا، بينما تحل الكارثة بزوجها إحسان الناطور، فتتقدم لإنقاذه، ولإنقاذ سمعة أسرتها، ولكن ليس قبل أن تصبح حرة، تقول له: «هل تصورت أنني سأظل أدور في فلكك.. أنت المحور وأنا ألفّ حولك. ألا تعلم أن الأجرام نفسها تنفلت من أفلاكها أحيانا.. قد تحترق، نعم، ولكنها تنعتق وتتحرر»(18) .

كادت الرواية تتحول مرافعة قانونية، للدفاع عن حقوق المرأة، في مواجهة الذكر القامع

هذا النموذج القوي للمرأة يتجلى لدى سميحة خريس على هيئة فتاة غير عادية هي «فريدة»، بطلة «شجرة الفهود» الثانية «تقاسيم العشق»، التي تعبّر بلسانها وسلوكها عما لا تستطيع غيرها من البنات فعله، ويعبّر جسدها بالرقص أحياناً عما يعجز لسانها عن قوله. لكنها تتجاسر في النهاية وتعلن على بطلها الحبّ، بل وتعرض عليه الزواج.. فقد كان، رغم محبته لها يريد تجنيبها الارتباط به بسبب الفارق الكبير في العمر..

هذه الرغبة العارمة بالانعتاق نجدها بوضوح لدى «زبيدة العربي» بطلة رجاء أبو غزالة وهي تخرج من «الحصار».

كما نجدها لدى «شانخوه» أو «مسرّه خان»، بطلة رواية زهرة عمر «الخروج من سوسروقة»، وهي تجابه منظومة التقاليد الشركسية، خصوصا في جزئها الثاني «سوسروقة خلف الضباب».

وكذلك لدى معظم بطلات سحر خليفة وهن يجابهن قمع الذكر العربي واحتلال العدو الصهيوني. غير أن رواية المرأة لا تعكس واقع المرأة في الأردن إلاّ جزئيا، بفعل التكوين الطبقي لمعظم الكاتبات.. ولكنه في جوهره توق جارف وفاعل لتشكيل الحياة على نحو مغاير إنها أقرب ما تكون إلى مساحة من ورق تمارس الكاتبة عليها حريتها المفقودة أو أحلامها الموؤدة، وأحيانا تقدم من خلال هذا الورق مرافعتها في ما يجب أن تكون عليه الحياة، أو هي تنشد مع غصون رحال مرثاة انتظارها، مثل بنيلوبي! بانتظار من لا يأتي، ولكن «زمن المرأة لا ينتظر»، كما تقول فيروز التميمي في «ثلاثون»، فهو يكاد يمر «من بين أصابعنا سهوا للغياب، أو لما نحنه الآن»!

غير أن الحياة في نهاية المطاف ليست رواية ولا بطلة معجزة تجلب الخلاص، كما بطلة «خشخاش».. فقد كان على الريشة الطائرة أن تتوقف عن الطيران. ولكن إلى أين تعود؟ إلى الأرض نفسها المثقلة بالسلاسل وباليوميات العادية؟! ليس أمامها من خيار آخر. تنتهي الرواية، لكن رواية حياة المرأة لا تنتهي، وتظل بانتظار حل لا يُرى أو معجزة.. تنتظر، نعم، لكنها لا تستكين، بل تواصل مثل سيزيف حمل صخورها الثقيلة صاعدة نحو القمة وهي تحلم بالوصول.. وستصل فالنساء، كما الربيع، قادمون هكذا تنحت الكتابة النسوية الأرض من جديد، على صورة فينوس، الهة الحب والجمال لا على صورة مارس إله الحرب. في القصة: في عام 1954 انفتح الستار عن المشهد القصصي النسوي الأول في الأردن ، حين

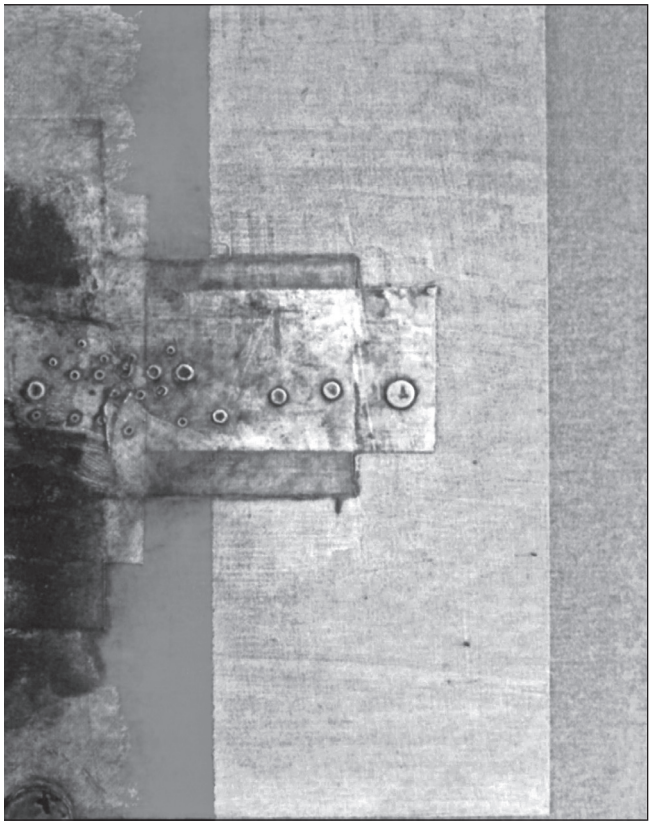

رافع الناصري /

صدرت مجموعة «أشياء صغيرة» لسميرة عزام، ورغم نضج الولادات الأولى إلا أن المسيرة اللاحقة جاءت مخيبة للآمال.. إذ لم يصدر حتى العام 1980 سوى 10 مجموعات قصصية، ولم تكن المشكلة بالكم فقط، بل بالكيف أيضا، كما إن الولادات اللاحقة، باستثناء 3 مجموعات لهدى صلاح وتريز حداد، تمت طباعتها خارج الأردن بأقلام: ثريا ملحس وسميرة عزام وسلوى البنا في بيروت، وسميحة خريس في الخرطوم. الانطلاقة الحقيقية للقصة النسوية القصيرة جاءت في مرحلة الثمانينات، حين اقتحمت ساحة الإبداع القصصي النسوي، إلى جانب من تقدم، هند أبو الشعر وسهير التل وسامية عطعوط وإنصاف قلعجي وزليخة أبو ريشة وليانا بدر ورجاء أبو غزالة وسحر ملص،

وغيرهن، حيث صدر خلال هذه الفترة (22) مجموعة، طبع منها (13) في عمان. مع الانفتاح الديمقراطي النسبي الذي شهدته البلاد منذ بداية التسعينات، تعاظم مدّ الصعود الإبداعي كمًا وكيفًا.. فإلى جانب كاتبات الثمانينات برزت أسماء بسمة نسور وحزامة حبايب وجميلة عمايرة وجواهر رفايعة ورفقة دودين وليلى الأطرش وحنان بيروتي وأميمة الناصر ومريم عويس وتغريد قنديل وحنان بيروتي ومريم جبر وغيرهن.. وقد صدر خلال هذه السنوات (67) مجموعة قصصية، وطبع معظمها في الأردن. وهذه المرحلة لا زالت متصلة مع الألفية الثالثة، حيث ظهرت أسماء جديدة لافتة لعل من أبرزها: بسمة النمري، مجدولين أبو الرب، نهلة الجمزاوي، منال حمدي، سناء شعلان، نضال حمارنة، عدلة الكوز. وقد بلغ عدد القاصات في الأردن، حتى نهاية 2011، 61 قاصة، أصدرن 126 مجموعة قصصية.

❖❖

لاحظنا خلال متابعاتنا للأدب النسوي في الأردن أن القصة القصيرة أكثر تميزًا وتمردًا من سواها، وهذه مسألة تحتاج وقفة قصيرة: لعل القص والحكي هو الميدان الاثير للمرأة عموما، وفي حالتنا المحددة يقوم القص الانثوي على كشف الموقف أو تفجير اللحظة ورصد السلوك أو الشعور، وربما الامساك بهاجس أو بحلم أو بإحساس داخلي مبهم وضاغط .. إلخ. في كل هذه الحالات تتيح القصة القصيرة فرصة للبوح المواربة وللايحاء الرمزي وللجرأة المحسوبة التي تشكل الحد الأعلى في مجتمع محافظ من ناحية، والحد الأدنى لكتابة أنثوية متمردة من الناحية الثانية. ومثل هذا البوح الجريء والمحسوب لا يتيحه الشعر المجرد إلا بحدود.. كما يصعب

التعبير عنه في الرواية التي تتطلب الإيغال في التفاصيل، وحيث الشخصية /البطلة تحمل على الأغلب سيرة كاتبتها، مما يثير الكوابح الاجتماعية أو قد يتأباه الحياء.. فيكون الخلاص على هيئة قصة تحكي ولا تقول.. تومئ ولا تصرح، تؤشر ولا تبوح. يستطيع من يتصفح عالم وعناوين المجموعات القصصية النسوية في الأردن ان يلحظ بوضوح ثلاثة عناصر متلازمة: الزنزانة، القمع والمطاردة، الحلم بالحرية والانعتاق. اما طرفا المعادلة فهما بالطبع المرأة المقموعة والذكر الجلاد. وهذه بعض العناوين الدالة: واقع الحال: «في الزنزانة»، «اكثر مما احتمل»، «الاشارة حمراء دائما»، «المشنقة»، «الابواب المغلقة»، «شرفة على القلق»، «قلق مشروع»، «دمعتان»، «جحيم ذهبي»، «جدران تمتص الصوت»، «سيدة الخريف». القمع والمعاناة: «انت طالق»، «المطاردة»، «صرخة البياض»، «نحو الوراء»، «الرجل الذي يتكرر»، «ارملة الفرح»، «كوابيس الفرح»، «للحزن بقايا فرح»، «هواجس يومية»، «القضية»، «وجوه خلف الاقنعة»، «منعطات خطرة»، «الوجه الاخر». بحثا الحرية والانعتاق: «للشمس جنون آخر»، «الغجر والصبية»، «اريد هوية»، «الغناء بعيدا»، «النجوم لا تسرد الحكايات»، «غادة البحر»، «أوراق غزالة»، «لست انا»، «التفاحات البعيدة». إن دلالة اسماء المجموعات القصصية النسوية، كما رأينا، اكثر من واضحة في توصيف الواقع المقموع للمرأة، وكذلك في توقها الجارف للتمرد عليه وتجاوزه (19) .

سارة شما / سوريا

«كانت تسبح في الاخضر بثوبها القصير المزركش، وتكاد تطير كفراشة ملونة في الازرق .. تحلم ان تكون زهرة تخطفها اصابع عاشق ويهديها لحبيبته.. وترمح روحها كغزالة كي تتلقفها احضان النسائم .. وفجأة يأتيها صوت والدها حادا تستجيب.. تدلف من عتبة الباب حيث تقبع جدتها المحدودبة، تحزن.. تدخل البيت، كانوا هناك: والدي واخوتي الغلاظ. صدر الامر فمدت امي يدها إلى شعري المتناثر بشغب على كتفي لمته في جديلة... نزعت عني ثوبي القصير المزركش بألوان الفراش ... بكيت.. ألبستني ثوبا، أسود طويلا وشالا ابيض: لقد كبرت. هذا اختزال مكثف لقصة جواهر رفايعة «الثوب» (20) التي تختصر عشرات المجلدات عن واقع المرأة العربية.. فيكون من المشروع، وهي مكفنة بالسواد داخل غرفتها الضيقة، ان تحلم بفضاء مفتوح، وبأن تصير غجرية (21) وترتدي مثل صبايا الغجر اثوابا مزركشة .. ولأن الغجر هم رديف الحرية فان الصبية «الاسيرة» (22) تدفع حياتها مقابل الحلم بالتحليق.. يرحل الغجز وتبقى هي جثة هامدة مكفنة بردائها الاسود الطويل. ذلك أن الاستكانة إلى مثل هذا الواقع والقبول به هو «اكثر مما احتمل»، كما يقول عنوان المجموعة الثانية لجواهر رفايعة.. حيث المشهد كله يدور داخل «جدران بلا نوافذ»، أو داخل «جدران تمتص الصوت»، كما عند سامية عطعوط. وهذا المشهد يتكرر في العديد من

القصص، ويتكثف بقسوة عنيفة، كما في «زنزانة» زليخة ابو ريشة، قال لها: «انتن مكانكن الآمن وراء الجدار المحكم الاغلاق.. تلك مملكتكن»(23). غير ان كاتبات العقد الاخير من القرن العشرين في الأردن يتجرأن على اشهار رفضهن، بل وتمردهن على هذا الواقع، اي على هذا الذكر وان شاءت الاقدار أن يكون مصيرهن مرتبطاً به بسلسلة جهنمية يرغبن بقطعها، ولكن لا يستطعن الاستغناء عن ذلك السجان. وتكثف بسمة نسور هذا الارتباط الدموي من خلال قصتها «حزم» التي يمكن تلخيصها بجملتين: «في الصباح صرخت قائلة: لن تراني بعد اليوم (...) وفي المساء.. ضبطت نفسها في الطريق اليه» (24) لاحظوا: في المساء!! هذه الثنائية الدموية تقودنا إلى «مشنقة» سهير التل.. إلى الميدان .. هناك تتجلى جدلية الصراع والوحدة بين الذكر والانثى، انه نوع من الغراء الكوني الذي يشكل عنصر جذب لافكاك منه لجمع الاطراف المختلفة.. «وتتقدم .. مسربلا بخدرك الناعم «تسلم جسدك، ولا تعرف ان ما استسلمت اليه ليس الا مشنقة كبيرة...» (25). تحت وطأة هذا الكابوس الجاثم، وفي ظل هذه الرابطة الدموية فان عناصر الغضب والتمرد تأخذ بالتصاعد بالوهم أو بالخيال حينا، بسمة نسور(26)، جميلة عمايرة (27) ، أو هي قد تقتله بالخيال، جواهر رفايعة (28)، سامية عطعوط، (29) أو هي تحاول أن تدمره بالشك أو عبر الكتابة زليخة أبو ريشة (30) أو هي تقتله بالفعل/ بالسم ، زهرة عمر(31) ، أو هي تقتله في لحظة جنون بسمة النمري، (32) أو بالاستبدال، كما فعلت بطلة بسمة النمري: «انتقت له ثيابه التي سيرتديها بعناية فائقة، مددتها امامها على سريره تحت رحمتها تماما .. لكنها لن ترحمه .. لن ترحمه ابدا!.. بهدوء وأناة تناولت سكين الطعام.. ثم هوت بكل قوتها على ملابسه وانهالت عليها طعنا وتمزيقا.. في كل اجزاء جسده الكريه الذي كان يسخّر قوته لقهرها وسحقها واذلالها وتعذيبها.. عند باب الغرفة وقف زوجها مذهولا.. انقض عليها مزمجرا .. تحول إلى وحش مسعور.. وكان هناك دماء كثيرة.. دماء كثيرة في كل مكان»(33) بطلة بسمة النمري تنتقم لتاريخ اضطهاد المرأة من الرجال، ولكن لو كان المتمدد على السرير زوجها بالفعل وليس ملابسه فانها لن تقدم على قتله.. ذلك ان لا فكاك من الارتباط به حتى عبر هذه العلاقة الدامية..

آمنة النصيري / اليمن

حزامه حبايب، كاتبة التسعينات، وبعد ان عصفت الكوارث بمسلمات المجتمع العربي وبأحلامه، لا تقدم فتاة منكسرة، ولا ذكرا يعيد انتاج سي السيد ، ولكنها تلتقط من خلال تفاصيل الواقع مشاهد ذات دلالة في كسر القالب وفي كسر (التابو) وتقوم بتجسيمها.. كي نتعلم ما غاب عنا من حقائق، وبأن الواقع الفعلي هو وحده الممكن والمتاح. ولأن كل هذه المفردات لا تصمد في النهاية أمام قوة الحياة وسرها العظيم.. فلا يكون من خيار سوى منوعات الزيف والكذب والتزوير والأقنعة، وحيث

استطاعت المرأة عبر العصور الاحتيال على كل السواتر والجدران والممنوعات حين تريد ..انظر إلى (قناع) وجهها كم يبدو بريئًا ومسالمًا، ولكن هل تعلم أي شياطين تعبث في رأسها؟! فلماذا لا نسقط كل الأقنعة ونعيش تحت الضوء؟! (34) ويجيء جواب حنان بيروتي: «إن الزوج أي زوج، يعادل رجلاً غاضباً هو أبي» (35). ثم ينفتح السؤال الكبير: إلى متى يعيد الرجل انتاج صورة أبيه الغاضبة، وإلى متى تعيد المرأة إنتاج وأدها..من الجدة إلى الحفيدة؟! فهل فتح زمن المرأة في التسعينيات صفحة جديدة نحو المستقبل؟ وهي التي ستقود العالم، نحو آفاق جديدة أكثر عدلا وجمالا، من عالم الرجل المثقل تاريخه بحروب الموت والعنف والسلاسل. ولعلي أرى ذلك.. فالنساء قادمات!

مصطفى الحلاج / فلسطين

المصادر والهوامش:

(1) نزيه أبونضال: «تمرد الأنثى»، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2004. «حدائق الأنثى»، دار أزمنة، عمان، 2009. وقد جرت هنا الاستفادة جزئيا من بعض هذه المصادر والببليوغرافيات.

(2) د. جون جراي الرجال من المريخ والنساء من الزهرة. المؤلف: د.جون غراي ترجمة: د.حمود الشريف، مكتبة جرير، الرياض، 2002. أوزولا شيوي، أصل الفروق بين الجنسين، ت: بو علي ياسين،، دار التنوير، بيروت، 1982.

(3) نزيه أبو نضال، الكتابة والمتخيل (مشترك) المؤسسة العربية، بيروت، 1999، المساهمة: تجليات الأنثى المتمردة، ص 122.

(4) د.ميّ عمر نايف، «شعر المرأة الفلسطينية من 1967 حتى 2000»، نسخة رقمية، ص 358 وما بعده. وصدر الكتاب 2008.

(5) فدوى طوقان، «وجدتها»، ص411.

(6) نفسه، ص 181 و 182. (7) ص 182 و 183

(8) سندس القيسي، ديوان «ذاكرة متمردة»، من قصيدتها «امرأة».

(9) منيرة مصباح، خضاب الندى، ص 6

(10) مها العتوم، نصفها ليلك، ص 25،

(11) نفسه ص 42.

(12) فيليب لوجون، السيرة الذاتية، ترجمة عمر حلمي، المركز الثقافي العربي، بيروت 1994.

(13) فدوى طوقان، «رحلة جبلية، رحلة صعبة»، ص10.

(14) فيروز تميمي، ثلاثون، م. س، ص 16.

(15) فيروز تميمي، م. س، ص 11.

(16) غصون رحال، موزاييك، ص 7.

(17) سميحة خريس، خشخاش، ص 102.

(18) ليلى الأطرش، «امرأة للفصول الخمسة»، ص 198.

(19) اعتمدنا هنا نسبيا على دراستنا حول تمرد الأنثى، مجلة تايكي، عمان، ربيع 2002.

(20) جواهر رفايعه، الغجر والصبية، قصة الثوب ص37.

(21) نفسه، قصة الغجر والصبية ص9،

(22) نفسه، قصة الأسيرة، ص 63.

(23) زليخة أبو ريشة، في الزنزانة، ص49.

(24) بسمة نسور، قبل الأوان بكثير، ص66.

(25). سهير التل، المشنقة، ص80

(26) بسمة نسور، مصدر سابق،

(27) جميلة عمايرة، قصة شجار، ص 43

(28) جواهر رفايعه، الغجر والصبية، من قصة احتفالات امرأة خاصة، ص 73

(29) سامية عطعوط، جدران تمتص الصمت، قصة ثلاثية التمرد والاذعان ص21.

(30) زليخة أبو ريشة، م.س ص 38.

(31) زهره عمر، طقوس العشاء الأخير، من (مخطوط) متوفر لدى.

(32) بسمة النمري، منعطفات خطرة، من قصة المجنونة ص 41.

(34) حزامه حبايب، ليل أحلى، من قصة حزينان، ص 39.

(35) حنان بيروتي، الاشارة حمراء دائماً،، نبض واختصار ص 28.

أوراق من زمن الثورة:

خديجة حباشنة

ربما لو لم تقع هزيمة حرب حزيران، لاتخذت حياتي مجرى آخر، كنت مشروع أديبة على ذمة معلمة اللغة العربية، أو فنانة في مجال المسرح أوالسينما تلك كانت هواياتي التي تستغرق وقتي واهتمامي. ولكن بعد أن وقعت تلك الحرب وأنا على مقاعد الدراسة، و بتلك النهاية المفجعة، اهتزت نواميس الحياة عندي، وطفقت أذرع الشوارع أبكي على غير هدى، كأنني تلقيت إهانة شخصية.

أحدثت هزيمة حزيران انفجارًا مدويًا في وعيي وانقلابا «جذريا» في حياتي، اتجهت بعدها نحو قراءة أخرى للحياة قراءة من نوع مختلف، أخذت أبحث عن الفدائيين. كان هذا هو الاسم الشائع آنذاك للمقاومة الفلسطينية. قلت في نفسي، ما معنى أن أقرأ وأتعلم وأراكم المعرفة، وأنا مهددة في كل لحظة، من عدو غاشم لا أفعل حياله شيئًا. هكذا كانت البداية.. كانت الثورة بالنسبة لي طريقاً للخلاص، ليس فقط من الاحتلال القابع فوق أرض فلسطين ويهدد مناطق أخرى من البلاد العربية، وإنما رأيت فيها طريقًا للخروج من التخلف والتقاليد النمطية التي تكبل الإنسان العربي، والمرأة بشكل خاص، كانت هذه التقاليد تبدو لي منبع كل الظواهر المرضية في المجتمع، والتي عايشتها بنفسي كفتاة طموحة ومتطلعة نحو حياة أكثر انفتاحاً وعدالة. بدت الثورة لي وقتها مثل علاج لكل أمراض المجتمع أكثر من التخصص الذي كنت أدرسه وأتدرب عليه في تشخيص وعلاج الأمراض النفسية.

مناضلة وكاتبة من الأردن

أواخـر الستينات وأوائـل السبعينات من القرن الماضي، ومع اتساع حركة المقاومة الفلسطينية أو الفدائيين، بـدأت مشاركة المـرأة في النـضـال الـوطنـي الفلسطيني المسلح تلفت الأنـظـار كعـلامـة بـارزة في واقع المرأة العربية، وتتخذ شكل الظاهرة المتقدمة نوعيًا. اذ ان مشاركة المرأة، رغم بداياتها المتواضعة من خـلال النشاطات الاجتماعية والانسانية المتمثلة في زيـارة قواعد الفدائيين، و تشكيل اللجان لتأمين بعض احتياجات المقاتلين، وتقديم خدمات الرعاية لأسر الشهداء والمعتقلين منهم. ثم بدأت هذه المشاركة تتطور تدريجياً وتأخذ شكل مجموعات منظمة داخل التنظيمات الفلسطينية المختلفة، لتقوم بعمليات التعبئة السياسية والعسكرية للنساء، كما أخذت تقوم بمبادرات ونشاطات سياسية هامة، مثل تنظيم الاعتـصـامـات والـتظـاهـرات النسائية الحاشدة داخل فلسطين وخارجها، لاسـتنـكـار إجـــراءات الاحـتـلال ولرفض أو تأييد المبـادرات السياسية المختلفة، والمشاركة في العمليات العسكرية ضد قوات الاحتلال الاسرائيلي. ولم يعد دور النساء مقتصرًا على المسـانـدة الاجـتـمـاعـيـة أو التعبئة الوطنية، وبدأت النساء تنخرط في دورات وأعمال الاتصال المباشر واللاسلكي، وتكوين فرق المليشيا النسائية.

ذكريات ثورية

ومـن أول مـا تحتفظ به الـذاكـرة مـن تلك الأيام عندما تم الاتصال بي من الفدائيين وطلبوا مني كتابة مقال للمجلة، ربما كانوا يريدون معرفة مدى اطلاعي وفهمي للقضية الفلسطينية، ولكني دهشت مـن الطلب، لأنني كنت أتوقع أنهم سيقومون بتدريبي فـورا لأقـوم بعملية فدائيـة. هـكذا كانت فكرتي عن المقاومة تحت وقع الهزيمة وفي ظل انتشار العمل الفدائي والكفاح المسلح.

والأمـر الثاني الـذي أذكـره جيداً، عندما اتـخذ مكتب المـرأة الحـركي عـام 1969، قرار العمل على إعادة تشكيل وتفعيل اتحاد المرأة الفلسطينية الذي تم إيقافه عن العمل عام 1966 بعد أقل من عام على تأسيسه في القدس عام 1965، هو رد الفعل الأول لدينا نحن المناضلات الشابات، فقد كانت مهمة المكتب التي تأسس مـن أجلها هي تطوير مشاركة المرأة ودمجها في التنظيم السياسي. فكيف نعود للعمل مع المرأة بشكل منفصل. ولمـاذا العـودة لتنظيم نسائي؟ ونحن نعمل على دمـج المـرأة في التنظيم السياسي العام؟ ومكتب المرأة يناضل لإقناع القيادة بمشاركة المرأة في العمل العسكري وكمائن الحراسات.

ورغـم الجـدل الـذي أثـاره إعـادة تشكيل اتحـاد المـرأة بـين عـضـوات التنظيمات السياسية، وخاصـة عضـوات المنظمات المعروفة باليسارية، إذ اعتبرت العودة للعمل على تنظيم نسائي خطوة للخلف في ظل ثورة شعبية تطمح المرأة فيها للمشاركة في النضال على قدم المساواة مع الرجل.

تم الاتصـال بجميع التنظيمات والقـوى السـيـاسـيـة لـلمـشـاركـة في تشكيل لجنة تحضيرية للاتحاد، دعيت آنـذاك باللجنة التنفيذية المؤقتة (لحين التمكن من عقد مؤتمر عام للاتحاد)، وقد ضمت ممثلات عن غالبية التنظيمات والقوى السياسية الفلسطينية. وكـان لـعـضـوات التنظيم السياسي دورًا مهمًا من وراء الستار في دعم تشكيل لجان للاتحاد في المخيمات والمناطق الشعبية لتنظيم جهود النساء الفلسطينيات المستقلات غير القادرات أو غير الراغبات في الانضمام لتنظيم سياسي، وخاصة من النساء صاحبات المهن الضرورية لتلبية

احتياجات النساء في المخيمات والمناطق الشعبية، مثل المعلمات، الممرضات والطبيبات، كما شاركت عناصر وكوادر التنظيمات السياسية في رفد نشاطات الاتحاد.

نفذ الاتحاد في مدى أقل من عام هي الفترة بين إعادة تشكيله أواخر العام 1969 وخروج قوات الثورة الفلسطينية من الأردن أواخر العام 1970، عددًا من المهام من أهمها: إقامة ثلاث معسكرات تدريب للميليشيا النسائية، تخرجت منها عناصر ميليشيا نسائية شاركت في الدفاع عن مواقع المقاومة الفلسطينية في المعارك التي خاضتها قوات الثورة. كما قام الاتحاد بالإشراف على توسيع وتطوير مشاغل أسر وأبناء الشهداء، وتشكيل فرقة للفن الشعبي طافت في عدد من البلاد العربية بهدف توفير الدعم المادي للمقاومة الفلسطينية، وإصدار مجلة مركزية للاتحاد بعنوان» الفلسطينية الثائرة «، صدر منها خمسة أعداد.

تجارب لا تنسى :

ومن التجارب التي تحتفظ بها الذاكرة من أواخر الستينات، تجربة مشغل مخيم الجوفة التي تستحق أن تروى لما فيها من تعبير عن روح المبادرة الشعبية والكفاحية العالية والقدرة على التطور والعطاء.

علمنا من بعض عضوات التنظيم في المنطقة التي يقع فيها المخيم بوجود مشكلة تواجه الفتيات الراغبات في تعلم فن التفصيل والخياطة (وكانت مهنة سائدة للفتيات في ذلك الوقت) حيث يرفض أهالي الفتيات التحاقهن بمشغل التدريب الموجود خارج المخيم، (لم يكن مسموحاً للفتيات الخروج من البيت وحدهن، لدرجة أن يتم عقد الاجتماع التنظيمي للخلية الواحدة المكونة من 5-4 عضوات على ثلاث أو أربع مراحل، أي مع كل عضو على حدة). وقد بادر الاتحاد بالتنسيق مع التنظيم النسائي فوراً للبحث عن غرفة داخل المخيم لتكون مقراً لمشغل تم تجهيزه على ما أذكر بماكينتي خياطة وبعض الأقمشة والأدوات اللازمة من قبل لجنة المشاغل التي كانت تحصل عليها عن طريق التبرعات، وتناوبت اثنتان من عضوات تنظيم فتح في المنطقة بإعطاء الدروس والتدريبات. لتكتشف المدربات بأن بعض الفتيات والنساء الراغبات في تعلم مهنة الخياطة أميات غير قادرات على القراءة والكتابة، فتم استحداث فصل محو أمية في ساعات ما بعد الظهر تطوعت إحدى الأخوات وتعمل معلمة بإعطاء دروس محو أمية. بعد قليل طلبت بعض النساء من

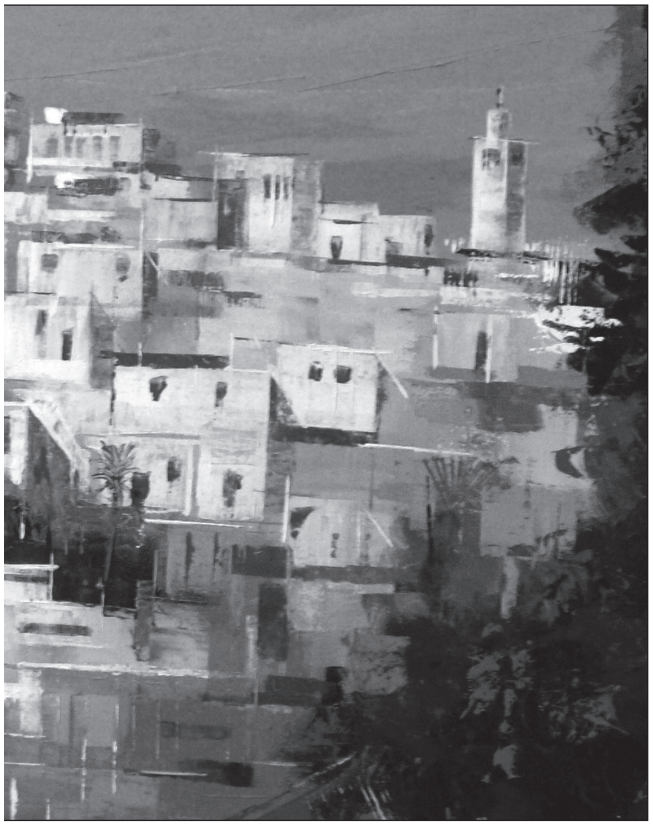

طاهر عبدالعظيم / مصر ◄

ربات البيوت الالتحاق بفصل محو الأمية والمشغل وإحضار أطفالهن معهن لعدم وجود من يرعاهم في البيت، فبدأنا نبحث عن طريقة لتوسيع المشغل ببناء غرفة أخرى، وقد تبرع عدد من أهالي المخيم بالقيام بالبناء وتأمين المواد اللازمة من جهات مستعدة للتبرع أيضاً.

بعد مضي بضعة أشهر كان المشغل يضم فصلين للتدريب على الخياطة، فصل محو أمية (تمكنت عدد من الدارسات من محو أميتهن، (فوجئنا أثناء زيارة للمشغل بقدرتهن على القراءة بطلاقة)، حضانة وروضة لرعاية أطفال المتدربات، فصل تدريب على فك وتركيب واستخدام السلاح للدفاع عن النفس إذا لزم الأمر، ولجنة سياسية تقوم بالتثقيف حول القضية الفلسطينية ودوافع وأهداف الثورة ومناقشة

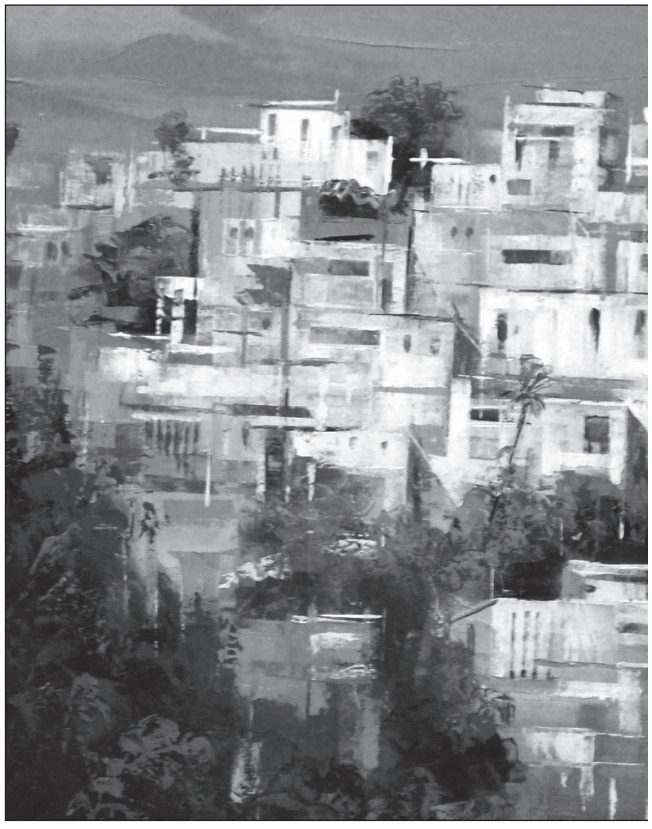

ما يستجد على الساحة من أحداث. جميع الجهود كانت تطوعّية وكذلك المواد والمعدات. بل إن المشغل الذي كان ينتج بعض الأعمال مثل الشراشف والأغطية التي تعرض وتسوق في المعارض، أصبح وبقرار من لجنة المشغل المكونة من المتدربات ينتج ملابس للأطفال ولطلاب وطالبات المدارس تباع للأهالي بأسعار رخيصة وشبه رمزية. وصار المشغل خلية عمل وملتقى ومفخرة لأهالي المخيم وقدوة تحتذي بها المشاغل الأخرى، واكتسب عمل المرأة مع الثورة والاتحاد في المخيم والمناطق المحيطة ثقة جعلتهم لا يدققون في تحرك الفتيات، بل أصبحوا يفخرون بعمل بناتهم ونسائهم وحتى عندما يضطرهن العمل للتغيب عن البيت لأيام للمشاركة في معسكرات التدريب أو للحراسة في الكمائن أو على أجهزة اللاسلكي أثناء المعارك التي خاضتها قوات الثورة.

من خلال مواكبتي للنضال الوطني للمرأة في المقاومة الفلسطينية، فقد شهدت على تطور المشاركة النسائية الذي لم يحدث بسهولة، وبدون مواجهة صعوبات وعقبات وخوض صراعات اجتماعية وسياسية، سواء مع عائلات النساء أوداخل التنظيمات السياسية الفلسطينية . فقد واجهت الفتيات والنساء صعوبات في الخروج من المنزل في أوقات غير مألوفة ولغايات سرية وغير مألوفة، بسبب خوف العائلات من عواقب المشاركة في الأعمال السياسية أو العسكرية، لدرجة ان بعض الاجتماعات السياسية لخلايا ولجان المرأة كانت تتم في بعض الاحيان مع كل واحدة على حده في بيتها، تجنباً لحدوث مشاكل بين المرأة وأسرتها. كما واجهت النساء اللواتي انخرطن في التنظيمات السياسية صعوبات في إقناع

القيادات السياسية بتطوير مهام النساء في العمل الفدائي.

بالرغم من القبول الذي لاقته مبادرات النساء في دعم العمل الفدائي من خلال نشاطات الرعاية الاجتماعية وفي النشاط الوطني العام، فإنها لم تلق نفس القبول من بعض قيادات التنظيمات السياسية لدى مطالبتها بدمج تنظيم المرأة بالتنظيم السياسي العام، أو في تطوير مهمات التنظيم النسائي. وقد خاضت النساء في معظم التنظيمات السياسية صراعات حادة في بعض الأحيان، لإقناع القيادات فيها بتمثيل المرأة في مؤتمراتها العامة أو في اللجان القيادية، أو لإشراك النساء في حراسة المواقع العسكرية واعمال الاستنفار العسكري.

أصبحت العائلات أقل مقاومة لخروج الفتيات والنساء للمشاركة في العمل الوطني

مع تطور مشاركة النساء في كافة الأعمال السياسية والعسكرية، وتزايد عدد المعتقلات في سجون الاحتلال بتهم المشاركة في العمليات الفدائية، بدأت تواكب التجربة بعض التغيرات الاجتماعية والسياسية، إذ اصبحت العائلات أقل مقاومة لخروج الفتيات والنساء للمشاركة في العمل الوطني واكثر ثقة بهن، بل ان بعض العائلات بدأت تفخر بجهود ومشاركة المرأة، واخذت الصحف والمجلات تغطي أخبار البطولات النسائية في مقاومة الاحتلال، وتلفت الأنظار إلى قدرات النساء على العمل السياسي والعسكري، وشجاعتهن في مواجهة ظروف الخطر أثناء المعارك العسكرية.

المحطة الثانية :

شكلت تجربة النساء في ساحة الأردن خميرة لتجربة المرأة الفلسطينية فيما بعد، إلا أن النقلة النوعية المهمة في عمل الاتحاد جاءت بعد انتقال قوات ومكاتب الثورة الفلسطينية إلى لبنان. ورغم حالة الإحباط التي عمت الساحة الفلسطينية بعد أحداث أيلول عام 1970، إلا أن الكوادر النسائية القادمة من الأردن لم تستسلم، بل دفعتها شحنة عالية من الغضب على الخسارة التي منيت بها الثورة الفلسطينية وضرب ما تم إنجازه في ساحة الأردن إلى الاندفاع وتكثيف الجهود لإعادة البناء في الاتحاد كما في التنظيم السياسي.

وأخذت تتواصل مع الكوادر النسائية في لبنان، وتم تشكيل لجنة تحضيرية للاتحاد في لبنان ضمت ممثلات عن التنظيمات الفلسطينية المتواجدة على الساحة اللبنانية، مهمتها إعادة الاتصال بالقاعدة النسائية لتشكيل لجان للاتحاد في المخيمات الفلسطينية. كانت فترة إعادة تأسيس الاتحاد هي ذات الفترة التي تم فيها تأسيس العديد من أجهزة ومؤسسات الثورة ودوائر وممثليات منظمة التحرير الفلسطينية، وكذلك إعادة ترتيب أوضاع الجاليات الفلسطينية في مختلف بلاد الشتات.

كنا نقوم فرادى وأحياناً كمجموعة من تنظيمات مختلفة بزيارة عدد من النساء القادرات على التعبير عن احتياجات النساء في المخيم، ومناقشة أفضل السبل للتعاون في وضع برامج عمل لتلبية هذه الاحتياجات، مثل عقد دورات محو أمية وفتح مراكز تدريب وتشغيل لفتيات ونساء المخيم، وتأسيس رياض وحضانات لأطفال النساء العاملات . أذكر أننا خلال أقل من عام كنا قد شكلنا لجان في جميع المخيمات الفلسطينية في لبنان، قامت بدور حيوي مع اللجان الشعبية في تحسين شروط الحياة في

المخيمات، وبدأت لجان الاتحاد بفتح مراكز للأمومة والطفولة بالتعاون مع الهلال الأحمر الفلسطيني الذي يرسل طبيبا أو طبيبة للمركز في ساعات معينة، وكان الاتحاد يوفر الجهود التطوعية في التمريض والتدريب على الإسعافات الأولية للمساعدة في تضميد الجرحى من المقاتلين والأهالي داخل المخيم أثناء المعارك التي خاضتها الثورة في الساحة اللبنانية.

بعد عقد المؤتمر الأول للاتحاد في لبنان في مخيم ضبية منتصف العام 1971، تواصل العمل مع الكوادر النسائية في الساحات المختلفة لتشكيل فروع للاتحاد في جميع بلاد الشتات الفلسطيني، تمهيدًا لعقد المؤتمر العام الثاني للاتحاد العام للمرأة الفلسطينية. ولدى عقد المؤتمر عام 1974 شاركت به ممثلات لسبعة عشر فرع للاتحاد في البلاد العربية، وممثلات لعدد من روابط ولجان الاتحاد في بعض دول أوروبا وأمريكا حيث تتواجد جاليات فلسطينية، كما حضر المؤتمر أكثر من عشرين وفدًا نسائيًا من دول عربية وأجنبية، كان من بينها وفد من لجنة نساء السوفييت، ومن فيتنام وكوبا والاتحاد النسائي الديمقراطي العالمي، الذي أصبح اتحادنا فيما بعد عضواً في المكتب الدائم لهذا الاتحاد. وقد مثل هذا المؤتمر التأسيسي الثاني انطلاقة قوية للمرأة الفلسطينية على المستويين العربي والدولي.

وبلغ الاتحاد من القوة والزخم في هذا المؤتمر لدرجة تبنيه موقفًا سياسيًا مستقلاً عن موقف القيادة السياسية للمنظمة الذي تبنته في الدورة العاشرة للمجلس الوطني في وقت سابق من نفس العام 1974، وما زلت أذكر حجم وحدّة النقاش السياسي التي سيطرت على أروقة وأعمال المؤتمر لدرجة لم أجد فيه وقتًا ولا أذنًا تصغي لما كنت أحمله من تقارير حول بعض المشاكل الاجتماعية التي تواجه النساء والفتيات العاملات في صفوف الثورة، وكنت آمل أن تأخذ حقها في النقاش والقرارات والبيان الذي يصدر عن المؤتمر. وأذكر من الشعارات التي رفعها الاتحاد أثناء انعقاد المؤتمر، شعارين هما: «تحـررك ...في نضـالك» و «روضـة لكل مخيم».

وهنا تحضرني تجربة تأسيس أول روضة للاتحاد، وهي من التجارب التي تحفظها الذاكرة من تلك الأيام لما فيها أيضًا من روح المبادرة والإبداع، في مواجهة المشاكل التي تعترض طريق النساء. بدأنا بمواجهة مشكلة رعاية أطفالنا نحن النساء المناضلات في صفوف الثورة، حيث كانت مرحلة التأسيس تتطلب جهود كبيرة ووقت طويل لدرجة كنا نتمنى لو يصبح عدد ساعات اليوم أكثر من 24 ساعة، التي لم تكن تتسع لحجم العمل المطلوب إنجازه. في العام 1971 وأثناء العمل على تشكيل لجان الاتحاد في المخيمات، توصلنا لطريقة الرعاية المتبادلة لأطفالنا مبدئياً لحين إيجاد حل آخر تستفيد منه أعداد أكبر من النساء العاملات.

كان الاتحاد يوفر الجهود التطوعية في التمريض والتدريب على الإسعافات الأولية

الخطوة الأولى نحوتحقيق الشعار (روضة لكل مخيم) :

قررنا مجموعة من المناضلات الأمهات السطو على إحدى غرف المقر الوحيد للاتحاد آنذاك وكان في منطقة «رأس بيروت» نزلة الحمام العسكري، قمنا بتفريغ الغرفة من المكاتب، ووضعنا فيها سريرين، وبعض الطراريح وطاولة للغيار للأطفال

الرضع وبعض الألعاب أحضرناها من بيوتنا، وصرنا نتناوب على رعاية أطفالنا كل واحدة منا ترعى الأطفال يومًا في الأسبوع وتكونٍ حرة في الحركة بقية أيام الأسبوع، وطبعاً كل أم تحضر احتياجات أطفالها من الحليب والغيارات وخلافه. بعد ذلك تم التنسيق مع دائرة التخطيط التربوي في مركز التخطيط الفلسطيني للعمل على برنامج تطوير وتوسيع شبكة رياض الأطفال في المخيمات الفلسطينية.

لدى خروج قوات منظمة التحرير الفلسطينية من لبنان صيف العام 1982، كانت اللجنة الاجتماعية في الأمانة العامة للاتحاد، التي تمثلت فيها جميع المنظمات والمؤسسات الفلسطينية التي لديها حضانات أو رياض للأطفال، تشرف على 57 روضة وحضانة في مختلف المخيمات الفلسطينية، بعضها من تأسيس فرع الاتحاد في لبنان والبقية لعدد من المؤسسات والمنظمات الفلسطينية. ويشمل الإشراف تدريب المربيات ومعلمات ومديرات الرياض، بالإضافة للإشراف على منهاج وبرامج رعاية الأطفال. كانت من بين أفضل الحضانات الحضانات البيتية التي كانت ترعاها ربة بيت في بيتها ومع أطفالها، والاتحاد يؤمن التدريب لهؤلاء النساء ويشرف أيضًا على برنامج الرعاية التربوية والصحية المقدم للأطفال، بالتعاون مع الهلال الأحمر الفلسطيني. ويعود الفضل لاكتشاف هذا النوع من الحضانات، إلى سيّدة عجوز كانت تعيش مع زوجها في مخيم شاتيلا، تبين أنها وزوجها يعيشان على ما تتقاضاه من النساء العاملات من جاراتها مقابل رعاية أطفالهن أثناء وجودهن في العمل.

عندما وقع الاجتياح الإسرائيلي للبنان، كان الاتحاد على وشك إطلاق منهاج خاص برياض الأطفال الفلسطينية بالتعاون مع عدد من الأساتذة والمربين المتطوعين للتعاون مع مشروع برنامج أطفال المخيمات الفلسطينية وبدعم من منظمة اليونيسيف بعد صدور قرار من الجمعية العامة للأمم المتحدة (بتوصية من لجنة تقدم المرأة في الأمم المتحدة) لدعم مشاريع وبرامج المرأة والطفل الفلسطيني. لقد عملت النساء في ظروف من المعارك، والاعتداءات والاجتياحات العسكرية لجنوب لبنان، وكل ما تتركه من ويلات، وطورت أشكال نضالها في ظل معارك وحروب خاضتها مع شعبها بكل ما يكتنفها من قصف وخطف وظروف توتر وقلق قبل أن يكون على حياتها وأفراد أسرتها على الثورة ومستقبل القضية.

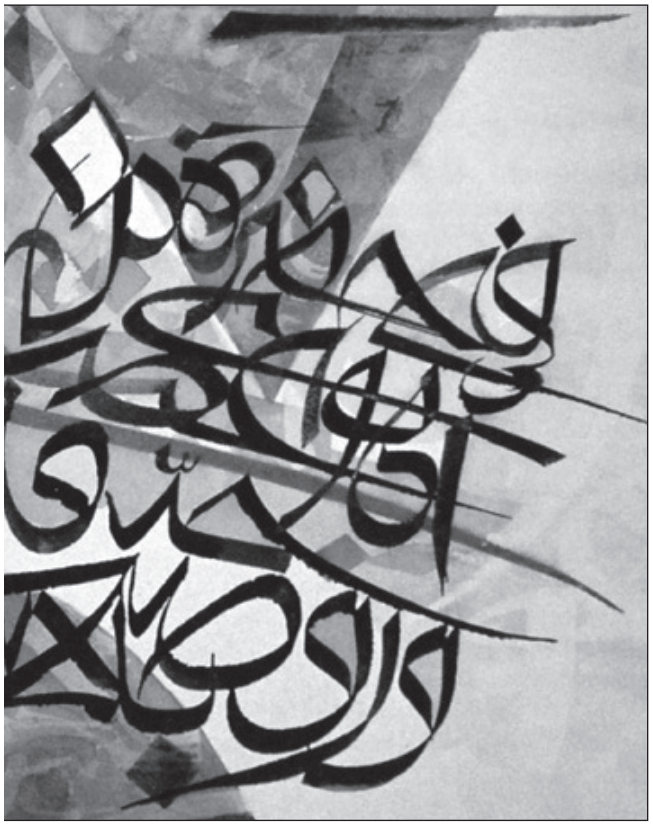

تاج السر حسن / السودان ◄

تطور الدور السياسي للمرأة الفلسطينية

لم يقتصر دور المرأة في المقاومة على صعيد تنظيم وتطوير جهود المرأة الفلسطينية ودمجها في النضال الوطني، بل أصبحت معسكرات التدريب السياسي والعسكري جزءًا طبيعيًا من مهام التنظيمات السياسية، وتكونت فرق للميليشيا النسائية تشارك في كمائن الدفاع عن المخيمات ومواقع عمل أجهزة ومكاتب الثورة الفلسطينية. ونجح الاتحاد في الدفاع عن حق المرأة بالمشاركة في مواقع صنع القرار والوفود السياسية، حتى ارتفعت نسبة تمثيل المرأة في المجلس الوطني عام 1980 إلى ما يقارب ال 10% من أعضاء المجلس.

كما قام اتحاد المرأة بدور رئيسي في إيصال قضايا المرأة والشعب الفلسطيني إلى العالم عبر علاقاته الثنائية مع العديد من الاتحادات والجمعيات النسائية في البلاد العربية والعالم، وعبر مشاركته في الجهود الدولية من أجل تقدم وضع المرأة، وتمكنت وفود الاتحاد من الحصول على العديد من القرارات الدولية لتأييد قضايا المرأة والشعب الفلسطيني في المؤتمرات الدولية، كما حدث في المؤتمر الدولي الأول للمرأة المنعقد في المكسيك عام 1975، عندما أدينت الصهيونية كحركة عنصرية، وعندما تمكن الاتحاد من انتزاع قرار بتكليف الأمين العام للأمم المتحدة عام 1977 بتقديم تقرير سنوي حول أوضاع المرأة والطفل الفلسطيني في الأراضي الفلسطينية المحتلة، يتم بعد مناقشته في الاجتماع السنوي للجنة تقدم المرأة في الأمم المتحدة رفع توصيات للجمعية العامة للأمم المتحدة لدعم برامج ومشاريع المرأة والطفل الفلسطيني، والعمل على إنهاء الاحتلال باعتباره العقبة الرئيسة في طريق تقدم وضع المرأة وفي طريق تحقيق السلام في منطقة الشرق الأوسط.

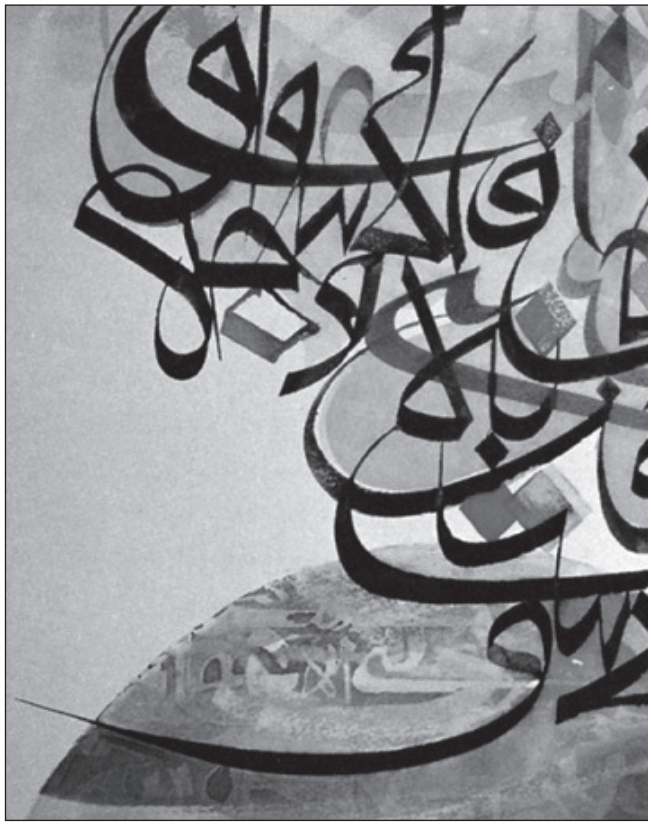

في مسيرة الثورة، كنت أقول : هانحن نكتب في الأرض بين الناس، نصنع تاريخا» جديدا» لامتنا، ها نحن نعيد ترتيب الحياة لنا ولأطفالنا من بعدنا، وبالفعل، جذر اللغة، نكتب النظرية المتحولة. كانت الثورة الكتابة الوحيدة الممكنة والشافية، التي تعيد لروحي اتزانها ولعقلي اتساقه. كنا نعمل بين الناس، نفكر معا» ونعمل معا». ننظم اللجان الشعبية، نحرس المواقع، نقود المظاهرات، ننظف الشوارع، نوزع الطعام ، نسعف الجرحى، ندرب النساء ونعلم الأطفال، نذهب أو نلتقي بالوفود، نصنع ونعرض الأفلام في القواعد والمخيمات، نؤسس ذاكرة مرئية لأمتنا ونمتد على أطراف الدنيا. نقرأ ونكتب معا» في كتاب الثورة

نبحث عن لغتنا الحق، ونغني لفلسطين، ففيها التقت كل هموم الإنسانية.

من العمل على الأرض إلى الكتابة :

بعد خروج قوات الثورة من الأردن بدأ التطور الذي حدث في تجربة المرأة في الفترة ما بين 1967-1971، والتغيرات الاجتماعية والسياسية التي رافقته، تشهد انحسارًا. وبدأنا نسمع انتقادات من كوادر وقيادات سياسية تتكئ على ممارسات خاطئة حدثت خلال التجربة، أو بعض السلبيات التي نتجت عنها، لتقاوم استمرار المشاركة النسائية وتطورها، خاصة في مجال المشاركة في اللجان القيادية والمكاتب السياسية للتنظيمات. وقد بلغ بعض الانتقادات حد الاستخفاف والسخرية من جهود ومشاركة المرأة وإطلاق عبارات مثل: «حكي أوشغل نسوان». مثل هذه المواقف شكلت نوعًا من الاستفزاز لبعض الكوادر النسائية تحول إلى حافز للتفكير بتسجيل تجربة المرأة في الثورة كي لا يطمس الزمن هذه التجارب الإنسانية المقدامة، كما انطمست تجارب ومشاركات النساء في المراحل الأولى للنضال الوطني الفلسطيني.

قام الاتحاد بإيصال قضايا المرأة عبر علاقاته مع الاتحادات والجمعيات النسائية

إن مواكبتي لهذه التجربة الفذة جعلتني ألمس عن قرب اندفاع النساء للعمل المتواصل دون كلل أو ملل، وقدرتهن على مواجهة الخطر بشجاعة فائقة، وعلى تحدي الصعوبات بأفكار مبدعة في حل المشاكل التي تواجههن، وخاصة النساء في المناطق الشعبية والمخيمات. الأمر الذي طرح في رأسي سؤالا «كبيرا»، ما الذي يدفع النساء لهذه المشاركة العظيمة، في مثل هذه الظروف الصعبة والخطرة، رغم أن المجتمع لا يطالبهن بذلك ؟

سؤال طالما تردد في نفسي وأنا أعايش هذه التجربة التي كانت من أغنى التجارب في حياتي، وقد ايقظت وعيي على الطاقة الهائلة والابداعات العظيمة الخفية والمهدورة لدى النساء، التي ما إن تجد منفذاً لها حتى تنفجر كالبركان، لقد زادت هذه التجربة من ثقتي بنفسي كامرأه، وزادت من ثقتي بأهمية دور النساء في بناء المجتمع الانساني السليم. وإنني شخصيًا ادين لهذه التجربة بالكثير من وعيي السياسي ووعيي بقضية المرأة كقضية سياسية من الدرجة الاولى.

ذكريات حول الكتاب الأول :

في بيروت أواخر عام 1971 اوائل عام 1972، تعارفنا مجموعة من النساء يجمعنا الهم الفلسطيني، والظروف الصعبة التي تعيشها الثورة الفلسطينية بعد خروجها من الأردن، والقلق على مصير تجربة المرأة فيها. وبدأنا نكتشف أثناء حواراتنا بأننا نلتقي حول فكرة ضرورة تسجيل تجربة المرأة في الثورة الفلسطينية، فاتفقنا على ان تضع كل منا تصوراً حول الفكرة، ونلتقي في موعد حددناه مسبقاً، لبلورة فكرة المشروع معاً . وفي لقائنا الأول قررت المجموعة أن اتولى الاشراف على المشروع، حيث تبين للمجموعة ان التصور الذي اعددته كان الاكثر تكاملاً، وربما ساعدني في ذلك مجال تخصصي وعملي كإخصائية نفسية. وأذكر من هذه المجموعة الأخوات: ثريا عبيد الشريف، حسناء مكداشي، جيهان الحلو، وسميرة عسل.

هكذا بدأت الفكرة. فلم نأخذ زمام المبادرة للتحرك العملي إلا عندما وجدنا أن الفكرة جماعية، وكنا نطمح أيضًا» لان نقوم بالعمل بشكل جماعي . فقد كنا نعيش حالة ثورية

تدعونا لنبذ الفردية وتعميق الروح الجماعية في العمل. ولم تكن لدينا فكرة للبحث عن دعم مادي أو مصدر تمويل للمشروع. ولكن تمكنت المجموعة فيما بعد من إقناع مدير مركز التخطيط آنذاك بتبني المشروع، وتم تفريغي على كادر المركز لمتابعة العمل عليه.

لم تسر الأمور كما كنا نرغب، فقد حاصرتنا مجموعة من الظروف السياسية مثل وقوع عدة اعتداءات إسرائيلية على قواعد المقاومة الفلسطينية في جنوب لبنان عام 1972، والاشتباكات التي وقعت بين الجيش اللبناني وبين المقاومة الفلسطينية بداية عام 1973، هذا بالإضافة لظروفنا الاجتماعية كنساء عاملات ومناضلات سياسيات وربات بيوت في نفس الوقت. مما أدى إلى أن ينحو المشروع منحى غير الذي بدأ به. فبعد مرور المدة المقررة لانتهاء العمل عليه، لم يكن قد تجاوز مرحلة جمع المصادر والمعلومات والبيانات وإجراء المقابلات. في هذه المرحلة اضطرتني أيضًا ظروف خاصة خارجة عن إرادتي لايقاف العمل عليه لمدة 6 اشهر، انتهى أثناءها تفرغي للعمل عليه، كما تغيرت ظروف النساء في المجموعة، فمنهن من سافرت للخارج أو من عادت للدراسة أو تزوجت أو طرأت ظروف على اسرتها لم تمكنها من متابعة العمل. فدخل المشروع في ظروف اكثر تعقيدًا، ولم يعد بيننا من هي متفرغة للعمل عليه، ليس من السهل على النساء التفرغ للكتابة. وجدت نفسي امام مسؤولية اتمام العمل وحدي في ظروف لا تقل صعوبة عن ظروف بقية المجموعة. توقف العمل عليه مرة اخرى، حتى استقرت ظروفي إلى حد يسمح بمتابعة العمل بين الحين والاخر، وانتهت كتابة المسودة الأولى وطباعتها حوالي منتصف عام 1973.

عندما انظر الآن إلى هذا الكتاب تلفت انتباهي الورقة الملصقة على الصفحة الأولى بعد الغلاف، وتحمل عبارة «هذا الكتاب يعبر عن وجهة نظر الكاتبة» وعليها توقيع الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية. هذه العبارة تذكرني بالصعوبات التي واجهها الكتاب والجدل الذي استغرقه قبل النشر.

كنت بعد الانتهاء من طباعة مسودة الكتاب قد قمت بتوزيع عدد من النسخ ، على بعض الكوادر النسائية التي واكبت تجربة المرأة في الثورة، وبعضهن ممن شاركن في مناقشة الفكرة الاولية للكتاب من اجل الاطلاع عليه ومراجعة محتوياته وابداء الرأي حولها أو اقتراح تعديلات فيها، لكن جهودي لم تنجح في الحصول على مراجعة دقيقة أو أية آراء واقتراحات جوهرية للتعديل. فقد مرت شهور قبل ان اتمكن من اللقاء بثلاثة من الكوادر فقط، وكانت قد مرت مدة طويلة على قراءتهن له، بسبب الآثار السياسية لحرب تشرين الأول أواخر عام 1973 و نتائج المجلس الوطني الفلسطيني العاشر عام 1974 على ساحة المقاومة الفلسطينية. و عند التفكير بنشر الكتاب، أعطيت الأولوية لمركز التخطيط الفلسطيني نظراً لدعمه للمشروع في مراحله الأولى، وتم تقديم نسخة من الكتاب إلى مدير مركز التخطيط أواخر عام 1974، الذي كان قد تغير ولم يكن هو ذات المدير الذي أقر تفرغي في المركز للعمل على الكتاب وإنهائه بسبب غيابي لمدة ستة أشهر، رغم أن غيابي كان بسبب إقامة جبرية ولأسباب لها علاقة بانتمائي للمقاومة الفلسطينية. وقد أبدى المدير الجديد تحفظًا على نشره كما هو، بحجة

اندفاع النساء للعمل المتواصل دون كلل، وقدرتهن على مواجهة الخطر بشجاعة فائقة

إن التحليل النظري الوارد في الكتاب لا يتفق مع وجهة نظر المركز، ولابد من إجراء بعض التعديلات عليه قبل نشره من قبلهم.

صحيح أن الكتاب كان تجربتي الأولى في البحث، إلا أنني كامرأة معنية ومواكبة لهذه التجربة، كنت مقتنعة بما ورد فيه من معلومات وآراء، اضافة إلى انني لم أتلقّ اية آراء أو اقتراحات جوهرية للتعديل من الكوادر النسائية. وهكذا فكرت بتقديمه للامانة العامة للاتحاد العام للمرأة الفلسطينية، كاطار له أولوية في تبنيه ونشره. لم افكر قط في تقديمه لأي دار من دور النشر الكثيرة في بيروت، لان فكرة الكتاب اصلاً لم تكن أساسا» بهدف النشر بحد ذاته، بقدر ما كانت من اجل تسجيل تجربة المرأة في الثورة وطرحها للنقاش بكافة ابعادها بين الكوادر النسائية، وداخل التنظيمات السياسية الفلسطينية بهدف تطوير تجربة المرأة في الثورة.

عندما قدمت نسخة الكتاب للاتحاد، علمت أنه آثار جدلاً حادًا بين عضوات الأمانة العامة، فالبعض لم يتفق مع الآراء الواردة فيه وخاصة ما يتعلق بالنظرة النقدية لتجربة المرأة الفلسطينية في الاتحاد أو في بعض التنظيمات السياسية، وربما بسبب المقدمة النظرية التي لا تتفق معها العضوات المؤيدات للرؤية الاشتراكية الماركسية. وبقي قرار نشر الكتاب معطلاً لعدة أشهر. ولم يرى الكتاب النور الا في عام 1975، وهو العام الذي كرسته الامم المتحدة عاماً دولياً للمرأة، وبعد دخول الاتحاد في عمليات الاعداد للمؤتمر الدولي الأول للمرأة عام 1975، والحاجة لاصدار مطبوعات اعلامية ودراسات حول المرأة الفلسطينية.

وهكذا تقرر حسم الجدل ونشر الكتاب كما هو مع وضع العبارة المشار اليها، بان الكاتبة مسؤولة عن الآراء الواردة فيه. ولولا ذلك ربما لما حمل الكتاب اسمي، فقد كنت اعيش حالة من الرومانسية الثورية الفائضة، وكان من الممكن ان ينشر الكتاب باسم الاتحاد، كما حدث في عدد من الاوراق والكتيبات والنشرات التي كنت اقوم باعدادها في ذلك الوقت.

نظرة سريعة على الكتاب:

جاء الكتاب محاولة جادة لمقاربة الحقائق بأكبر قدر ممكن من الدقة والموضوعية، في رصده لتجارب المرأة في الانتفاضات الشعبية في فلسطين قبل عام 1948، وفي الاحزاب العربية في الفترة ما بين 1948-1967، التي ندر وجود مصادر مكتوبة لها، وقد تم جمع معظم مادتها من مقابلات مع

صفية بن زقر / السعودية

قيادات سياسية وشخصيات عاصرت هذه المراحل.

وحقق قدرًا من الاهداف التي كتب من أجلها. فقد قام الكتاب بتسجيل التجربة وحمايتها من الضياع، وتناولها بالتحليل النقدي المفصل لكافة جوانبها مثل: الدوافع الذاتية والموضوعية لمشاركة المرأة، الأعمال التي قامت بها والعقبات التي واجهتها، الاقتراحات لتذليل العقبات، وإمكانيات تطوير دورها. كما قام الكتاب برصد التغيرات الاجتماعية والنفسية والثقافية التي رافقت التجربة بهدف طرحها للنقاش. مما نشط الحوار حول قضية المرأة ودورها في الثورة داخل التنظيمات الفلسطينية، التي قامت بدعوتي لمناقشة الكتاب مع كوادرها السياسية.

وقد شكل الكتاب خروجًا عن الكتابة

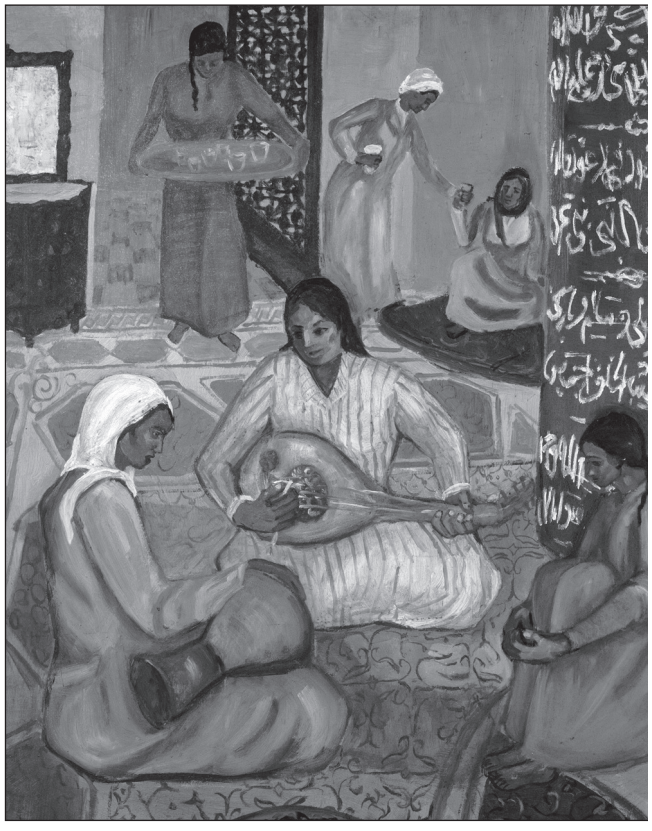

السائدة حول المرأة الفلسطينية، التي كانت تطغى عليها الخطابة الإعلامية والنظرية، أوالكتابة الوجدانية والعاطفية عن تضحيات وبطولات النساء والأمهات الفلسطينيات. ولم يقع في فخ الاغراق في التنظير أو الاعلامية الدعائية التي كانت سائدة في ذلك الوقت. انني أعتز بتجربة هذا الكتاب على بساطته وتواضعه، لتميزه بالرؤية النقدية لتجربة كنت إحدى المشاركات بها.

الكتابة حول المرأة بين الامس واليوم:

استمر اهتمامي بقضايا المرأة والكتابة حولها مع استمرار مواكبتي لتطور تجربة المرأة الفلسطينية، وتجارب النساء في الأردن والبلاد العربية والعالم . فمن خلال تجربتي العملية مع النساء من مختلف الشرائح الاجتماعية لسنوات طويلة، تراكمت لدي ملاحظات هامة وقوية يصعب تجاهلها، حول وجود خصوصية نسائية في النظر للأشياء وللحياة، وفي التعامل معها والتعبير عنها. ولقد تأكدت هذه الملاحظات عبر مطالعاتي حول الإشكالية النسائية في مجالات علم النفس (مجال تخصصي) وفي علوم الاجتماع والأنثربولوجيا وفي السياسة ، فبدأت كتاباتي وأبحاثي تتخذ اتجاهاً في البحث حول هذه الخصوصية، ومدى أهميتها لمواجهة هيمنة العقلية الأبوية، التي تكرس المفاهيم السلطوية والتملكية لدى الحكومات وكافة أنواع السلطات والقيادات الرسمية والشعبية بما فيها اليسارية والثورية. اذ تقف هذه العقلية عائقاً امام ادماج الأفكار المختلفة للنساء والشباب، لمواجهة المعضلات التي تعاني منها المجتمعات البشرية، وعلى رأسها قضايا الفساد السياسي والإداري والمالي، التي أصبحت تنخر بنية هذه المجتمعات، وخاصة في بلادنا العربية، التي

لا تزال ونحن في نهاية القرن العشرين، تحبو بتردد وخيفة نحو الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان.

وعندما أقارن بين كتابتي الأولى حول المرأة وكتاباتي الحالية، لا أجد في الحقيقة اختلافًا في الدوافع والمنطلقات، فدوافعي ومنطلقاتي كانت ومازالت واحدة، وهي دوافع انسانية تستند إلى أسس أخلاقية. لقد جاء اهتمامي بتجربة المرأة في الثورة والكتابة حولها بدافع الشعور بالظلم المركب الواقع عليها، والخسارة الفادحة التي تلحق بالمجتمع وبالثورة بالذات، نتيجة للتمييز ضدها وعدم تقدير جهودها. خاصة بعد أن بدأت ألمس في تطور مشاركة المرأة في الثورة والتغيرات النفسية والاجتماعية التي ترافقها، طاقة هائلة ترفد مسيرة الثورة، وإنما تعد بتحرير المجتمع من المفاهيم المتخلفة التي تعيق التقدم نحو بناء مجتمع الحرية والعدالة والكرامة الإنسانية. وجاء اهتمامي لاحقًا بالبحث والدراسة حول خصوصية الرؤية النسائية، في الثقافة واللغة وفي الإدارة والقيادة السياسية، والكتابة حول إدماج هذه الرؤية في بنية مؤسسات المجتمع وفي رسم السياسات واتخاذ القرارات، من نفس الدوافع والمنطلقات الأخلاقية الأولى. ويأتي التركيز على الخصوصية النسائية من رؤيتي بأن مشاركة النساء تشكل إضافة نوعية للمجتمع وليس إضافة كمية وحسب.

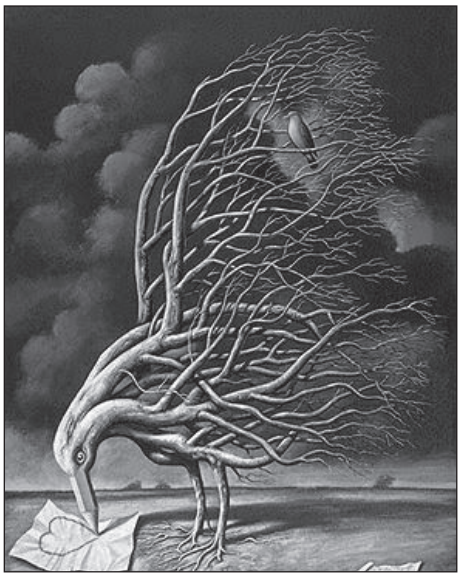

رافال أولبنسكي / بولندا

وسيلة أخرى للكفاح: السينما الفلسطينية

رغم أننا التقينا مصطفى أبو علي وأنا في أفكارنا وآمالنا وعواطفنا من قبل، إلا أن لقاءنا في الثورة عمق علاقتنا وارتباطنا ببعض، و فتح لي طريقًا جديدًا للتواصل والنضال من خلال اللغة الصورية بالسينما. فقد تعرفت من خلال علاقتي بمصطفى على سلافة جاد الله وهاني جوهرية، وهم يفكرون بتشكيل وحدة أفلام فلسطين، ليعبروا بواسطة الفن السينمائي الذي يعبر عن ثورة الشعب الفلسطيني وتطلعه نحو تحرير أرضه وتحقيق آماله في الحرية والاستقلال.

وبدأت عملي مع وحدة أفلام فلسطين كمتطوعة في العروض التجريبية للأفلام في المخيمات، منذ بداية تأسيس قسم السينما والتصوير حيث كنت أساعد في أي عمل مطلوب، من تسجيل صوت، تصوير فوتوغرافي، في العمل الإداري، كمساعدة مخرج أثناء المونتاج على بعض الأفلام، كمساعدة إنتاج لبعض أفلام الإنتاج المشترك، ثم في تأسيس قسم الأرشيف والسينماتيك بعد تحول وحدة أفلام فلسطين إلى مؤسسة السينما الفلسطينية، وأخيراً بوضع سيناريو وإخراج لفلمين وثائقيين : أطفال ..ولكن ، ونساء من بلادي، الذي كنت في مرحلة المونتاج من العمل عليه واستغرق عامين من العمل، لكنه فقد بعد أول قصف وإنزال للقوات الإسرائيلية على بيروت في الرابع من حزيران 1982، حيث قطعت القوات الإسرائيلية طريق المدينة الرياضية المؤدي لأستوديو الصخرة مكان العمل على الفيلم. وبعد ذلك فقد الأرشيف السينمائي الذي أسست وكان له قصة. ما

أكثر الخسارات التي يتعرض لها الشعب الفلسطيني، وهو يخوض كل هذه المعارك والحروب مدافعاً عن وجوده وحقه في الحياة الحرة الكريمة.

ما سحرني في العمل السينمائي هو رد الفعل الشعبي لمشاهدة الأفلام الفلسطينية، فقد لاقت الأفلام إقبالاً مثيرًا للدهشة من الجماهير، وهم يشاهدون أنفسهم لأول مرة على الشاشة التي اعتادوا أن يروا عليها نجوم السينما، ورأوا فيها مشاهد من حياتهم، رأوا لأول مرة أفلام تتحدث عن همومهم وآمالهم وبطولاتهم، وأخذت الأفلام الفلسطينية طريقها للعرض في الجامعات والمدارس والنوادي، وأصبح الفيلم الفلسطيني رفيق الوفود السياسية إلى المؤتمرات أو في زياراتها لدول العالم، وتوزع نسخ الأفلام في أنحاء مختلفة من العالم. أصبح الفيلم الفلسطيني نجم المهرجانات السينمائية الدولية طوال عقد السبعينات، ولعب دورًا كبيرًا في نشر مفاهيم الثورة والتعريف بالقضية وتطلعات الشعب الفلسطيني.

تعريف موجز:

خديجة الحباشنة امرأة من أصول ريفية من مدينة الكرك جنوب الأردن، تفتح وعيها في أوساط وتقاليد لا تزال متأثرة بالثقافة والتقاليد البدوية، وهي وإن تضمنت بعض المفاهيم البدائية التقليدية، إلا أنها كانت تتمتع ببساطة تسمح بالانفتاح نحو ما هو جديد ومختلف. تعرفت على المأساة الفلسطينية من أفواه صويحباتها في المدرسة، ومن مرورها اليومي عبر المخيم في طريها إلى المدرسة.

حاصلة على الماجستير في علم النفس، ورغم أنني أعددت أطروحة الدكتوراة، لكني لم أحصل على الدرجة، حققت هدفي بإعداد البحث وتوظيف ما تعلمته منه في عملي مع النساء، كما لم تتوفر لدي إمكانية أو داع لدفع مزيد من التكاليف المادية. البحث والدراسة لم تكن يوماً عندي للحصول على شهادة أو درجة، كان الفضول المعرفي وراء كل بحث أو دراسة قمت بها، ثم الحاجة لتوظيفها في التجربة العملية، وحتى عندما مارست التعليم الجامعي كمحاضرة كان ذلك لأبقى على صلة بالعلم والأجيال الجديدة ومواجهة ظروف الاحتلال التي تعيشها الجامعات الفلسطينية.

ميشا غوردن/ لاتفيا

القناعة والمبادرة قادت تجربتي في الحياة لم أخضع لمبدأ التخصص المطلق لا يعنيني التراكم الكمي وامتلاك اللقب، قضيت حياتي أفعل ما أقتنع به وأرغب وكأني ألعب، فقد كنت أحب وأستمتع بما أعمل. لم أترشح يومًا أو أسعى لموقع، كل المواقع التي تحملت مسؤوليتها حصلت عليها وأنا غائبة عن موقع الانتخاب في عمل ما. وجاءت نصوص كتاباتي الأدبية التي كانت تداهمني على حين غرة، فقد كانت آلام وبطولات الشعب الفلسطيني مثل قصائد تسير أمام عيني على الأرض، كما جاءت مشاركتي في سينما الثورة مثل حنين للفن الذي هجرت، وعودة للتواصل مع الناس حول القضايا التي ملكت عقلي وروحي.

ناشطات أردنيات في الميدان العام:

(السيدة سلوى زيّادين؛ بثينة جردانة؛ أسمى خضر)

مقابلات قديمة أجرتها وأعدّتها للنشر:

د. سلوى العمد

السيدة سلوى زيّادين (في لقاء معها بتاريخ: 27/8/1992)

ولدت في العام 1921، لأم لبنانية وأب سوري. تعرفت إلى زوجي يعقوب زيادين في العام 1948، عندما كان يدرس الطب في الجامعة اليسوعية في بيروت، وكنت حينها وحيدة في بيروت بسبب سفر أهلي إلى أمريكا، فاضطررت للعمل والتدريس في مدرسة اللاهوت التابعة للكنيسة التي عشت في رعاية مدرستها الداخلية. في تلك الفترة الصعبة من حياتي، التقيت بيعقوب الذي كان مثلي يعاني من ظروف اقتصادية صعبة بسبب العاصفة التي قضت على ممتلكات أهله من الأغنام في قرية السماكية في منطقة الكرك، وقد ساهمت ظروفنا المشتركة (يعقوب وأنا) في تعزيز لقائنا الفكري، إذ اكتشفت أن يعقوب كان شيوعيا، وكنت أنا قد التحقت بالحزب الشيوعي.

في العام 1948، حلّت النكبة بشعب فلسطين، وفي الفترة ذاتها تم إرسالي إلى جامعة كولومبيا في نيويورك، وكانت تلك فرصة لي لرؤية أهلي هناك وللدفاع عن القضية الفلسطينية. في نيويورك، صدمت بحجم التعاطف الأميركي مع إسرائيل، مما جعلني أواجه ذلك بالدفاع عن القضية الفلسطينية، وكان ذلك سببا لترحيلي من هناك في ظروف صعبة للغاية. بعد عودتي من أمريكا، عقدنا زواجنا (يعقوب وأنا) في مدينة طرابلس بشمال لبنان. بعد تخرج يعقوب من كلية الطب، في الجامعة اليسوعية، انتقلنا إلى القدس ليعمل يعقوب في مستشفى

* كاتبة وأكاديمية من الأردن.

المطلع، الذي كانت تشرف عليه وكالة غوث وتشغيل اللاجئين. وهناك، تعرفنا على عمق الكارثة الفلسطينية، وعلى البؤس الذي حل بالمهاجرين من شعب فلسطين. ولكي نحاول من جانبنا المساعدة، اتصلنا بالعديد من الشخصيات النسائية، لتأسيس جمعية رابطة اليقظة النسائية. في ذلك الوقت، لم تكن هناك ضرورة للحصول على إذن ترخيص لتأسيس الجمعية، كما هو الحال الآن. وقد تأسست الجمعية بمجرد اجتماع النساء اللواتي اتخذن قرارا بتأسيسها (منذ فترة وجيزة التقيت بزوجة الدكتور بشارة، الذي كان زميلا لزوجي في المستشفى، قالت لي: هل تذكرين الجمعية التي قمنا بتأسيسها في دير اللاتين؟ ... الآن صارت لها فروع عديدة في القدس والمناطق المجاورة، وهي تقوم برعاية المرضى تحت مظلة الدير).

كان هدف الجمعية إثارة وعي المرأة بقضايا بلادها وحقوقها ومن ذلك حق المرأة بالمشاركة في الانتخابات البلدية، قمنا بنشاطات عديدة لتحقيق هذا الهدف، منها لقاء مع سمير الرفاعي رئيس الوزراء آنذاك. لكنه لم يستجب لمطالبنا لاعتقادة بأن الوقت مبكر على ذلك. إزاء ذلك، قمنا بتوسع نشاطاتنا واستخدمنا االكتابة بالصحافة والاحتجاجات والعرائض، وفتحنا صفوفا لمحو الأمية بين النساء.

كنت على رأس أول مظاهرة نسائية في عمان في بداية الخمسينات وقد حملت ابني على يدي أثناء مشاركتي فيها. اتهمتني الأجهزة آنذاك بأنني أخذت طفلي معي لأحرض النساء، لأن زوجي كان سجينا في الجفر. لكن في الواقع لم يكن هناك من أستطيع ترك الطفل عنده، فاضطررت لأخذه معي. فشلت تلك المظاهرة لقلة عدد المشاركات معنا، فاللواتي جئن معي من القدس لم يتجاوزن العشر نساء. ولم ينضم إلينا أحد في عمان. وقد تم اعتقالنا في سجن المحطة في غرفة واحدة مع خمس مومسات، وقد تعرضنا منهن للأذى وشد الشعر والضرب والتهديد. جاءت سجانة وقالت لنا: هناك مؤامرة عليكن. انتبهن هناك خدعة. لقد جاؤوا بخمس نساء لهن سوابق، وقالوا لهن إنكن اعترفتن بمشاركتهن معكن في المظاهرة. اعتقدنا أن الأجهزة أدخلتهن معنا للتجسس علينا، وقد أخافنا وجودهن بيننا بسبب وجود أدوات حادة في المكان. وحتى نتخلص من شرورهن المحتملة، قلنا لهن بأن تهمتنا قد تضعنا في السجن لسنوات، فإذا قبلتن دعوى الأجهزة بأنكن شيوعيات، فقد تحصلن على عقوبة السجن لسنوات مثلنا. وبسبب نصيحتنا لهن، لم يقتربن منا بسوء بعد ذلك. بعد أيام خرجنا من السجن، وكانت تلك أول تجربة قاسية لي، وقد أعطيت سلطات السجن اسمي الحقيقي، حتى لا يقع التباس في حقيقة من أكون

بعد المظاهرات والسجن انفرط عقد النساء في تلك الفترة خوفا. أنا شخصيا صاروا يربطون نضالي بنضال زوجي، وكانوا في قرية زوجي (السماكية) يقولون بأنني أنا التي علّمته الشيوعية. كان زوجي في الخمسينات يسجن في الجفر، وأنا أنفى إلى السماكية عند أهل زوجي. وكان الوضع في السماكية سيئًا للغاية من ناحية معيشية، حيث لم يكن الماء متوفرا في القرية، فكان الرجال والأولاد ينقلون الماء على الجمال من نهر الموجب. وزوجي كان راعي غنم حتى سن العاشرة. لكنه وعى أهمية الدراسة، خاصة وأنه حلم بأن يصبح طبيب القرية، لأنه لم يكن في القرية طبيب يداوي المرضى.

ولهذا قرر الانتقال إلى مدينة السلط حيث تخرج من هناك، ثم ذهب إلى سوريا ودرس الحقوق، لكنه لم يكمل دراستها لأنه ظل يحلم بدراسة الطب، وعندما تخرج، وجد فيّ شريكة الحياة التي تقاسمه تطلعاته، وكنت أساعد الفقراء من منطلق ديني ومبدأ إنساني.

لم يكن تنظيم النساء الأردنيات في الريف مطلع الخمسينات بالأمر السهل، بسبب الخوف من القمع والعقاب. من الممكن القول إن خوضي غمار العمل السياسي المباشر كان خطأً في تلك الفترة. فعندما قمت مع مجموعة من النساء بتأسيس جمعية رابطة اليقظة النسائية في القدس في العام 1952، بدأنا أولا في حملة دروس محو الأمية في بير زيت وفي رام الله. حتى أن اليونسكو أرسلت لنا كتبا تشجيعا لنشاطنا في تعليم النساء الاميات القراءة والكتابة. وقد توسع هذا النشاط أكثر وتأسست فروع لجمعية رابطة اليقظة النسائية في أريحا ومناطق اخرى. لكن ارتبط هذا النشاط للأسف، مع النضال السياسي المباشر، لأن الشيوعيات كن بارزات فيه. كان هذا خطأ منا بالتأكيد، إذ كان يمكن أن يكون الأمر أفضل بكثير، لو أننا حصرنا نشاطنا آنذاك في المطالب الاجتماعية ومحو الأمية وحقوق المرأة والمساواة، دون إبراز هويتنا ال شيوعية.

وهكذا، نشطت في العمل السياسي، لكنني لم أتمكن من التغلغل في أوساط النساء، لأن الناس كانوا يخافون الشيوعية نتيجة الدعاية ضدها، بعد صدور قانون مكافحة الشيوعية حتى قبل تأسيس الحزب الشيوعي بخمس سنوات. كانت قلوب الناس معنا لكن الخوف كان يمنعهم من التحرك. والدليل على ذلك، أن الناس كانوا يعبرون لنا عن دعمهم عندما يكون هناك مد وطني. ويكفي أن أقول أن زوجي – وهو ابن الكرك – كان قد نجح في الانتخابات البرلمانية عن منطقة القدس في العام 1956، مما يشير إلى أن وطنية المرشح ومصداقيته كانت هي المقياس لوصوله إلى البرلمان.

لم تكن النساء في الخمسينات متدينات على النحو القائم في الحاضر، لا تنسي أن نسبة كبيرة من النساء كن اميّات، ولم تكن المرأة مقموعة من الدولة وحسب، بل كان الوضع الاجتماعي برمته في غير صالحها. فإزاء مهام المنزل والأولاد والظروف الاجتماعية، بالكاد تستطيع حتى المتعلمة منهن قراءة الجريدة اليومية. لهذا قمنا بمشروع مكافحة الامية على نطاق واسع. ولم تكن النساء في

نوري الراوي / العراق ◄

دروس محو الأمية تهتم حتى لسماع الأخبار أو متابعة القضايا الاجتماعية والسياسية، كما إن معظمهن لم يجد الدعم من رجالهن في المنزل. وأنا هنا لست ضد الرجل، على العكس، لابد من تعاون الجنسين لتحقيق النتائج المرجوة. لكن الرجل الشرقي – حتى التقدمي – لا يعطي الوقت للمرأة ولا يمد لها يد المساعدة، والمرأة لا تشعر بحقها في المساندة، ولا الرجل يحس بأن المرأة رفيقة حياته وينبغي عليه مساندتها. وبديهي أن جهل المرأة بحقوقها يشكل رصيدا احتياطيا للرجعية.

في تلك الفترة، اقترح اسمي للمشاركة في مؤتمر فيينا للطفولة، نظرا لأني أتقن اللغتين الفرنسية والإنجليزية. وهو مؤتمر نسائي عالمي. هناك لاحظت النفوذ الصهيوني المتغلغل في المنظمات الدولية،

وحتى التقدمية منها. وقضيتنا العربية – قضية فلسطين – لم تكن مفهومة لهم. فكانت الصورة أن إسرائيل ضحية. ففي الوقت الذي كنت فيه أنتظر أن يستقبلونني أنا وأولادي بتعاطف، نظرا لأن زوجي معتقل ولدي طفلين محرومين من أبيهما. فوجئت بالجو المعادي للعرب، فتولد لدي شعور بالتحدي لتوضيح ملابسات القضية الفلسطينية، وتركت أي شيء آخر. كما شاركت أيضًا في مؤتمر للسلم العالمي ضمن وفد اردني، في غضون تلك الفترة من العام 1953، تم اعتقال زوجي مجددا، وعدنا لمعاناة التشرد والفقر مجددا أنا وابني خليل الذي لم يكن قد تجاوز العام الأول من العمر. عدت إلى مستشفى المطلع في القدس كلاجئة أنا وابني، ثم من هناك غادرنا إلى بيروت سرا بسيارة عائلية لأحد الأشخاص، وفي بيروت عشت من جديد حياة السرية إلى أن تمكنت من السفر إلى هنغاريا،ولم أعد إلى الأردن الا بعد الانفراج السياسي في الأردن وعودة الحياة النيابية. وقد ترشح يعقوب للانتخابات لأول مرة لكنه لم ينجح بسبب تدخلات السلطة وتم اعتقاله مجددا كما تم اعتقالي لفترة وجيزة، بعدها نفيت إلى قرية السماكية.

بقيت عاما كاملا في السماكية إلى أن تم الاعلان عن طرد غلوب باشا من قيادة الجيش الأردني، فعمت الفرحة أوساط الشعب الأردني، ومع تصاعد المد الوطني، بدأت تظهر بوادر النشاط النسائي، فتشكل «اتحاد المرأة العربية» بمبادرة من إميلي بشارات (أول محامية في الأردن) ومجموعة من النساء. امتدت نشاطات الاتحاد لتشمل دورات محو أمية للنساء في المدن والقرى، ودعوة النساء للعمل في حقلي التعليم والتمريض. أذكر أن إميلي بشارات قالت

لي مرة إنها وزميلاتها كن يزرن النساء في القرى في بدايات تأسيس الاتحاد، ليحفزنهن على العمل في ميدان التمريض، ولم يلقين التجاوب آنذاك. لكن بعد فترة وجيزة، أصبحت المرأة تشارك في العمل على نطاق واسع في ميدان التعليم المدرسي وفي حقل التمريض.

في هذه الفترة شاركت النساء في النضال ضد حلف بغداد وضد العدوان الثلاثي على مصر وضد مشروع أيزنهاوز لاحقا. وإبان العدوان الثلاثي على مصر، قامت ناشطات الاتحاد بعمل دورات تدريب على السلاح للنساء ودورات دفاع مدني واسعاف أولي، وشكلن لجان دفاع مدني تحسبا لأي طارئ. سبق تحرك النساء ضد العدوان الثلاثي النضال ضد حلف بغداد إلى أن تم اسقاطه. وقد تضافرت جهود الرجال والنساء في هذا النضال وسادت أجواء الوحدة الوطنية بين الأحزاب السياسية، خصوصا حزب البعث والحزب الشيوعي. ولا توجد منطقة في الأردن الا وشاركت في المظاهرات من إربد إلى السلط والكرك وحتى قرى هذه المدن شاركت في التظاهر ضد حلف بغداد إلى أن تم إسقاطه. كان هذا النشاط قد مهد لأرضية نضالية ونوع من التنظيم والرؤى السياسية أسهمت في فضح أهداف العدوان الثلاثي على مصر. كما شاركت النساء في المظاهرات الاحتجاجية ضد الاستعمار الفرنسي دعما لمطلب الشعب الجزائري بالاستقلال عن فرنسا. وقمن بجمع المعونات العينية والنقدية لنصرة الشعب الجزائري. بعد هذا المد السياسي

شاركت النساء في النضال ضد حلف بغداد وضد العدوان الثلاثي على مصر

الكبير، أصبحت أمريكا تحسب ألف حساب للأردن. وعندما لم تتمكن القوى الغربية من فرض حلف بغداد علينا، طرحت مبدأ آيزنهاور كبديل عنه.

تركز هجوم السلطة في فترة الخمسينات على الشيوعيين وعلى الأحزاب والحزبية. هذه الحرب على الحزبية أثرت على موقف المواطنين من الحزبية والنشاط الحزبي. كانت الحكومة في الخمسينات ليس لديها فلوس، وكان المطروح على المناضلين هو استنكار أحزابهم وإلا فالسجن والتعذيب مصيرهم. وإذا ساروا مع النظام فلهم الوظيفة والقروض والسيارات والتسهيلات. في الخمسينات، كانت البرجوازية الصغيرة هي التي تقود النضال الوطني والمطلبي. المعلمات والمعلمون؛ الطلاب؛ الأطباء والمهنيون عامة. لكن المجتمع الاستهلاكي بعد ذلك، امتصهم جميعا وأغرقهم في متطلبات الحياة.

كان من نتائج مرحلة المد الوطني في منتصف الخمسينات، أن جرت انتخابات نيابية نجح فيها يعقوب زيادين عن منطقة القدس، وتم تشكيل حكومة وطنية في الأردن برئاسة المرحوم سليمان النابلسي، غير أن السلطة قامت بعد فترة وجيزة بحل حكومة النابلسي وحل البرلمان المنتخب وحتى حل اتحاد المرأة العربية. في هذه الفترة اعتقل يعقوب مجددا. بعد الانقلاب على حكومة النابلسي، اتسعت حملة الاعتقالات في صفوف الوطنيين، فتم تهريبي بسيارة مدنية إلى سوريا. ومن هناك سافرت إلى ألمانيا الديمقراطية.

وأنا في ألمانيا، سألني الاتحاد النسائي الديمقراطي العالمي، وقد كان يتعاطف مع قضايا العرب إن كنت أرغب بالعمل معهم في برلين، لأنهم بحاجة لامرأة عربية تهتم

بمتابعة قضايا النساء العربيات في الاتحاد، خاصة وأنني كنت أتقن اللغتين الفرنسية والإنجليزية. فوافقت على العمل لأنني كنت أفكر في إعالة أولادي فيما زوجي في السجن. وهذا عمل يتلاءم مع قناعاتي، كان العمل صعبًا جدا لأن مدينة برلين كانت خارجة من الحرب العالمية الثانية وأشياء كثيرة لم تكن متوفرة. دخلت الاتحاد، وكان همي في المقام الأول، شرح القضية الفلسطينية والظلم الواقع على الشعب الفلسطيني. بالطبع انزعجت النساء اليهوديات اللواتي كن يعملن في الاتحاد. كن يحاربن ما أقول ولم أكن أعرف بذلك في حينه.

لكن دائما كانت إلى جانبي مندوبات الدول الاشتراكية والاتحاد السوفياتي. قالوا لي لماذا لم يتقدم أحد لجعل اللغة العربية من ضمن اللغات التي يعتمدها الاتحاد في أدبياته؟ لماذا لا تطالبين بأن تكون اللغة العربية من بين اللغات المتداولة في الاتحاد النسائي الديمقراطي؟ في ذلك الوقت كانت هناك واحدة يهودية تعمل في مكتب الاتحاد، وقد بكت من القهر، عندما أجبرتها المندوبة السوفياتية على أن تقبل التداول باللغة العربية.

في تلك الفترة كانت خبرتي قليلة وأولادي صغارًا يمرضون، وكنت أضطر لعمل اضافي حتى أتمكن من سد نفقاتنا. ولم أقبل معونة من أحد حتى أكون مستقلة سياسيا، ولم أكن أعلم أحدا بالضيق المادي الذي كنت أعانيه حتى الحزب لم يعلم. فقمت بعمل اضافي في الإذاعة الألمانية حتى أستطيع متابعة الأخبار.

عندما كانت تعقد مؤتمرات كانت وفود عربية تأتي إلى برلين، وأنا اساعد الوفود العربية بطريقة طرحها للقضايا ونبذ الخلافات وكيف يخاطبون العالم في طرح قضايانا.

كان من يذكر فلسطين في تلك الفترة يعتبر مجرما. حتى صار بيني وبين الاتحاد صدام عندما حصل العدوان الاسرائيلي على قرية السموع سنة 1966 في منطقة الخليل. كان الاتحاد النسائي الديمقراطي لا يريد اصدار احتجاج أو استنكار، كانوا يقولون انه يوجد فدائيين، وأنا وقفت موقف صلب، وقلت: في هناك معتد وهناك معتدى عليه. وقد وقع الاعتداء الإسرائيلي على قرية السموع وشرد أهلها. ولهذا ينبغي إصدار احتجاج واستنكار للعدوان.

في تلك الفترة كان زوجي لا يزال في السجن في الأردن، ولم أكن أعرف عنه شيئا. وهذا ما زاد من مهماتي العائلية، خاصة وأنه لم يخرج من السجن إلا في العام 1965، وأنا والأولاد كنا قبل ذلك وحدنا. أثناء غيابه، كنت أكتب للأولاد رسائل وأقرأها لهم على أنها مرسلة من أبيهم. وأسألهم عما يريدون هم كتابته لوالدهم. وبهذا جعلت الأولاد يحسون بالارتباط بأبيهم وبوطنهم الأردن. لم أكن في البداية أعرف أنني سأضطر للعيش في الخارج لفترة طويلة، أو أن اربي أولادي في الخارج. فبلدي هذا أعطيته حياتي، صحيح أنني من أصل لبناني-سوري، لكن الأردن ارتبط بالكثير من حياتي. كنت أبذل جهدا كبيرا لتعليم الأولاد اللغة العربية. عندما وقع عدوان العام 1967، رجعنا نتأقلم من جديد. قرر يعقوب العودة إلى الأردن مع والده، جلس إلى جانب والده وقال له: لن أبقى هناك وسأعود معك. كنت أقول لهم: هناك الكثير من المتعلّمين في الأردن، وأنتم يجب أن تتفوقوا لتجدوا مكانا لكم بينهم.

في الخمسينات، كانت البرجوازية الصغيرة هي التي تقود النضال الوطني والمطلبي

نجحت بهذا. والآن ابني خليل، جراح كبير.
أغلقت السلطات اتحاد المرأة العربية في الأردن بعد فترة الارتداد على حكومة النابلسي في الخمسينات، إلى أن عاد النشاط النسائي مجددا في العام 1975 تحت اسم الاتحاد النسائي في الأردن. ذهبت أنا واميلي نفاع إلى زيد الرفاعي، وكان رئيسا للوزراء آنذاك، لنعلمه برغبتنا في اعادة نشاط الاتحاد، ولم يمانع، لكون الامم المتحدة كانت قد أعلنت عن الفترة من العام 1975 – 1985 عقدا للمرأة. خلال تلك الفترة انتشر الاتحاد انتشارا واسعا، وصارت له فروع كثيرة. وأنا شخصيا دهشت للصدى الواسع لعودة النشاط النسائي في مدن كالكرك وإربد والعقبة. مرة كنت في العقبة، وكانت العقبة قد بدأت تنهض كمدينة سياحية وكمرفأ في الجنوب. حزّ في نفسي أن النساء الأجنبيات يعملن في المكاتب ويعملن في الطباعة والعمل المكتبي، في حين أن المرأة «العقباوية» قابعة في المنزل بلا عمل. حتى إذا ذهبت النساء للسينما، كن يجلسن في ناحية والرجال في ناحية ثانية. من هنا، كان لنا دافع قوي لتشكيل فرع للاتحاد في العقبة لكن للأسف جمّد الاتحاد ثانية في العام 1982. بحجة أنه جمعية غير خيرية، وهو مسجل في وزارة الداخلية، وكانت النساء قد انضمت للاتحاد من مختلف التنظيمات السياسية كالحزب الشيوعي والجبهة الشعبية والديمقراطية، وفتح.

أحمد العربي / السودان

كانت بيننا لغة مشتركة هي مطالب المرأة والنضال الوطني. وكنّا أردنا الانطلاق في تأسيس قرية نموذجية نعمل منها مركزا ومعمل لتصنيع اللبن والجميد للتخفيف من أعباء النساء. وكنا نريد تأسيس حضانة مع دروس محو امية للمرأة ودروس في الأشغال اليدوية ورعاية الطفل. بدأنا من قرية السماكية، لأن مشروعا هناك كان قد بدأ، فقررنا الاستمرار به وتطويره حتى ينجح. ولم يكن لدينا مبلغ مالي يكفي، فذهبنا إلى بنك التنمية، الذي كان يعطي قروضا للمشاريع. فرحبوا بنا وقالوا إن المشروع جيد وعملوا له دراسة جدوى اقتصادية ، لكن المشروع كان يجب أن يمرر من خلال وزارة التنمية، وكانت وزيرة التنمية انعام المفتي. وللاسف قامت المفتي، بايقاف المشروع بحجة أن الدولة بصدد تأسيس اتحاد رسمي، وقالت أن لا ضرورة لهذا المشروع ما دامت الدولة تنوي تاسيس اتحاد للمرأة، وإن وزارة التنمية تقوم بمشاريع في الكرك وإن هناك وفدا ألمانيا سيزور الوزارة. قلنا لها: إذا كنت خائفة منا (وأنا اسمي كان يخيف لخلفيتي الشيوعية ولكوني زوجة الدكتور يعقوب زيادين) الا أنني كنت دائما اعمل بدون ضجة لاكتسابي خبرة في الخارج، ولم يحصل أن جعلت الاتحاد النسائي في الأردن منبرا لي.

كان اسم الاتحاد الذي قامت الدولة بتأسيسه الاتحاد النسائي العام، ولم ينجح لأن معظم النساء كن يلتحقن باتحادنا. على هذا الأساس عملت السلطات على إلغاء اتحادنا. رفعنا دعوى ضد الإلغاء وكسبناها. في هذه الأثناء دبّت خلافات بيننا، وانعكست هذه الخلافات على الاتحاد. فبقي مجمّدا

حتى عودة الديمقراطية في العام 1989. وتوجد للاتحاد مراكز فرعية في الزرقاء ومأدبا وإربد والرمثا، وله فروع في بعض قرى هذه المدن. وجدنا صعوبة كبيرة في عملنا، فبدلا من أن ينشط الاتحاد بعد عودة الديمقراطية في الأردن، كان هناك احباط عام بعد الهجمة الأميركية على العراق في العام 1990، وقد قمنا بتأييد العراق وجمع المعونات، وقلنا إن هذا قد يشكل دافعا لجمع النساء للتحرك، لكن العديد من النساء فضلن في ذلك الوقت الالتحاق بالاتحاد الرسمي (الاتحاد النسائي العام) لوجود «جو» ديمقراطي في البلد.

أما نحن، فقد دعونا إلى لقاء في منزلي لحوالي خمس وأربعين امرأة ناشطة من مختلف التيارات، وقلنا في هذا اللقاء أن الظروف تتطلب منا توحيد جهود المرأة، وكان هدفنا تشجيع انخراط النساء في الاتحادين (الاتحاد النسائي في الأردن والاتحاد النسائي العام). وقد التحقت نساؤنا بالاتحاد النسائي العام، ولم يكن لدينا مانع، وذلك لرفد الاتحاد العام بنوعية نسائية أفضل.

في هذه الفترة، خاض اتحادنا معركة مع النساء الأصوليات، فقد كان الاخوان الفئة السياسية الوحيدة التي سمح لها العمل بحرية طوال فترة منع التيارات الاخرى (إبان الأحكام العرفية). ففيما كانت الأحزاب السياسية من غير الإخوان تلاحق من قبل الأجهزة الأمنية، كانت لدى الإخوان منابر لم تتوفر لغيرهم، الجوامع والمدارس ووزارة التربية والتعليم، مما أسهم في تسييس الدين، لأن النساء البسيطات في الأصل متدينات، وكانت الظروف مواتية للاخوان، فمع الثورة الاسلامية في ايران، وانهيار المعسكر الاشتراكي، وضرب العراق، والانقسامات السياسية للحركة الوطنية والمد السياسي الإسلامي في المنطقة، جاءت هذه الظروف كلها مواتية لهم لملء الفراغ السياسي، بعد إحساس عامة الناس بالإحباط وحاجتهم بالتالي للتمسك بشيء ما.

في العام 1989، لم تنجح امرأة واحدة في الانتخابات، والسبب أن المرشحات لم يكن لديهن تاريخ نضالي، ولم يتغلغلن بين النساء. كذلك، لم تكن هناك ثقة بأن المرأة تستطيع احداث فرق في البرلمان. كانت نسبة الاقتراع في ذلك الوقت ضعيفة (40 بالمائة للرجال والنساء على حد سواء). حتى عندما ترشح زوجي كان الراغبون في التصويت له يقولون: هذه مصيدة، لأن الدولة تتصيدنا واحدا واحدا من خلال علاقتنا به. أي أن الناس لم يكونوا مطمئنين للديمقراطية بعد. كذلك، كان قانون الانتخاب بحاجة إلى تعديل حتى تستطيع المرأة أن تصل البرلمان. ولحل هذه المشكلة، ينبغي أن تكون هناك كوتا للنساء، كما توجد كوتا للشركس والمسيحيين وغيرهم، لأن الرأي العام لم يرتق بوعيه إلى حد التفكير بانتخاب امرأة.

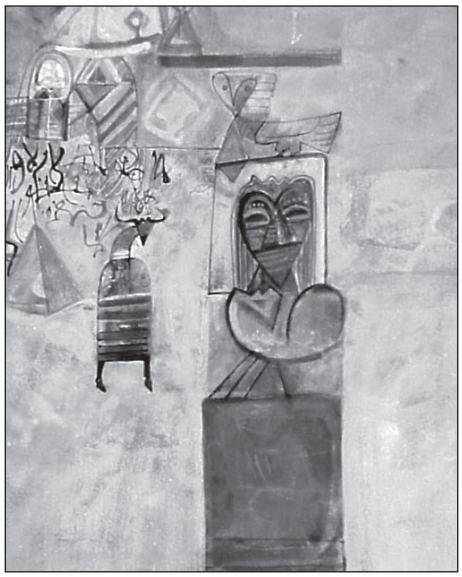

محمد عتيبي / السودان

السيدة بثينة جردانة (في لقاء معها بتاريخ: 17/8/1992)

عند إجراء هذه المقابلة معها، كانت

المرحومة بثينة جردانة، المديرة العامة لنادي صاحبات الأعمال والمهن، وأمينة سر الهيئة الإدارية للنادي. وكانت إنعام المفتي رئيسة للاتحاد الوطني لصاحبات الأعمال.

«حصلت على الدرجة الجامعية الأولى في اللغة العربية من جامعة دمشق؛ دبلوم دراسات إسلامية ودبلوم في الاخراج التلفزيوني تربوي، ودراسات عليا بمستوى الماجستير من جامعة مانشستر(بكلية التعليم). حصلت على دورات عدة في القياس والتقويم، وعملت في وزارة التربية والتعليم لثلاثة عقود، ولهذه الوزارة فضل علي لأنني شاركت فيها بلحان نشاطات عديدة أسهمت في تطويري شخصيا. كنت عضوا في لجنة مناهج معاهد المعلمين والمعلمات؛ ورئيسة للإذاعة المدرسية والتلفزيون التربوي. وأنا عضو في لجنة التأهيل التربوي؛ ولجنة مناهج المعلمين والمعلمات، والبحث والتقويم؛ وكنت رئيسة لكليات المجتمع. في عهد المرحوم عبد الحميد شرف، وقد تميز عهده في الاهتمام بالمرأة وشؤونها، وتم التفكير في عهده بانشاء مديرية المرأة تابعة لوزارة التنمية الاجتماعية. انتدبت في البداية لأكون مديرة لهذه المديرية، ثم عينت مديرة لها. كان هذا من العام 1980 حتى العام 1984). ثم أحلت نفسي على التقاعد. عينت في مجلس التعليم العالي، لكن كان لي ارتباط في نادي صاحبات الأعمال والمهن، نظرا لاهتمامي بموضوع المرأة، استمرت نشاطاتي مع وزارة التربية والتعليم وكان آخرها تأليف كتب الأول الابتدائي قراءة وكتابة، ولي كتب تدرس في سلطنة عمان، ولي أيضًا دراسات عن المرأة.

تأسست في الضفة الشرقية حوالي ستين جمعية نسائية، غالبيتها في عمان

تأسس الاتحاد النسائي في الفترة التي كنت أنشط فيها، انتدبت في ذلك الوقت لرئاسة الاتحاد النسائي لعدة دورات، وكان ذلك تكليفا لترتيب الانتخابات. أنا عضو في الاتحاد لأن الجمعيات النسائية أعضاء في الاتحاد ونحن أعضاء فيه، فقد بدأ الاتحاد نشاطاته ضمن الجمعيات الخيرية على أساس يكون اتحادًا نوعيًا، لكن حدث تغيير بحيث سمحوا للأفراد بالانتماء للاتحاد، مع أن هذا مخالف لقانون الجمعيات الخيرية. ومن هنا ظهر التفسير، بأنه إذا كان الاتحاد نوعيا فلا يجوز أن يكون جمعية. وجاء القرار النهائي باعتباره اتحادا نوعيا.

بعد فك الارتباط بين الضفتين، تأسست في الضفة الشرقية حوالي ستين جمعية نسائية، غالبيتها في عمان، وتمارس هذه الغالبية نشاطها في العاصمة. وهناك جمعية إنعاش الريف ولها مراكز في قرية المصطبة وغيرها من القرى. ونشاط نادي صاحبات الأعمال يمتد إلى الزرقاء والريف في محيط عمان. لكن مركزه عمان. وفي كل منطقة في الضفة الشرقية يوجد اتحاد عام للجمعيات الخيرية وهناك اهتمام بهذه الجمعيات في مختلف المدن والقرى.

نادي صاحبات الأعمال والمهن هيئة أهلية تطوعية، يشكل مع نظرائه في ماديا والكرك والعقبة، الاتحاد الوطني لصاحبات الأعمال والمهن، وقد كانت إنعام المفتي رئيسة للاتحاد الوطني لصاحبات الأعمال، والاتحاد الوطني عضو في الاتحاد الدولي لصاحبات الأعمال والمهن، ولهذا الاتحاد فروع في ثمانين دولة في العالم، وأهداف النادي هي رفع مستوى المرأة في المجالات الحياتية المختلفة: الاقتصادية،

والاجتماعية، والثقافية، وتشجيع المرأة على التعلم والتدرب بحيث تصبح عاملة ومنتجة، كما يهدف النادي لتعزيز أواصر الصداقة والتفاهم بين المؤسسات المعنية بشؤون المرأة محليا وعربيا ودوليا.

لاحظ نادي صاحبات الأعمال في عمان، أن المرأة – نتيجة للطفرة الاقتصادية والاجتماعية السريعة التي مر بها الأردن، ونتيجة لزيادة مساهمتها في سوق العمل أصبحت تواجه مشاكل اسرية ونفسية واجتماعية، فضلاً عن مشاكل العمل. ووجدنا أن المرأة بحاجة لجهة تساعدها على مواجهة هذه المشكلات أو التخفيف من حدتها على الأقل. كما لاحظنا أن المرأة تخسر الكثير من حقوقها لجهلها بهذه الحقوق التي تنص عليها التشريعات؛ وبالتالي هي بحاجة إلى من يعرفها بهذه الحقوق وبالواجبات أيضًا تجاه الاسرة والمجتمع ومؤسسة العمل. ووجدنا أن القوانين، على الرغم من تقدمها في الأردن، الا أن هناك فجوة قائمة بين ما هو نظري وما هو مطبق على أرض الواقع. و وجدنا بعض الثغرات في القوانين التي تحتاج إلى تعديل. ففي عام 1984، أجرى النادي دراسة على حوالي 480 امرأة عاملة، فتبين أنها فعلا تواجه مشاكل وهي بالتالي تحتاج إلى جهة تراجعها وتستعين بها لحل المشاكل. ومنذ ذلك الحين قمنا بانشاء مكتب أسميناه مكتب الخدمات الاستشارية للمرأة. هذا المكتب فتح أبوابه في بداية شهر تموز من العام 1984، ليستقبل السيدات، في بداية العمل، تخوفت من أن المرأة قد تتردد في بث شكواها لمكتبنا الاستشاري، لكن نتيجة لوعي المرأة الأردنية ترددت النساء على هذا المكتب من مختلف الطبقات. وضع المكتب أهدافا اجتماعية واسرية ونفسية تتلخص في توفير جميع الوسائل التي تجعل المرأة قادرة على التكيف مع واقعها ومجتمعها الأسري، وخاصة الأبناء لتقوم هي بدورها في توجيههم للمستقبل مهنيا واجتماعيا. كذلك قام النادي بتحديد أهداف قانونية تسعى إلى تطوير القوانين وتوعية المرأة بحقوقها وواجباتها وبمتابعة القضايا الفردية لكل واحدة منهن.

نحن نعمل في المجال القانوني من خلال لجنة قانونية مصغرة تضم اثني عشر محاميا ومحامية يضعون السياسة العامة للبرنامج وأهداف البرنامج بعيدة المدى ومتوسطة المدى. وتتابع اللجنة القانونية تنفيذ الخطط الموضوعة. نعمل أيضًا من خلال محاميتين تداومان عندنا في المكتب وتتابعان القضايا والأنشطة. ولدينا لجنة قانونية موسعة تضم حوالي ستة وخمسين محاميا ومحامية من خيرة المحامين. وهؤلاء يتابعون القضايا مع السيدات، ونحن عندما بدأنا العمل في المكتب، كنا نكتفي بتقديم الاستشارة القانونية للمرأة، لكن نتيجة للتكلفة العالية لأتعاب المحامين وارتفاع رسوم المحاكم، شعرنا أن المرأة لا تتابع قضيتها في المحكمة بعد حصولها علىالاستشارة القانونية، لأنها لا تستطيع اللجوء إلى المحاكم بسبب التكلفة. لذا قررنا منذ مطلع العام 1986، أن نواصل نحن أن تترافع أمام المحاكم عن السيدات عند الضرورة، ونقوم نحن بدفع أتعاب المحامين ورسوم المحاكم، ونواصل مع المرأة بعد ذلك إلى أن تحصل على حقوقها. لكن نحن لا نلجأ للمحاكم الا عند الضرورة القصوى، وبعد أن نستنزف كل السبل لحل المشكلة.

رغم تقدم القوانين في الأردن، إلا أن هناك فجوة بين ما هو نظري وما هو مطبق في الواقع

هـذه المشكلات كانـت في الغالب أسرية، مثل حضانة الأطفـال والنفقة، والطلاق، والارث، وقضايا اخرى مثل اخلاء المأجور، ومشكلات تتعلق بالعمل. لكن الأولوية كانت عندنا للقضايا الأسرية.

أستطيع القول إن القضايا التي ترافعنا عنها نجحت، ولم نكن نترافع عن القضايا التي نشعر أنها قد تخسر لأن هذا مكلف وفوق قدراتنا المـادية. وغالبا ما كـان المحامون والمحـاميـات يعملون معنا بشكل تطوعي وكانوا يتقاضون أتعابا رمزية، لأنهم كانوا يعلمون أنـهـم يقومون بعمل خـيري. وكـان البعض منهم يأتينا مبديا رغبتة بالتطوع للإسهام بنشاطنا. نحن لا ننتظر القضية لتأتي لنا، إذ لنا نشاطات دوريـة ومكثفة في المناطق الشعبية والقـرى، يخرج فريق من المرشدات الاجتماعيات ومن المحامين والمحاميات إلى المناطق الشعبية ويقومون ببرامـج توعية: محاضـرات وحـوارات مع النساء في المنطقة، والسـيـدات اللواتي لديهن قضايا يقمن بعرضها، إذا اكتفت المـرأة بالاستشارة أو النصح والأرشـاد، كان لها ذلك، وإذا احتاجت قضيتها لمتابعة أكثر، تأتي سيدة من المنطقة المعنية وتراجع المكتب. نحن نقوم بإجراء بحث اجتماعي للمرأة المستفيدة من البرنامج القانوني، تساعدنا في ذلك وزارة التنمية الاجتماعية.

من خلال موضوعات القضايا المتكررة التي ترد إلى مكتبنا، نضع برامج لعقد ندوات موسعة أو مؤتمـرات يشارك فيها صانعو القرار، لنضعهم في صورة المشكلة موضوع البحث. فمثلا، في بداية عملنا في النادي، تـرددت على المكتب خريجات الجامعات وكليات المجتمع وطلبن منا المساعدة في إيجـاد فـرص عمل لـهـن. في الـعـام الأول نجحنا في ذلـك، لكن بعد ذلـك، لم نعد نوفق في ايجاد فرص عمل لهن. فقمنا في العام 1985، بعقد ندوة بعنوان: خريجات الجـامـعـات وكلـيـات المجـتـمـع، صاحبات أعـمـال المستقبل .. إلـى أيـن؟. دعونا إلى هذه الندوة صناع القرار المعنيون مثل وزير العمل، وزير التربية، وزير الزراعة، رئيس الجامعة الأردنية وديـوان الخدمة المدنية. كل هؤلاء وغيرهم شاركوا في تقديم أوراق وكـانـت الأوراق مـمـيـزة جـدا، لأن صانع القرار، الوزير أو أمين عام الـوزارة عندما يكلف أحدا بإعداد دراسة في موضوع معين، تكون الدراسة جيدة. بعد مرور ستة أشهر على هذه الندوة، وجدنا أن أعداد الباحثات عـن عـمـل تـزايـدت كـثـيـرا، فشعرنا بأننا نواجه مشكلة بطالة. عقدنا ندوة مع نفس

خالد شاهين / الأردن ◄

الأشخاص ولم نسمها ندوة حول البطالة، بل حول سوق العمل. ومنذ ذلك الوقت بدأ الاهتمام بموضوع البطالة. خرجت الندوة بتوصيات والحكومة تابعت نتائجها باهتمام. ونحن نتابع مع اللجنة الوزارية العليا التي كانت مكلفة بدراسة البطالة وأخذت توصيات ندوتنا بعين الاعتبار. كذلك خطة التنمية أخذت توصياتنا بعين الاعتبار. لهذا نحن نهتم كثيرا بمناقشة القضايا الهامة ونشرك صانعي القرار بها كي يأخذوها بعين الاعتبار في سياساتهم التنفيذية.

من خلال برنامجنا القانوني كذلك، لاحظنا أن عددا كبيرا من السيدات اللواتي يراجعن المكتب للاستشارة بشأن استثمار ما لديهن من مال أو ذهب. فمثلا، المرأة التي تملك ذهبا، أو مكافأة نهاية الخدمة، أو المطلقة التي تحصل من طليقها على

مهرها المؤجل، تقول لنا: لدي هذا المبلغ، كيف يمكنني استثماره لأعيل أولادي، وحيث أننا كنا نواجه مشكلة بطالة، فقد توجهنا في توصيات ندواتنا إلى ضرورة أن نوجه المرأة لاستثمار ما لديها بمشروع صغير، بدلا من انتظار وظيفة قد لا تتوفر. فوجدنا أنه من الضروري أن يكون لدينا مشروع خدمات استشارية للمشاريع الصغيرة، بحيث تقوم المرأة بعمل مشروع إنتاجي خاص بها، كأن تفتح محل ألبسة، أو تصنع الخزف والتطريز أو المنتجات الخشبية أو مشروع ألبان أو مشروعًا زراعيًا صغيرًا. نقوم بتوجيه المرأة ونساعدها في التعرف على الاجراءات الإدارية والقانونية الضرورية للمشروع. كما نعمل أيضًا على تجسير الهوّة بين المرأة المستثمرة والمسؤول عن المشاريع الصغيرة، لأن النساء يخشين الفشل ولا يرغبن بالتردد على المسؤولين. أيضًا نوجه المرأة لكيفية تأمين المواد الخام والمكان المناسب للمشروع، وجهات التمويل التي تيسر القروض للمشاريع. لنا علاقة جيدة مع الجهات التي تيسّر القروض مثل صندوق المعونة الوطنية، بنك الإنماء الصناعي. وإذا كانت هناك امرأة لديها مشروع لكنها تسعى نحو تحسينه، ندلها على الوسائل لتحقيق ذلك. كما نقوم بعقد دورات تدريبية تكسب السيدات المهارات الإدارية والمحاسبية اللازمة لإنجاح أعمالهن. هذا المشروع بدأنا به بالتعاون مع مؤسسة نور الحسين.

نحن نشارك في مؤتمرات كثيرة، وشاركنا في الخطة الخمسية التي أفردت جانبا منها لقطاع المرأة، وقد لاحظنا فقر المكتبة الأردنية بالدراسات الخاصة بالمرأة. وفي الخطة الخمسية كنت أنا مقررة اللجنة الخاصة بالمرأة، لهذا اقترحنا تأسيس مركز توثيق ومعلومات لدراسات المرأة

واستأذنا وزارة التخطيط بأن يقوم نادي صاحبات الأعمال بذلك، فقمنا بتأسيس مركز المعلومات والتوثيق لدراسات المرأة بتمويل من اليونيسف. ونحاول من خلاله جمع الدراسات المتوفرة وهي قليلة، ونتصل بالجامعات الأردنية على أساس أن نقترح عليهم قيام طلبة وطالبات الدراسات العليا بدراسات تتناول الموضوعات التي نحتاج لدراستها. ونستعين أيضًا بأساتذة الجامعات، وقد انتهينا منذ فترة وجيزة من إعداد دراسة حول منطقة وادي عبدون وهي منطقة فقيرة، تفتقر للخدمات الأساسية، وقد قامت الدكتورة سلمى الخضيري من الجامعة الأردنية بإعداد هذه الدراسة. أيضًا من خلال هذا المركز، نقوم بعمل لقاءات دورية مع قيادات نسائية (نساء مرموقات في المجتمع كرئيسات الجمعيات والنساء اللواتي لهن دور في الاتحاد النسائي أو لهن نشاط حزبي)، لمناقشة الاحتياجات لتطوير وضع المرأة وتعزيز مكتسباتها، وندعو صناع القرار في العديد من هذه اللقاءات للمشاركة في الجلسات ليقدموا وجهات نظرهم، وليستمعوا إلى ما تقوله الرياديات المدعوات إلى اللقاء.

محمد الحاج / فلسطين

نقوم بتسجيل كل هذه الندوات، ونسعى لاصدارها في كتب لتحقيق الفائدة العامة منها. وميدانيا، نذهب إلى المناطق الشعبية المكتظة بالسكان، لاستقطاب السيدات. يوجد لنا نشاط من هذا القبيل في وادي عبدون وجبل الجوفة ووادي الرمم ومنطقة الوحدات والبقعة والأشرفية. فمثلا، نشاطات نادي صاحبات الأعمال في شهر (آب 1992) كالآتي: في الثامن من الشهر، كانت لدينا محاضرة قانونية لتجمع نسائي من منطقة القويسمة في مكتبة الأميرة بديعة. وفي الكثير من الأحيان نطلب أن يكون جمهور الندوات من الجنسين لأننا نجد تفهما من العديد من الرجال، وهدفنا هو تحقيق المصلحة العامة، لأن المرأة حتى لو حققت الوعي فإنها لن تتمكن من التنفيذ بدون مشاركة الرجل. ذلك أن هدفنا أن تتشارك المرأة وزوجها في إنجاح حياتهما وفي اسعاد الاسرة وتحقيق تماسكها. في كثير من الأحيان، عندما تحصل مشاكل بين المرأة وزوجها، ندعو المقربين إليه من أهله وأصحابه ليقوموا بدور غير مباشر لاصلاح ذات البين، ونحن لدينا مرشدات ومحاميات يساعدن المرأة في التوصل إلى حلول لا تؤدي إلى تفكيك الأسرة. هناك أيضًا محاضرة قانونية في الوحدات في التاسع عشر من آب. وفي الثاني والعشرين منه، يعقد اجتماع اللجنة الزراعية المنبثقة عن المؤتمر الأول لنادي صاحبات الأعمال والمهن. هناك أيضًا محاضرة قانونية في مركز سيدات جبل النصر. وهناك ندوة نقاش في الثالث والعشرين من الشهرلبحث حول التربية الأسرية والتنمية الاقتصادية في الأردن والبلدان العربية، أعده البحث، الدكتور مجد الدين خيري، أستاذ علم الاجتماع في الجامعة الأردنية. هذا البحث يهمنا كثيرا لأنه يتمحور حول التربية الانتاجية، ونستفيد منه في ارشاد النساء

لتنمية مشاريعهن الانتاجية. في السادس والعشرين من الشهر، لدينا لقاء مفتوح مع وزير الثقافة، الدكتور محمود السمرة، في ندوة حول كتاب: تحرير المرأة في عصر الرسالة من تأليف الدكتور عبد الحليم أبو شقة، يشارك فيها كل من الدكتور عبد العزيز الخياط والدكتورة سميرة الخوالدة والدكتور شرف القضاة، ويدير الندوة الأستاذ نبيل الشريف. وعندنا يوم طبي مجاني في الوحدات تقوم به عضوات النادي من الطبيبات. هذه نماذج من أنشطة النادي لهذا الشهر، ولدينا برنامج أنشطة لكل شهر على حدة.

عقد مؤتمرنا الأول هذا العام في عمان في يوم المرأة العالمي (الثامن من آذار). وقد شكلنا لجانًا لمتابعة تنفيذ التوصيات، وحرصنا على مشاركة صناع القرار في هذه اللجان ليتسنى لنا العمل على تفعيل التوصيات. ومن اللجان: لجنة النقابات المهنية واللجنة الزراعية ولجنة القوانين، ولجنة التجارة والصناعة. وتقديرا للنساء العاملات، قررنا أن نقوم في كل عام بتكريم نساء من قطاع مهني معين: كرمنا حاملات الدرجات العلمية العليا في العلوم التطبيقية، وكرمنا عاملات متميزات في المصانع، وموظفات في البنوك.

كما ذكرت لك، نحن أعضاء في الاتحاد الدولي لنادي صاحبات الأعمال بالخطوط العريضة فقط، مركزه في لندن، ويضم ثمانين دولة في العالم، نلتقي واياهم مرة كل عامين حيث يعقدون مؤتمرهم وتحضر مندوبات عن البلدان المشاركة. آخر مؤتمر كان في نيروبي والمؤتمر الذي قبله كان في هاواي ومن قبل عقد في اوكلاند.، والمؤتمر القادم سيعقد في اليابان.، نلتقي وكل وفد يبحث قضاياه وتحدد قضية دولية عامة يناقشها كل مؤتمر. نتبادل الخبرات بحيث يستفيد كل بلد من خبرات البلد الآخر. تمولنا منظمات دولية مثل مؤسسة اليونيفام، مؤسسة اليو ان دي. بي، ومؤسسة فورد قامت بتمويل المكتب القانوني لخمس سنوات، مع أن قوانينها كانت تسمح بالتمويل لثلاث سنوات فقط.

مؤخرا قمنا بتأسيس مكتب خدمات استشارية في الزرقاء، وهناك مبررات لتأسيسه، لأن الزرقاء منطقة سكن عدد من النساء المستفيدات من برنامجنا. الاتحاد العام للجمعيات الخيرية يساعدنا، وتساعدنا وزارة التنمية الاجتماعية، ويساعدنا أهل الخير كذلك. ونحن الآن نقوم بنشاطات، استفاد ما يقارب العشرة ألاف امرأة.

محمد الحاج / فلسطين

من القوانين التي نسعى لتغييرها لصالح المرأة والاسرة، قوانين التأمين الصحي والتقاعد. التأمين الصحي. المرأة العاملة والموظفة يقتطعون من راتبها، ومع ذلك أولادها لا يدخلون معها في التأمين. فما دام هناك اقتطاع من راتبها فلماذا لا يحق لها ضم أولادها للتأمين الصحي. كذلك قانون التقاعد، حيث لا يستفيد الورثة من راتب المرأة التقاعدي عند وفاتها، إلا إذا ثبت أنها هي المعيل الوحيد للاسرة. ما داموا يقتطعون من راتبها، فلماذا لا تعامل كما يعامل

الرجل كذلك، وفي حال وفاة أحد الزوجين، يتم حجب يحجب الأقل، ويبقى راتب واحد. فما دام يتم الاقتطاع، فلماذا لا يحق للورثة الاستفادة من الراتب الثاني؟

توجد ثغرات أيضًا في قانون الأحوال الشخصية. درست قانون الأحوال، وأنا لا أرد التقصير للقانون بل لتطبيقاته؛ كثيرون يحيلون الظلم الواقع على المرأة المهجورة أو المطلقة أو الأرملة للقانون، لكن لو تمعنوا به لوجدوا، أن التطبيق أو الحالات الفردية تؤثر في التطبيق. مثلا امرأة شاركت زوجها في بناء منزل، ربما تكون دفعت راتبها وجنى العمر في هذا المنزل أو ربما أن حصتها فيه تتجاوز النصف، ثم عندما يطلقها زوجها، لا تحصل على شيء لأنه لا يوجد توثيق لحصتها في المنزل. هذا الخلل في التطبيق سببه جهل النساء وليس قانون الأحوال الشخصية. في هذه الحالة كان على المرأة أن تحفظ حقوقها بتوثيق هذه الحقوق حتى يتسنى لها المطالبة بما لها. لذا يجب أن تتسلح المرأة بالوعي بحقوقها في الشرع الديني وبالقوانين الوضعية كذلك.

لا يستفيد الورثة من راتب المرأة التقاعدي، إلا إذا ثبت أنها هي المعيل الوحيد للأسرة

الآن يطبع لنا كتاب للمرأة بعنوان: «دليلك الشامل للخدمات». فمثلا، امرأة لديها طفل معاق، نبين لها العناوين والجهة التي ينبغي أن تلجأ اليها للمساعدة. كذلك، المرأة المحتاجة لمراجعة طبيب في المؤسسات العامة أو تحتاج إلى تمويل مشروع؛ كل أنواع الخدمات مبيّنة بوضوح في الكتاب، والعناوين التي ينبغي اللجوء إليها مدونة حسب كل حالة. لدينا أيضًا نشرات باللغة الانجليزية عن أنشطة النادي.

المحامية أسمى خضر (مقابلة بتاريخ: 8/18/ 1992)

«بدأت ممارسة مهنة المحاماة منذ العام 1979، بعد تخرجي من كلية الحقوق في جامعة دمشق. وقد تدربت على الصحافة لفترة وجيزة قبل ممارسة مهنة المحاماة. متزوجة من العام 1976، ولدي ثلاثة بنات وابن واحد. عملت في مكتب محام معروف كان قد عرض علي العمل معه في مكتبة. لكن اكتشفت من خلال هذه التجربة بأنه لن تتاح لي فرصة العمل بشكل مستقل والحصول على سمعة محامية مستقلة إذا بقيت أعمل في ظل محام آخر؛ لأن أي عمل ناجح أقوم به في ميدان المحاماة كان يجيّر دائما لمدير المكتب، أولا، لأنه رجل، وثانيا لأنه يمارس المهنة منذ فترة طويلة وصيته ذائع في هذا الميدان. لهذا قررت فتح مكتب مستقل في العام 1982، وباشرت العمل فيه. من خلال تجربتي، تبين لي أن نجاح المرأة في مهنة المحاماة وربما في المهن الحرة بشكل عام، مرهون بالظروف السائدة ودرجة التطور القائمة في المجتمع على كل المستويات الاجتماعية والسياسية والثقافية. أعتقد أن الجهد المطلوب من المرأة مضاعف ومطلوب منها تقديم الكثير من التضحيات. والنجاح ليس بالأمر السهل، حتى عندما تتساوى المرأة من حيث الكفاءة والقدرات مع الرجل. بالنسبة للمرأة، المسألة أكثر صعوبة، لأن عليها أن تقنع المجتمع بكفاءتها، وأن كفاءتها كافية لتحقيق النتائج المرجوة، كذلك، عليها أن تكون قادرة على إقناع القاضي ومدير المخفر والأطراف التي تتعامل معها بحكم المهنة. المواطن لا يثق كثيرا بأن المرأة المحامية قادرة على التعاطي مع هؤلاء وإقناعهم، وذلك لعدم الثقة

بكفاءة المرأة وقدراتها. ونتيجة الشك في قدرة المرأة أدركت أن علي النجاح في الحياة العامة كما الرجل.

تكمن الصعوبات في حقيقة أنه مهما نجحت المرأة في مهنتها، فإن الواجبات الأخرى الملقاة على عاتقها كربة منزل وأم تقوم برعاية الأطفال وتربيتهم، هي مسؤوليات لا تزاح عنها بل تضاف إلى مهنتها خارج المنزل. والمحاماة كمهنة، تتطلب دواما طويلا وعملا فكريا وبدنيا، والتنقل من مكان لآخر، من المخفر إلى السجن إلى المحكمة. وتتطلب وقتا، وهي مهنة غير مريحة، إذا أردت التعامل معها بأمانة، لأن قضايا الموكلين تصبح قضيتك شخصيا. وتظلين تحسين بثقلها عليك إلى أن تصلي إلى نتيجة. بالاضافة إلى الجوانب المهنية لديك مسؤولية البيت والأولاد والعلاقات الاجتماعية والزوج وكل المسائل التي ما زال المجتمع يعتبرها مهمة خاصة بالمرأة. حتى عائلتك وجيرانك يعتقدون أن الزيارة العائلية والعلاقة مع الجيران ينبغي الاهتمام بها مهما كنت مشغولة، هذا بالاضافة إلى مهام المنزل من طبخ وغسيل وتنظيف. الاعتقاد أن هذه كلها هي مسؤوليتك وأن عملك خارج المنزل لا يبرر حتى الاعتماد على آخرين كالعاملة المنزلية، فالناس من حولك يعتقدون بضرورة الإشراف على كل صغيرة وكبيرة في المنزل أولا وقبل كل شيء. هناك أيضًا معاناة الأولاد. فأولادي – نتيجة احساسهم بأن المجتمع من حولي غير مقتنع بعملي- لديهم احساس باختلاف أمهم «عن ام فلان وعلان» القابعة في المنزل. كان عندهم مثل هذا الانطباع في مرحلة ما. حتى أن ابنتي الصغيرة سألها مرة أحد المعارف ما إذا كانت تريد أن تصبح محامية في المستقبل، أجابت لا، أنا أريد أن أمارس مهنة أستطيع معها أنا أرى أولادي. بقيت لدي مشكلة مع الأولاد لفترة حتى اضطررت مرة للذهاب إلى سجن سواقة في يوم جمعة، وكنت في العادة، اكرس يوم الجمعة للأولاد، إضطررت للذهاب إلى السجن في ذلك اليوم بسبب حالة اضراب عن الطعام وكان هناك اجتماع عام لأهالي المعتقلين، الذين طلبوا مني أن أكون موجودة معهم في ذلك اليوم. حاولت الاعتذار فلم أتمكن، فاصطحبت أولادي معي إلى هناك. تلك الزيارة للسجن جعلت الأولاد يقتنعون بأن ما أقوم به قد يكون أهم من البقاء معهم في المنزل. تدريجيا، أصبحت ابنتي الكبرى، ربى، تشارك معي في نشاطات متعلقة بحقوق الانسان، بدأت تدخل الجو العام وتقتنع أكثر بعملي. أيضًا أقنعتهم بأن المسألة بالكيفية لا بكم الساعات التي أقضيها معهم، وهذا أعطى نتيجة. فأحسوا بأهمية النشاط العام والاطلاع على قضايا المجتمع فأصبحوا يحسون أن البقاء في المنزل ليس هو الأهم مما جعلهم يشعرون بالفخر لأن والدتهم امرأة عاملة ومحامية ناجحة ومعروفة. طبعا لم يكن الأمر سهلا، فأحيانا كنت آوي إلى الفراش وأنا أحس بالذنب لأن أحدا من أولادي عتب علي لبعض التقصير في أمر ما، مهما كان بسيطا. كذلك، هناك تأثر بالمحيط الاجتماعي. يبدأ المحيط بالتعامل مع المرأة باحترام عندما تحقق نجاحا في عملها. قبل أن تكون الواحدة ناجحة ومعروفة، تجد في محيطها اللوم والانتقاد من الأهل والجيران والأقارب، الذين يقولون لا مانع من العمل، لكن لا ينبغي أن يكون

مهما نجحت المرأة في مهنتها، فإن الواجبات الأخرى تبقى ملقاة على عاتقها كربة منزل

ذلك على حساب المنزل والأولاد.

مع تحقيق النجاح، بدأ الموقف يتغير وكل من حولي أصبحوا يحاولون مساعدتي لتخفيف الأعباء عني. أمي مثلا، حاولت من جانبها مساعدتي لتخفيف الأعباء، كذلك الأولاد، تعودوا على الاعتماد على النفس في كثير من الأمور، مثلا، كنت اليوم أريد الذهاب لإحضار كتب الأولاد من المدرسة، فقالت ابنتي الكبرى، أنا سأقوم باحضار الكتب. يعني أصبح هناك تغير ملموس في المحيط، لكن هذا التغير كلفني كثيرا من الوقت والضغط على الأعصاب، لاضطراري أحيانا للتحمل دون خوض نقاشات مع من هم حولي.

في البداية، تدربت على المهنة عند المحامي عيسى مدلّل (مستشار وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين) كان على استعداد للتعاون معي وكانت لديه ثقة بقدراتي وهو من عرض عليّ التدريب والعمل معه في المكتب. ليس هو من أعطاني الانطباع بعدم استقلالي كمحامية، بل الناس الذين كنت أتابع قضاياهم وأنجح فيها. وقصة واحدة من القضايا أخذتها على عاتقي الشخصي، هي التي جعلتني أفكر بالاستقلال عنه. تتعلق هذه القصة بمواطن كان يعمل آذنا في مجلس الأمة، فصل من وظيفته ولديه أحد عشر ولدا. طلب من عدة محامين المساعدة، لكن أيامنهم لم يقدم له يد العون لاعتقادهم بأن لا فرصة لدية للاعتراض على قرار الفصل، لأنه كان قد أخذ تعويضه بعد فصله من العمل، وهذا يعتبر بالقانون اذعانًا للقرار. وسلوكياته التي فصلوه من أجلها كانت بسبب ظروفه القاهرة حيث كانت له ابنة تقوم بتغيير دم باستمرار، فضلا عن معاناته بسبب الفقر وكثرة الأعباء المالية حيث يعيل اسرة كبيرة. كان يتصرف بشيء من النكد. عندما جاء عندي، درست ملفه فوجدت فيه نقطة شكلية قد تفيد بإعادة فتح ملف قضيته وابطال قرار الفصل، لأن الفصل حين يتم من شخص غير مخول يكون القرار باطلا، وعندما يكون القرار باطلا بالأصل، فحتى لو أذعن له الشخص المفصول يصبح الإذعان أيضًا باطلا. وجدت هذه النقطة وقررت السير في الدعوى لأرى إن كانت ستنجح، وقمت باستشارة مدير المكتب، فقال لي أن هذه قضية ضعيفة وأنها ستأخذ منك وقتا بلا طائل. فقلت إنني سأقوم بها شخصيا، خارج إطار عملي في المكتب، وسأقوم بدفع رسوم القضية لأن صاحبها لن يتمكن من دفع الرسوم.

أجيم سولاج / ألبانيا ◄

استلمت القضية وقمت بجهد كبير وأعددت مرافعة ممتازة، فصدر القرار لمصلحة صاحب القضية، وكنت أقوم بحضور كل جلسات المحكمة في العدل العليا. في آخر يوم بعد صدور القرار، قال لي أحد القضاة، «بلغي سلامي للأستاذ عيسى وقولي له أنه عمل مرافعة ممتازة». لقد استفزني هذا الأمر لأنني أنا من قام بالقضية وأعبائها التفصيلية من محاضر ومرافعات ودفاع. فقررت في ذلك اليوم فتح مكتب محاماة خاص بي، لأنه لن تكون لي فرصة وأنا أعمل في ظل محام آخر.

فتحت مكتبًا خاصًا، وكان قد مر علي ثلاثة أو أربعة أعوام وأنا أعمل مع محام آخر. لكنني أستطيع القول إنني أثبت وجودي في أوساط القضاة والزملاء والناس الذين تعاملوا معي. لكن كي أثبت وجودي كاسم

معروف ومتميز، كنت بحاجة إلى فترة مماثلة مع أنه، أيضا، كان لدي نشاط عام في المجتمع، لكن كنت مضطرة لقبول أتعاب أقل تصل أحيانا إلى النصف، لأجعل الناس يثقون بمكتب تديره امرأة. لوكان الجهد الذي بذلته في مهنة المحاماة والنجاح الذي حققته، قد قام به رجل، لكان حقق أرباحا وبنى منزلا من وراء مهنته، أنا فعليا حصلت من المهنة على نفقاتي الشخصية ومصاريف المكتب ومستلزماته، لكنني لم أحقق توفيرا أو مشروعا يجعلني أحس بأنني حققت شيئا للمستقبل.

لم يكن العمل مع الرجال بالأمر السهل. أعتقد أن وجودي كان يستفز بعضهم. أن تكوني محامية امرأة، هذا يعني أنه ينبغي له أن يحقق شيئا أمامك. كنت أحس بذلك. كان المواطنون يقولون كيف تسمح لامرأة بأن تخسرك قضية؟. عدد المحامين الذين لديهم هذا التوجه ليس كبيرا، ورأيي الشخصي أن المحامين الذكور ثلاث فئات: فئة ناضجة تتعامل مع المرأة بندية ولكنهم قلة لا تتجاوز الاثنين من عشرة. وفئة ثانية تتعامل مع المحامية باعتبارها الاستثناء لا القاعدة، وهؤلاء بنسبة خمسة من عشرة، وهم الغالبية بين المحامين. أي أنّ زوجته أو أخته لا يمكن أن تكون محامية، أما أنت فقد نجحت كاستثناء للقاعدة. أي ليس من الطبيعي والعادي أن تنجح المرأة في هذه المهنة. وهناك فئة ثالثة تشكل نسبة ثلاثة من عشرة رافضون – ضمنا أو صراحة – لوجود المرأة في هذه المهنة. بعضهم يقول: «شو بدك بهذي الشغلة جاي متعبه حالك وبتشتغلي محامية».

في فترات الحمل بأولادي الأربعة كنت أمارس المهنة وأسمع تعليقات: «روحي ارتاحي في المنزل، شو بدك بها الشغلة».

أحيانا كانت نظرة المحاميات للمهنة تعكس وجهة نظر المجتمع إزاء عمل المرأة كمحامية. منهن من يعتبرن النجاح في المهنة استثناءا، رغم أنهن درسن الحقوق وتخرجن وعملن في هذه المهنة. لكن هناك محاميات أثبتن وجودهن في هذه المهنة، وهناك محاميات يعملن في مكتب محام دون أن يفكرن بالاستقلال عنه، لكنهن يقمن بإدارة المكتب بجدارة أكثر مما يقوم هو بذلك . لكن نسبة كبيرة من المحاميات يعتبرن دراسة المحاماة وممارسة المهنة ليست الا محطة في حياتهن قبل الزواج، وغالبا ما يتركن المهنة بعد الزواج. يبلغ عدد المحاميات ما بين ممارسات ومتدربات وأستاذات حوالي ثلاثماية محامية، حوالي المئة منهن حصلن على مرتبة الأستاذية. واللواتي فتحن مكتبا مستقلا لا يتجاوزن العشرين محامية، منهن مصون شقير، سعودة سالم، فاطمة قصاد وعائشة عطيات، وأخريات عملن في شركة مع محامين مثل إيمان مقبل. وعدد منهن يعملن مع الأخ أو الأب أو الزوج الممارس للمهنة.

فلاديمير كوش/ روسيا

من المؤسف أن المجتمع يتعامل مع المرأة بشيء من الوصاية حتى في أوساط المحامين، فأحيانا يتقدمون لخدمتك أو تقديمك عليهم عندما يكون هناك صف طويل لتأدية بعض المهام، هم يتقدمون منك ولديهم الحس كرجال ببسط حمايتهم عليك. وهذا التصرف يصدر أيضًا عن الموظفين في المحكمة أو إدارات السجون، هذا الأمر قد يسهل مهنتك كمحامية، لأنك تحصلين على التفضيل لكونك محامية لا امرأة عادية. لكن أحيانا يدخلون معك بنقاش متسائلين: «ما الذي تريدينه من هذه المهنة المتعبة؟» ... لماذا اخترت هذه المهنة؟ أليس متعبا لك أن تتعاملي مع المساجين والمجرمين؟» فكنت أجيب:» الرجل المحترم، أيضا، يتعامل مع هؤلاء في مهنة المحاماة». وبالتالي مثلي مثل الرجل الذي يعمل بنفس المهنة. والناس بالاجمال يعتقدون أن هناك دوافع استثنائية تجعل المرأة تختار مهنة المحاماة.

أنا شخصيا، عندما قررت الدراسة في الجامعة، فكرت بواحد من ثلاث خيارات: علوم سياسية أو صحافة واعلام أو حقوق. مذ كنت طفلة كانت لدي دائما رغبة في التعامل مع الناس ورغبة في تقديم المساعة لمحتاجيها. وكانت لدي صورة ما نراه في التلفزيون والبرامج عن المحاكم والمحاماة والعدالة، ففكرت أن دراسة المحاماة تناسبني أكثر. ونتائجها مباشرة. بينما في الاعلام والصحافة لا توجد نتائج مباشرة، أما في الحقوق فهناك قضايا ومحاكم ونتائج ملموسه لذلك كله.

هناك تغيرات جرت في الأردن وأثرت على وضع المرأة في الفترة من أواسط السبعينات إلى أوائل الثمانينات؛ أولا، جرى نوع من الانتعاش الاقتصادي، الناشئ عن قروض ومساعدات وعائدات المغتربين، وهذا الانتعاش رافقه انفتاح سوق العمل للاردنيين في الخارج، خاصة في الخليج والسعودية، مما أفسح فرص عمل عديدة للنساء داخل الأردن. وسادت مرحلة كان فيها نوع من ليبرالية التفكير، تتقبل وتبرر عمل المرأة.

لكن عندما تفاقمت الأزمة الاقتصادية وعاد المغتربون إلى الأردن ونما التيار الديني في تلك الفترة، ارتفعت وتيرة الحديث عن أن البيت هو المكان الطبيعي للمرأة، وأن دورها الرئيسي في المنزل، بحجة أن عمل المرأة في الخارج يؤدي إلى تفكك الاسرة، وأن الأولوية للبيت والأولاد، وأن فرص العمل ينبغي أن تكون للرجال لأنهم هم المسؤولون عن اعالة الاسرة». أصبح هذا الكلام يطرح في الجرائد ويعبر عنه في خطب المساجد وفي الصحافة والندوات التي تتعلق بقضايا المرأة. وكان هناك اتهام مؤذ للمرأة الناجحة والعاملة، وأن ما تنجزه انما يأتي على حساب البيت والأولاد. بعض الذين طرحوا هذا الموقف كنّ من النساء خاصة اللواتي كانت لديهن توجهات دينية. كنت أسألهن: إذا كان لديكن هذا التوجه فلماذا تعملن أنتن خارج المنزل؟! البعض منهن قال بأن «لدي ظروف خاصة»، فكنت أقول: «وغيركن من النساء لهن ظروف خاصة».

المرأة قادرة بسلوكها أن تضع قيودا على نفسها. فأنا لا أضع مكياجا أو أرتدي ملابس ملفتة للنظر، أثناء ممارسة العمل والذهاب إلى المحكمة، لا أضع مكياحا، ثم في الخارج أتعامل مع نفسي كغيري من الناس. بدأت احس أن التعامل معك كانثى من بعض الموكلين أو الزملاء أو القضاة له علاقة بمظهرك، فبدأت اخفف من المظهر الانثوي. كي لا اعطي فرصة لمثل هؤلاء/ الأمر لأنني اردت أن يتعاملوا معي كند في كل شيء. تقيدت في ملبسي بألوان معينة، الألوان الحيادية والهادئة التي توحي بالجدية، ولم ألبس الكم القصير. وكنت أحرص على عدم وجود فتحة في الصدر، أو فتحة للتنورة. وحتى الأحذية اخترت منها ما ليس فيه ما يلمع. اجمالا صرت أحرص على البساطة في المظهر في محاولة مني لالغاء انوثة المرأة. وهذا أعتبره تنازلا، لأنني كنت أضطر له لاجبارالناس على عدم النظر لي كامرأة.

بعض الزملاء يصح اعتبارهم أصدقاء لصفات الطيبة والخلق فيهم وامكانية الحوار الفكري معهم، ومع ذلك وضعت حاجزا بيني وبينهم. ليست لدي علاقات اجتماعية مع المحامين ولا حتى مع المحاميات، والسبب أنك تحسين أنه ما دام العمل ميدان منافسة، وميدانًا أنت فيه برأيهم أنك الطرف الأضعف، فإنك ترغبين في حال كهذه، بوضع حد من الاحترام والجدية كي لا تعطي فرصة لأي منهم لابداء ملاحظات على تفاصيل سلوكك. منهم من رغبت بتوطيد علاقة الصداقة معهم، لكنني كنت أخشى سوء فهم الاقتراب منهم. حتى الزملاء الذين يتعاملون معك بنوع من المحبة تكتشفين أحيانا أنه يحاول مداعبتك بالربت على كتفك أو لمس شعرك، أي أنه يتجاوز الحد كزميل عمل فتحسين بأنك أخطأت التقدير حين رحبت بزيارته لك في مكتبك أو حين تقومين أنت بزيارة له في مكتبه،مع أن عملنا يتطلب ذلك أحيانا إذا كانت هناك قضايا مشتركة نحتاج إلى مناقشتها بهدوء.

منذ ثلاثة عشر عاما وأنا امارس مهنة

بول ديفيد / أميركا

المحاماة، وتتعرض الواحدة منا لظروف كثيرة. غير أنني واصلت لأنني أردت أن اثبت بأن المرأة تستطيع الخروج إلى العمل وأن تكون بنفس الوقت ربة منزل وام وأن تكون ناجحة في كل هذه المهام مجتمعة.

المثقفون يكونون أحيانا أسوأ من الرجال العاديين، لأنه سلاح الثقافة عندهم اضيف لأسلحة الرجل التقليدية في استغلال المرأة والنظر اليها بهذه الطريقة. فسلاح الثقافة أعطى البعض منهم فرصة للمراوغة وقول الكلام الجميل وبالتالي لا يظهر على حقيقته. ثانيا، الصدمة التي تتعلق بسلوكياتهم الواقعية، فهم يتكلمون عن حقوق المرأة، ثم يقيم الواحد منهم علاقة مع واحدة لفترة طويلة، وتسألينه لماذا لا ترتبط» فيقول: «لا هذه مجرد علاقة. أذا نويت الزواج فسأتزوج واحدة ثانية». واذا تزوج، يتزوج واحدة بمواصفات اخرى. حتى لو كان وضعه الاقتصادي صعب، يرفض أن تعمل زوجته .. هو يحضر كل النوات والمحاضرات والنشاطات المتاحة، أما زوجته، فلا تشارك بشيء من هذا. صدمت مرة عندما ذهبنا لزيارة مباركة بالزواج لأحدالزملاء، بأن عروسه لم تحضر معنا. فقلت له لماذا لا تكون زوجتك معنا؟ إذا حق لك النظر الي، فمن حق الحضور النظر إلى زوجتك. وبعد ذلك غادرت مجلسهم احتجاجا.

مثال آخر، تجربتي مع نقابة المحامين، حيث ترشحت لانتخابات مجلس النقابة لدورتين وبذلت جهودا جبارة ولم أنجح، مع انه عندما كانت اميلي بشارات وحدها كانت تحصل على أعلى الأصوات وفي كل دورة كانت تنجح. والسبب أنه عندما تشكل المرأة ظاهرة مع وجود عدد كبير من المحاميات الآن، تصبح المحامية التي تتوق إلى منصب عام خطرا عليهم. لأن هذا يشجع المحاميات على الترشح في انتخابات النقابة. أيضا، لم أنجح في نقابة المحامين في التقدم حتى ولو في مجال عمل اللجان. امرأة قوية في نقابة المحامين لا تنجح. يعطونك المهام التي فيها عمل كثير ولا تكونين فيها بموقع القرار. المرأة تنتج في العمل العام أضعاف ما ينتجه الرجل، عندما يكتشفون أنك تعملين بمثابرة، يعطونك المهام التي لها ليس من بينها تحمل المسؤولية. يعني، يمكن أن يقولوا لك تعالي اشتغلي في أي لجنة من لجان النقابة، اللجان توصي والمجلس يقرر. فأنت اذن تعملين في اللجان وهم في النهاية يقررون. مثلا، في اتحاد المحامين العرب، كنت مقررة لجنة المرأة (مقررة لجنة بلا قرار)، ارفع التوصيات، والمؤتمر يوافق أو لا يوافق. في مؤتمر دمشق ومؤتمر الكويت للاتحاد، كان في لجنة قضايا الوطن العربي عشرون محاميا، وفي لجنة المرأة حوالي أربعماية محام. قضية المرأة كانت قضية حدية، أيضا، في اتحاد المحامين العرب، لا توجد امرأة واحدة في المكتب الدائم. لا توجد امرأة نقيبة في أي من نقابات المحامين العرب. هذه ظاهرة. والأصل أن يكون مقرروا اللجان نقباء أو أعضاء في المكتب الدائم. ولأنهم لم يجدوا امرأة واحدة نقيبة أو عضواً في مكتب دائم، اقترحني سليمان الحديدي لرئاسة اللجنة في مؤتمر الخرطوم قائلا عندنا محامية نشيطة يمكن أن نعتمد عليها. كان ذلك محض صدفة، نظرا لعدم وجود امرأة في موقع القرار في كل اتحادات المحامين العرب، فاضطروا للقبول بترشيحي مقررة للجنة المرأة. وحتى على مستوى القضاء، توجد قاضيات في بلدان عربية كتونس وليبيا والجزائر وسورية. وفي الأردن، لا يوجد في

القانون ما يمنع، لكن التطبيق العملي يغفل ذلك. في فترة كان نجيب ارشيدات قد كلمني بأنه يفكر في تعيين قاضية للأحداث في الإصلاحيات بشكل خاص. يعني فكروا في جانب محدد، ولم يفكروا بقاضية بشكل عام.

من خلال تجربتي، اكتشفت أن النساء لا يثقن بالنساء. فعندما درست الحقوق كنت أعتقد أنني سأعمل في قضايا المرأة وحقوقها أكثر من أي شيء آخر، فوجئت أن المرأة لا تثق بالمرأة، ربما لعدم ثقة النساء بأنفسهن، يعتقدن بعدم قدرة محامية على الدفاع عن قضاياهن. كنّ يفضلن الرجل، على عكس الانطباع السائد من أن المرأة تستطيع الانفتاح أكثر مع امرأة محامية. عاملان يبعدان المرأة عن المرأة: الأول، احساس المرأة بدونيتها مما يعكس عدم ثقة بالمرأة المحامية، للاعتقاد بضعف النساء عموما. العامل الثاني هو عامل الغيرة، احساس بعض النساء العاديات بأن المحامية متعلمة ومتفوقة فيما هن لم يحققن شيئا من هذا. لكن لاحظت أن اللواتي يلجأن لامرأة محامية هن النساء الواعيات، غير أن نسبتهن ضئيلة على كل حال.

كذلك، لاحظت فرقا بين مشاكل النساء العاديات والنساء المثقفات. العاديات مشاكلهن من نوع: لا يريدني أن أزور أهلي؛ أهله يقولون كذا وكذا وهو يصغي اليهم». أحيانا تكون مشكلتها أنه يعاشر واحدة غيرها. وهي ان اعتدى عليها زوجها بالضرب تعتبر ذلك أمرا عاديا/ لكن تبين لي أن الرجل يعتدي على زوجته بصيغة أعنف كالاهانة والضرب، إذا كانت زوجته أكثر ثقافة منه، فيمارس هو عليها القوة البدنية كتعبيرعن احساسه بالنقص لكونه أقل تعليما أو ثقافة منها. نسبة النساء المعنفات بين العاملات أكثر. وأنا أعتقد أن المرأة العاملة في بلادنا تعاني كثيرا من ثقل الأعباء عليها. وأعتقد أن توترها الدائم بسبب ضغوطات الحياة والعمل هو السبب.

ملف

صورة المرأة الأردنية في الموروث الشعبي
إرادة التحرر والارتقاء

د. هدى أبو غنيمة*

إطلالة الرؤية

ليس الخيال الشعبي أداة من أدوات تضخيم البطولة فحسب، لأنه يعبر من زاوية رئيسة عن شخصية الشعب الجماعية، ويعبر عن التاريخ الشفوي لحياتنا الوجدانية عصرًا بعد عصر، وثمة فرق جوهري بين التاريخ بمعناه العلمي، والتاريخ الذي تشتمل الملاحم أو السير على بعض صفحاته. فالسير لا تعتمد على الدقة الوثائقية والمقارنات العلمية والاستقصاء، بل يعتبر الباحثون أمثال فاروق خورشيد، ومحمود ذهني، ومحمد مفيد الشوباشي «أن النضال ضد العبودية والتفرقة العنصرية هو المضمون السياسي للسيرة»(1)، وهو مضمون رائد نادت به السيرة منذ القرن الحادي عشر الميلادي، فكانت صرخة رائدة يجهر بها ضمير الإنسان بأن البشر سواء بغض النظر عن ألوان جلودهم (سيرة عنترة مثلا) وأصولهم العرقية وأجناسهم.

* كاتبة وباحثة من الأردن.

نجد في معظم السير الشعبية مثل سيرة عنترة، وسيرة الأميرة ذات الهمة، وغيرها من السير في الموروث الشعبي رسالة مشتركة هي:«أنه لابد من تحرير الفرد أولا حتى يتمكن من المساهمة في تحرير المجموع حتى إذا ناضل في صف المجموع يناضل بإحساس المواطن المنتمي إلى الجماعة»(2)

لعل الناظر في السير الشعبية والتي يقترب بعضها من الملحمة يكتشف أنها في الكثير من الأحيان تتبنى أكثر الأفكار تقدمًا مثل قيم المساواة بين الرجل والمرأة في السراء والضراء لا سيما في مجتمعات الفروسية التي تقاوم القهر والاستعباد. من هذه السير سير لنساء أردنيات من اللواتي قاومن بصورة من الصور التي عرفها عصرهن.

صورة المرأة الأردنية في الموروث الشعبي

لم تكن صورة المرأة في السيرة الشعبية للبيئة البدوية صورة المرأة المقموعة المهمشة بل تبرز المرأة فارسة وعاشقة ومعشوقة، ولعل ما يلفت الانتباه أنها قد تمتعت بحرية اجتماعية عززت صورة الذات في وعيها أكثر مما تمتعت به امرأة المدينة التي تناضل، وتتحمل الكثير من الموقف الاجتماعي المتزمت لتحقيق حضورها، ترى ألم تكن مجتمعات البادية قديمًا مجتمعات ذكورية؟ لما كانت ثقافة المجتمع هي العامل الأهم، الذي يؤثر على سلوك الفرد وطريقة تفكيره، فإننا لابد أن نستأنس بمعرفة المناخ الاجتماعي المحيط بالمرأة الأردنية أواخر القرن التاسع عشر، (ففي منطقة شرق الأردن، التي شكلت جنوب سورية البعيد نسبيًا عن مركز الدولة العثمانية، كانت العشيرة هي الوحدة السياسية الاجتماعية الأقوى، التي لم تخضع للدولة العثمانية، وبقيت تمارس عاداتها وتقاليدها وتحتفظ بكيانها السياسي والاقتصادي والاجتماعي وكان وجودها متلائمًا مع مستوى التطور الحضاري في حينه، علمًا أن عشائر المناطق شبه الحضرية التي تعيش في المدن الصغيرة، وما يحيط بها من القرى مثل إربد/ عجلون/ مادبا/ السلط/ الكرك ومعان، ورغم تطورها الحضاري النسبي المتمثل باختلاف نمط الإنتاج بالاعتماد على الزراعة، وبعض المهن الأخرى، ظلت تعتمد النظام العشائري كنظام اجتماعي جمعي يحدد علاقات الفرد بمحيطه.

وعلى الرغم من نمط الإنتاج السائد في المجتمع العشائري العربي بشكل عام، وفي شرق الأردن بشكل خاص، والذي يعتبر الأقل تقدمًا قياسًا بغيره، تلاحظ أن مفهوم القانون العشائري سابق لمفهوم الدولة، فيما يتعلق بمنظومة قيمه الأساسية وما ينبثق عنها من أعراف وتقاليد.

فالعرف البدوي يملك قوة القانون بالمعنى المعاصر ولعل المثل المرتبط بحكاية قطنة السردية «قانون قطنة فوق كل قانون» بحاجة إلى استقصاء أوسع يتجاوز رومانسية الحكاية التي تقول إن قطنة هي التي حررت أخويها ومن معهما من الأسرى الأردنيين من سجون الأتراك.

في هذا المحيط الاجتماعي، تشكلت مكانة النساء على مرتكزين أساسيين. الأول: أن النساء يشكلن قوة الإنتاج المادي اللازم لبقاء العشيرة فهن اللواتي ينجزن الأعمال الإنتاجية كافة، فضلاً عن الأعمال النمطية كالطبخ والتنظيف ورعاية الأطفال. الثاني: هو أن الإعلاء من شأن كرامة المرأة مرتبط باكتمال رجولة الرجل بالفروسية والإنسانية، فمن يكسر جاه المرأة ليس من الرجولة بشيء، ويعتبر ساقطًا اجتماعيًا) (3) لذلك نجد أن سيرة بعض النساء

البدويات لها مكانة مرموقة في الموروث الشفوي لا سيما المقاومات إبان هيّة الكرك ضد الأتراك أمثال علياء الضمور، ومشخص المجالي وبندر المجالي.

إرادة التحرر وسير نساء مقاومات علياء الضمور

هي امرأة الكرك الحديدية وخنساء القرن التاسع عشر، ولدت حوالي 1790 وتميزت بجرأتها وحكمتها، وأصبحت أسطورة عصرها للتضحية العظيمة التي قدمتها تجاه مدينتها. تزوجت ابن عمها الشيخ إبراهيم الضمور أحد قادة الكرك، وكان لها مكانة متميزة في قبيلتها لحكمتها ورجاحة عقلها، وكان الشيخ إبراهيم يستشيرها في القضايا المهمة المتعلقة بشؤون العشيرة.

وحينما حاصر جيش إبراهيم باشا في حملته على بلاد الشام مستغلاً ضعف وتهالكها الدولة العثمانية، قامت ثورة في فلسطين بقيادة قاسم الأحمد الذي التجأ إلى الكرك، ووجد ملاذا من ظلم إبراهيم باشا وجيشه في بيت الشيخ إبراهيم الضمور ورعاية من عائلته وزوجته ونساء العشيرة. في ذلك الوقت كان الشيخ إبراهيم وزوجته قد احتفلا بزواج ابنيهما سيد وعلي، لكن الأحداث تتابعت لتفسد فرحة الأبوين بابنيهما، إذ علم إبراهيم باشا بوجود قاسم الأحمد معززًا مكرمًا في بيت الشيخ إبراهيم فحاصر الكرك مطالباً بتسليم قاسم الأحمد.

فامتنع الشيخ إبراهيم والكركيون عن تسليمه، متحصنين بالرجولة والشجاعة مؤثرين مصاعب الحصار على التخلي عن المستجير بهم وكان أن وقع نجلا إبراهيم الضمور سيّد وعلي في قبضة العسكر وكانا في جوار المدينة يتفقدان الرعاة، فيكتب إبراهيم باشا إلى الشيخ إبراهيم مساومًا بولديه فإما أن يسلّمه الكرك وإلا أحرق ولديه وبكل الأنفة والكبرياء تجيب علياء: «..في الأولاد ولا في البلاد يا شيخ الأولاد فيهم عوض أما الشرف (والنوماس) ما له عوض».

لم يستطع جيش إبراهيم باشا دخول الكرك نتيجة المقاومة، التي لقيها بعد أن تكبد خسائر فادحة، وتوفيت علياء بعد ذلك النصر المفعم بمرارة فقدان ولديها دون أن تدري أن ولديها قد نجوا من الحرق وعادا بعد موتها(4)إلى دارهما. رغم اختلاف الروايات حول حرق الولدين إلا أن الموقف الذي وقفته هذه السيدة العظيمة موقف ذو بعد إنساني يتجاوز المكان والزمان، ليلتقي

عماد أبو اشتية / فلسطين ◄

مع إرادة التحرر الإنساني في كل زمان. تلك الإرادة التي تصبح رؤيا يقينية صوفية تتجاوز التحديات، وترتقي بالطاقات البشرية.

مشخص المجالي وبندر المجالي أول سجينتين سياسيتين

مشخص وبندر شقيقتان متقاربتان في العمر. ولدتا في الربع الأخير من القرن التاسع عشر في مضارب عشيرة المجالي وكان فارس المجالي والدهما من شيوخ ووجهاء الكرك وقد ربى ابنتيه على خصال الفروسية والشجاعة والمروءة، وقد ذاع صيت الأختين لما عرف عنهما من خصال حميدة ووعي فطري، وسلامة رأي ميّزتهما عن كثيرات غيرهما فتقدم للزواج منهما خيرة رجال العشيرة. تزوج الشيخ رفيفان باشا من بندر، وتزوج الشيخ قدر باشا من مشخص.

كانت عشيرة المجالي على رأس عشائر الكرك التي تعاقبت على زعامة المنطقة في ظل الدولة العثمانية، ولكن الممارسات التعسفية التي قادها حزب الاتحاد والترقي العنصري الذي انقلب على الشرعية في اسطنبول واستولى على الحكم، أدت إلى قيام هيّة الكرك، فقد تصاعدت سياسة التتريك ضد العرب، وجعلت الشباب العربي وقوداً لجبهات القتال البعيدة من خلال التجنيد الإجباري، والتلاعب بأعمار التجنيد من أجل تغذية الجبهات المشتعلة في محيط الدولة المتهالكة، وفتكت قوات الدولة بقيادة سامي باشا الفاروقي بالثورات التي بدأت تظهر تباعاً في المنطقة العربية، وقد عرف سامي باشا بقسوته وبطشه في إخماد تلك الثورات واضطهاد الأهالي.

في هذه الأجواء انقسم الناس إلى فريقين فريق مع الثورة، والثاني يرى أن المواجهة غير متكافئة، ومجدية. لكن مشخص زوجة الشيخ قدر شحذت همة رجلها ليعلن موقفه الحازم اتجاه ما يقوم به عسكر الأتراك، وكانت ذات حظوة كبيرة عند زوجها، فهو لم يتزوج غيرها رغم عدم إنجابها.

اندلعت الثورة عام 1910 وتمكن رجال الكرك والطفيلة ومحيطهما من الاستيلاء على مراكز الحكم والمخافر ولم يقل دور بندر عن شقيقتها مشخص، وهي زوجة الشيخ رفيفان أحد قادة الثورة، وعندما قاد سامي باشا طوابير عسكره للقضاء على الثورة عمل على ملاحقة مشخص وبندر، لذا تم إخلاؤهما ومن معهما إلى الجنوب بحماية عدد من الرجال، وجرت معركة غير متكافئة، قتل خلالها محمد المجالي وهو يدافع عنهما، ولكن تم القبض على بندر ومشخص وتم الزج بهما في سجن

معـان، فكانتا أول سجينتين سياسيتين تم اعتقالهما على خلفية نضالية مؤثرة، وكانت بندر حاملاً فوضعت مولودها في السجن، وأسمته حابس ثم أصبح حابس رفيفان المجالي قائداً عسكريًا وبطل معارك اللطرون وباب الواد.

كانت ثورة الكرك تمهيدًا، لقيام العرب بثورتهم العربية الكبرى بقيادة الشريف حسين، بعدها بست سنوات(5).

أسئلة وملاحظات

هل كان تميز مشخص وبندر وعلياء بوعي فطري وبـإرادة ارتقـاء، نتيجة قدراتهم الذاتية فحسب؟ أم أن المكانة الاجتماعية داخل تراتبية العشيرة، قد ساهمت مساهمة فعالة في إبراز أدوارهن؟ لعل هناك كثيرات غيرهن تمتعن بمواهب فطرية، واتخذن مواقف سبقت عصرهن، لكن سيرهن لم تحظ بالاهتمام. ما يلفت الانتباه في تلك السير تعزيز مجتمعات الفروسية لصورة الـذات عند المـرأة لتكون ذات حضور في الحياة اليومية وفي القضايا المصيرية.

وكذلك ارتباط اكتمال الرجولة بالإعلاء من شأن كرامة المرأة واعتبارها شريكاً. الأمر الذي يغذي فاعليتها ودافعيتها لتشارك في تجسيد قيمة الحرية، وتسويدها على قيم الاسترقاق والعبودية، ولعل مواقف أولئك النساء تبرز الاتساق الكامل في عناصرٍ تكوين شخصياتهن اللاتي لا تعاني فصاماً في صورة الذات التي ترتقي بإرادة التحررٍ من حالة كونها أنثى تابعة إلى كونها إنساناً مشاركاً مؤثراً، مما يستدعي أخذها بعين الاعتبار والمناقشة «لكي تكون حركة تحرر المـرأة في المجتمعات العربية متينة القوام قـادرة على المقاومة، حيث يجب المقاومة، وعلى الاقتحام، حيث يجب الاقتحام»(6) وكذلك على تحرير الحس النقدي والإبداعي للمرأة العربية من فتنة التلقي العشوائي دون محـاورات علمية نقدية للفكر النسوي الغربي الذي سجل تقدمًا ملحوظًا لا يخلو من تطرف وشطط وأيديولوجية سياسية تـأثيرهـا في بيئتها وسياقها الحضـاري، يختلف عن تأثيرها في مجتمعاتنا، لتكون الحركة النسوية العربية مشاركة في الكونية باستقلالية فكرية دون فقـدان الـذات والهوية.

المراجع:

1 - أدب المقـاومـة. د. غـالي شـكري، ص53 - 56، ط2، منشورات دار الآفـاق الجديدة، بيروت، 1979.

2 - المرجع نفسه، ص57.

3 - انـظـر دراسـة د.سـهـير سلطي التل الأردنيـات بين العشيرة والدولة من تاريخ الحركة النسائية الأردنيـة. مجلة الروزنة الصادرة عن اتحاد المرأة الأردنية. العدد الثاني عشر/ شتاء2012، ص62-66.

4 - Voices
The Pioneering Spirit of women in Jordan
Jacky Sawalha
Page 7
مطبوعات البنك الأهلي الأردني بدعم من وزارة الثقافة 2011.

5 - انظر هزاع البراري Jormulti.blog Spot.com/2011/091blog– Post html.3538
أيضاً Voices
Page 11-12-13

6 - انظر الأسس الفلسفية للفكر النسوي الـغـربـي، خديجة الـعـزيـزي، ص6، ط1، 2005، الناشر: بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، بيروت- لبنان.

شهادات

شهادة إملي نفاع
حول تجربتها الحزبية
إعداد: قسم التوثيق في اتحاد المرأة الأردنية

لمعة بسيسو
حياة مليئة بالنضال والعطاء
إعداد: قسم التوثيق في اتحاد المرأة الأردنية

شهادة إملي نفاع حول تجربتها الحزبية

إعداد: قسم التوثيق في اتحاد المرأة الأردنية

مقدمة

تعتبر الأحزاب السياسية الشكل الأرقى للعمل السياسي المنظم للدفاع عن مصالح مختلف الطبقات والفئات التي يتكون منها المجتمع.

لقد شهد الأردن على امتداد سبعين عاما ولادة عدد من الأحزاب السياسية الوطنية، قسم منها لم يعمر طويلا بسبب ظروف القمع، وقسم أخر استطاع، رغم جميع أشكال القمع والتضييق والسجن والاعتقال أن يصمد ويترعرع ويضرب بجذوره عميقا في أرض الأردن، تحميه وتصونه الجماهير الشعبية التي دافع عن مصالحها فمدته بخيرة أبنائها وبناتها، ولي الشرف أن أكون بين صفوف أحد هذه الأحزاب وهو الحزب الشيوعي الأردني.

إن الحياة الحزبية في الأردن تبلورت وتجذرت تنظيميا. وفكريا وسياسيا في الخمسينات، فالنكبة الفلسطينية عام 1948 وما تلاها من نتائج وحقائق ومستجدات، أفضت إلى تبدل كبير في جميع مناحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وقد تمثل هذا التبدل، في احد وجوهه، بانتعاش الحياة السياسية واكتسابها طابعا جماهيريا، واغتنائها بخبرة وتجربة العمل الحزبي في فلسطين، والذي كان أكثر عمقا وأكثر تنظيما مما كان عليه الحال في شرق الأردن، ولقد كان من الصعب على أي شاب أو شابة أن يكون بعيدا عن الحركة السياسية في ذلك الوقت، مع أفول عهد الاستعمار القديم ومع بروز الاتحاد السوفيتي بعد دحره للنازية كقطب مركزي في تطور الحياة السياسية على النطاق العالمي. وفي النتيجة، فإن الحياة

الحزبية في الأردن غدت في الخمسينات مؤسسية وجماهيرية ومتبلورة على المستوى الفكري والسياسي، وكان نضالها متمركزا على المحاور التالية:

1 – القضية الفلسطينية

2– استقلال الأردن وإلغاء المعاهدة البريطانية وإنهاء النفوذ الأجنبي.

3 – المهام التحررية العربية بما فيها الوحدة العربية.

4– الدفاع عن الطبقات الشعبية.

كما لعبت الأحزاب السياسية في الأردن دورا أساسيا في توعية وتنظيم النساء وجذبهن للنضال السياسي، وقد نصت برامجها السياسية على ذلك. وجاء في برنامج الحزب الشيوعي الأردني، كما نشرته جريدة «المقاومة الشعبية» في عددها العاشر بتاريخ حزيران 1951 « النضال في سبيل تحرير المرأة الأردنية من القيود الرجعية، ومساواتها بالرجل في جميع الأمور السياسية والاقتصادية والاجتماعية «.

تجربتي الشخصية

ترتبط تجربتي الشخصية في الحزب الشيوعي الأردني مع بداية بناء الأحزاب كمؤسسات لها فاعلية في بناء الحياة السياسية ومع تطور وضع المرأة الأردنية وقدرتها على بنا، حركة نسائية مجتمعية ذات توجهات تقدمية.

لقد ترعرعت في بيت يهتم بالقضايا السياسية، فشقيقي الأكبر الذي درس في الجامعة الأميركية في بيروت كان (قوميّا سوريًا وشقيقي الثاني والذي درس أيضًا في الجامعة الأميركية في بيروت كان شيوعيا ونشط خلال دراسته في الجامعة، أمّا والدي فكان علمانيا بتأثير .

طبيب لبناني كان يعيش في الأردن هو الدكتور «إبراهيم صليبي» وكان منزلنا يشهد مناقشات سياسية وأحيانا حامية بين الشقيقين خلال العطل الصيفية، وكانا يحكّمانني عندما يحتدم النقاش بينهما، وكنت باستمرار إلى جانب شقيقي الشيوعي. عندما لمس شقيقي اهتمامي بالسياسة وتأييده في آرائه أعطاني برنامج الحزب الشيوعي لكي اطلع عليه وأعطيه رأيي فيه مما دفعني لقراءته بتمعن شديد، وقد شدني ما جاء في البرنامج حول الانتصار لقضايا المرأة والعمال والفلاحين وسائر الكادحين، وتابعت الاطلاع على الصحافة المصرية اليسارية ومنها جريدة «المساء» ومجلة « روزاليوسف « في ذلك الوقت، وأكثر ما ترك تأثيره في هو كتاب «الأم» لمكسيم غوركي، كما قمت بتوقيع بيانات السلم ودرء

ضياء العزاوي / العراق

مخاطر الحروب قبل أن أنتسب للحزب.
في عام 1954 قدمت طلبا للانتساب للحزب الشيوعي من خلال شقيقي، وحضرنا أول اجتماع سري في منزل في شارع المستشفى الايطالي بعمان، وكان معي رفيقتان : «جلس حنا «صاحبة المنزل و «ميلادة خميس « وقاد الاجتماع المناضل الراحل «رشدي شاهين «الذي كان مطاردا في ذلك الوقت. في عام 1955 تم اختياري لأكون ضمن وفد الشباب والطلاب الذي سافر إلى وارسو / بولندا لحضور مؤتمر الشباب والطلاب العالمي، وكان معي عدد من الصديقات المقربات للحزب، وكان شقيقي رئيسا للوفد. لقد كان لما شاهدته من دمار، نتيجة الحرب العالمية الثانية، تأثير كبير علي، ووعدت نفسي أن أناضل من أجل السلم وضد الحروب والأحلاف العسكرية، واستمعنا إلى تجارب مختلف الوفود المشاركة مما ترك تأثيره الكبير علينا.

ولدى عودتنا من المهرجان كانت أسماؤنا قد وضعت على القائمة السوداء ومنعنا من السفر ودام هذا المنع حتى عام 1927 بعد النكسة.

خلال تلك الفترة قمت بنشاطات هامة، من ضمنها تنظيم تظاهرة نسائية جماهيرية ضد دخول الأردن «حلف بغداد» وإطلاق سراح المعتقلين، حيث كان لا يقل عن ستمائة شيوعي في السجون والمنافي الصحراوية، وقد نظمت التظاهرة خلال ساعة رفع منع التجول، وعندما وقفت لألقي كلمتي ذهلت من حجم الجماهير المتدفقة باتجاه تجمعنا، وفي نفس الليلة سقطت حكومة هزاع المجالي، وجاء صالح المعشر الذي أصبح فيما بعد وزيرا في حكومة سليمان النابلسي الوطنية ليهنئ، والدي، لأن التظاهرة التي نظمناها سرعت في رحيل هزاع المجالي، وفي اليوم التالي جاء والدي وصالحني بعد أن طردني من البيت قائلا «ليس عندي بنات يُسحَنّ، يكفي أن شقيقك مسجون» وكان أبناء عمي قد حرضوه علي، فعدت إلى البيت بعد أن نمت تلك الليلة عند إحدى الرفيقات، وبعد ذلك أصبحت قريبة جدا من والدي الذي تقاعد، وخلال ستة أشهر – مدة الإقامة ألجبرية المنزلية التي فرضت علي عام 1958 بعد ثورة تموز في العراق – كنت اقرأ له أو ألخص له معظم الكتب التي كنت اقرأها وقسم منها مجلات فكرية يسارية كانت تأتينا من بيروت بمساعدة سائق مدير عام البنك الأهلي الأردني في ذلك الوقت وقد جندته في الحزب. وقد تحول مكتبي في البنك الأهلي إلى هيئة أركان لإدارة حملة واسعة ضد استشهاد أحد رفاقنا «عبد الفتاح تولستان «

الذي أستشهد خلال التعذيب تحت إشراف الخبير الألماني الذي صرح انه قادم لقتل 003 شيوعي حتى يؤدب بهم بقية الأحزاب الوطنية الأردنية، وكان هناك حزب البعث وحركة القوميين العرب.

بعد فرض الإقامة الجبرية عليّ بذل والدي جهدا لإعادتي لعملي عن طريق أحد الوزراء، سليم البخيت، الذي ينتمي لنفس العشيرة (الدبابنة) وكان صديقا لوزير الداخلية آنذاك فلاح المدادحة، وبالفعل تم إنهاء الإقامة الجبرية علي وتمت عودتي للبنك « كرئيسة ديوان «، وكنت في حينها أول من يشغل هذا الموقع في أية مؤسسة أخرى.

خلال فترة الإقامة الجبرية لم أتوقف عن النضال لحظة واحدة، فكنت أخرج من باب خلفي متخفية بغطاء الرأس وأذهب لحضور وعقد الاجتماعات الحزبية، وكنت ألجأ إلى الخروج أكثر في المساء لأنه كان هناك باستمرار أحد رجال المباحث يراقب من يدخل أو يخرج من المنزل، خاصة وأن منزلنا كان يلجأ إليه أهالي المعتقلين وخاصة من الضفة الغربية، فكانوا يتجمعون في منزلنا وكنت أعد لهم المذكرات ليتم تسليمها للمسؤولين، يطالبون فيها بإطلاق سراح المعتقلين.

الحركة الوطنية شهدت فترة جزر على إثر خروج المنظمات الفلسطينية من الأردن

في عام 1963 تم فصلي مجددا من البنك الأهلي، وكنت مع زملاء آخرين قد أسسنا نقابة عمال المصارف وشركات التأمين، وترأست حملة المطالبة براتب الثالث عشر، وكان هناك ضغط من المخابرات بضرورة فصلي. وكما كتبت في إحدى الصحف، «تم فصلي خلال سبع دقائق من عملي الذي عملت فيه سبع سنوات بإخلاص وتفان» .

وبعد فصلي لم اعمل في أية مؤسسة لأنهم كانوا يطلبون « شهادة حسن سلوك « من المخابرات، ولذلك تفرغت لعملي الحزبي، وكرمني الحزب بانتخابي عضوًا في اللجنة المركزية، وكنت لا أتردد عن القيام بأي نشاط وأنفذ مهامي ألحزبية بإخلاص، وقد حدث في احد الأيام أن أضرب السواقون فاضطررت للسير على الأقدام مسافة طويلة حتى أقود اجتماعا للرفيقات في أحد جبال عمان.

وبعد أن أصبحت عضوا في اللجنة المركزية تعددت مسؤولياتي الحزبية وخاصة خلال اعتقال الرفاق، وكان من ضمن مهامي قيادة مكتب شؤون المرأة في الحزب، ومتابعة أخبار واحتياجات الرفاق المعتقلين ومساعدة أهاليهم وتأمين الاتصالات بين الضفتين والخارج، والإشراف على العمل في تأسيس وقيادة المنظمات النسائية الجماهيرية، وقد علمتنا التجربة بأنه يستحيل أن يكون هناك منظمة جماهيرية نسائية تعمل بشكل سري، ولذلك عملنا باستمرار لتأسيس منظمات علنية أو المشاركة في منظمات علنية.

في عام . 197 تم انتخابي لعضوية المكتب السياسي، ولعبت دورا مهما لأن الحركة الوطنية شهدت فترة جزر على اثر خروج المنظمات الفدائية الفلسطينية من الأردن وانعكاس ذلك على دور الأحزاب السياسية والنضال السياسي العام وترك بصماته الثقيلة على دور المرأة في النضال السياسي، ما زالت المرأة تعاني من آثاره السلبية.

فبعد الاعتقالات الواسعة واضطرار البعض لمغادرة البلاد واجه حزبنا مهمات صعبة كغيره من الأحزاب واستعان الحزب بالرفيقات لنقل المطبوعات داخل البلاد وخارجها وجمع التبرعات وتنظيم

الاعتصامات والمظاهرات احتجاجا على الأحكام العرفية والاضطهاد والتضييق على المعتقلين. وكانت البيانات والنشرات التي يتم توزيعها تفرض حكما بالسجن لمدة 15 عاما على الشخص الذي توجد بحوزته، ولذلك فإن توزيعها ونقلها لم يكن أمرا سهلا، غير انه كان لها تأثير كبير على الجماهير الشعبية التي كانت تعاني من غياب الحريات العامة والمستوى المعيشي المتدني، وكان قانون مكافحة الشيوعية سيء الذكر سيفا مسلطا على رقاب الرفاق والرفيقات، غير أننا لم نأبه بذلك وواصلنا النضال بنكران ذات وتضحيات جمة اقلها السجن والإقامة الجبرية والفصل من العمل والملاحقة والمنع من السفر... الخ.

لقد تم تفتيش منزلنا عشرات المرات وبشكل وحشي وغير حضاري وصودرت لنا كتب وصور، أمل أن يأتي اليوم الذي استعيد فيه هذه الوثائق.

هذا وقد انتدبني الحزب لتمثيله في عدد من مؤتمرات الأحزاب الشيوعية كان من ضمنها مؤتمرات الحزب الشيوعي في البرتغال واليونان وقبرص والولايات المتحدة وفرنسا وايطاليا والاتحاد السوفيتي، وكنت في الكلمات التي القيها أركز على القضية الفلسطينية وتسليط الأضواء على جرائم حكام إسرائيل.

وأتذكر أنني أثناء وجودي في اجتماع للحزب الشيوعي البرتغالي تسلمه برقية من الوفاق يبلغوني فيها آن الحكومة لن تسمح بالترخيص للحزب، فكتبت مذكرة بمساعدة « غيس هول» أمين عام الحزب الشيوعي الأميركي وجمعت عليها 45 توقيعا من الأحزاب المشاركة في المؤتمر وأرسلت إلى وزارة الخارجية الأردنية تطالب بمنح الحزب الشيوعي الأردني الحق في العمل العلني. وقيل لنا إن هذه البرقية كان لها تأثير إيجابي على ترخيص الحزب، لأن الحكومة الأردنية ترغب في أن تكون صورتها جيدة في الخارج.

وعلى إثر أحداث جامعة اليرموك واعتقال جميع الرفاق في قيادة الحزب باستثنائي قدت الحزب مع رفاق آخرين ليلة وجود الرفاق بالسجن، وفي نفس الليلة تم كتابة وطباعة بيان وزعه الرفاق والرفيقات في اليوم التالي وكان له تأثير في عدم إطالة مدة سجنهم.

على هامش نضالي الحزبي وانطلاقا من القناعة التي تكونت لدي داخل الحزب منذ السنة الأولى فقد شاركت في تأسيس «اتحاد المرأة العربية» عام 1954 مع المحامية املي بشارات ومجموعة من السيدات أمثال لمعة بسيسو وسهام الجابري وفريدة غنما وغيرهن. وشاركت بحماس وأحيانا بمبادرة مني برفع المذكرات إلى المسؤولين للمطالبة بحقوق المرأة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وكان أولها في عام 1955 عندما قرر مجلس الوزراء مشروع قانون الانتخابات الذي أعطى للمرأة المثقفة حق الانتخاب وليس الترشيح.

يستحيل وجود منظمة جماهيرية نسائية تعمل سراً، لذا عملنا لتأسيس منظمات علنية

وفي عام 1956 نظمت «رابطة الدفاع عن حقوق المرأة « أول احتفال جماهيري في مدينة أريحا بمناسبة يوم المرأة العالمي، شارك فيه مالا يقل عن 800 امرأة من الضفتين تحت شعار «حقوق متساوية للمرأة بما في ذلك حق الترشيح والانتخاب للبرلمان وإلغاء المعاهدة البريطانية» ، وعكس الشعار في حينه إدراك المرأة للترابط العضوي

بين نيلها حقوقها واستقلال وسيادة وطنها وتحرره من السيطرة الاستعمارية، وخلال العدوان الثلاثي على مصر نظم الاتحاد أنشطة متنوعة فلم تمهله السلطات فقامت بحله بعد المؤتمر الجماهيري الكبير الذي عقد في سينما البتراء في عمان عام 1957. وجاء الرد على المطالب التي أقرها «مكان المرأة البيت» وفي نفس الليلة تم حل حكومة سليمان النابلسي وتم حظر العمل الحزبي، وبدأنا فترة صعبة من النضال، وواصلنا النضال سريا من خلال الرابطة وأوفدنا رفيقات وشخصيات وطنية للمؤتمرات النسائية العالمية.

هذا وقد نظمت بطلب من الحزب مسيرة نسائية حاشدة في عام 1969 احتجاجا على العرض العسكري الإسرائيلي في مدينة القدس، وقد سارت المسيرة من الجامع الحسيني في وسط عمان إلى دار رئاسة الوزراء في الدوار الثالث بجبل عمان، وصادف وجود الأمين العام للأمم المتحدة فتم تسليمه مذكرة أعدت مسبقا احتجاجا على العرض العسكري الإسرائيلي.

إن مشاركة المرأة في الأحزاب السياسية قد شهد مدا وجزرا ، ففي سنوات المد الوطني حين لعبت الأحزاب السياسية دورا بارزا في الحياة السياسية انخرطت المرأة في الأحزاب والتجمعات والحركات السياسية التي شهدتها الساحة الأردنية، إلا أن دور المرأة ضعف في فترات الجزر حيث حلت الأحزاب وتم حظر نشاطها تحت طائلة العقاب والذي يتراوح ما بين الفصل من العمل والمنع من السفر والسجن والاعتقال وفرض الإقامة الجبرية المنزلية والأحكام بالسجن التي كانت تصل إلى 15 عاما بموجب قانون مقاومة الشيوعية.

إن التجربة المريرة في العمل الحزبي قد تركت آثارها السلبية في مرحلة العمل الحزبي العلني بعد ترخيص الأحزاب عام 1992 / 1993 ، إذ إن مشاركتها جاءت محدودة وضعيفة ولا تتعدى 7.5 %. غير أن الحملة الأخيرة المتعلقة بتصويب أوضاع الأحزاب ليتم ترخيصها بموجب قانون الأحزاب الجديد قد شهدت تقدما إيجابيا في موقف النساء من العمل الحزبي نأمل في ظل بيئة سياسية صحية أن يزدهر ويستقطب النساء بأعداد كبيرة للعمل الحزبي المنظم.

لمعة بسيسو

حياة مليئة بالنضال والعطاء

نص المقابلة كما ورد على لسان الرائدة لمعة بسيسو، في إطار التوثيق الشفوي الذي يقوم به مركز أملي بشارات في اتحاد المرأة الأردنية

سنوات طويلة مرت على رحيل الزوج والمناضل والمفكر الكبير منيف الرزاز والسنوات تمر على الرحيل المفاجئ للابن الأكبر الكاتب المبدع مؤنس الرزاز. وما زالت لمعة تستند وتمسك بيد منيف وذكرى مؤنس .. كما تقول،

لمعة بسيسو شاعرة ومن الرائدات اللواتي قمن بتأسيس (الاتحاد النسائي الأردني) مع السيدة أملي بشارات في الأربعينات من القرن الماضي، ومن أوائل الفتيات الأردنيات اللواتي أكملن دراستهنّ الجامعية في بيروت وعملت في مجالات عديدة في التدريس والأدب والفكر وفي العمل التطوعي في العديد من المراكز والمؤسسات والمستشفيات. وقدمت هي وكل أفراد العائلة الكثير، وداهمت المصاعب بإيمان وشجاعة وثبات، وما زالت شامخة كأشجار السرو في جبال عمان، وتتذكر الامال والأحلام والرايات التي كان يرفعها منيف: رايات الوحدة القومية والتحرر والعزة والكرامة والنهضة والعدالة، الخفّاقة بالفكر التقدمي التحرري المتطور دائما والمستند إلى المنهج الجدلي المادي الذي رفضه رفاقه، تتذكر مسيرة العذاب التي رافقت فيها زوجها منيف الرزاز والتي كتب عنها لابنه مؤنس ذات مرة فقال (طريق الآلام مشاها المسيح من الجثمانية إلى الجلجة مرة واحدة في حياته، ومشيتها أنا طيلة

حياتي..)
إنها طريق النضال والعطاء والصبر والتضحية، بكل ما فيها من سجون وملاحقة ومنافٍ وإقامة جبرية...
ومع الأسف فإنه في وطننا العربي غالبا ما يكون حصاد المناضلون المناضلين والمخلصين والجادّين ومرا كالعلقم، حصاد من الطعنات والنسيان! ومن أين يأتي كل هذا الصمود والصبر للأحياء منهم؟ ومن أين يأتي كل هذا الأمل والحلم بزمن ومستقبل أفضل؟ من أين تأتي كل هذه الصلابة والثقة وكل هذا التسامح والنقاء لدى ضيفتنا العزيزة لمعة بسيسو؟
الذكريات المرة والأحزان في عينيها، ولكنها ثابتة وتبدو كشمعة مضيئة في هذه العتمة ويبقى في الذاكرة منيف الزوج والرفيق والصديق والحبيب والشهيد. وفي الذاكرة الابن البكر مؤنس المناضل والكاتب والمبدع وصرخته المدوية: «أماه إنهضي، قومي من مقعدك المتحرك وخلصيني، غطيني بشرشف الليل البارد لعل نزيفنا تحت جمرات الشموس يجف وينخمد» إنه حزننا جميعا على أوضاعنا المفجعة... إنه خريف طويل ... قتل فيه منيف واختنق فيه مؤنس من القهر والعذاب والألم واللمعة تردد مع جبل اللويبدة الخالد... لا تيأسوا ابحثوا عن الضوء... إشعلوا النار والنور ... اعملوا مخلصين من أجل الحرية والغد المشرق القادم.
نحن في عمان منذ منتصف العشرينات، جئنا وعمري أربع سنوات وكان والدي يعمل مستشارًا في أكثر من دائرة وهو أصغر أشقاؤه ومثل الأردن في أول اجتماع لجامعة الدول العربية بعد إنشائها وشارك في لجان توحيد الضفتين وتم إختياره عضوًا في مجلس الأعيان حتى وفاته في عام 1964 حيث تجاوز التسعين عامًا،
ووالدي درس القانون في إسطنبول وعمل بالقضاء في دمشق قبل انتقالنا إلى عمان مع إنشاء الإمارة ووالدي رغم تمسكه بالدين فقد كان منفتحًا ومتحررًا إلا أنه أيضًا كان لديه بعض التمييز بين الأبناء والبنات نحن خمس شقيقات توفي ثلاث منهن في الطفولة نتيجة أمراض مختلفة وبقيت أنا وأختي الكبرى نعمة التي عملت بالتدريس وشاركت في تأسيس اتحاد المرأة الأردنية وعمل معي في الاتحاد السيدة نجية النابلسي زوجة سليم النابلسي وهو شقيق سليمان النابلسي وإملي بشارات وهي أخت وأعز الصديقات لي وبقينا على علاقة وثيقة حتى وفاتها.
والدتي من الشام وهي نور الهدى محاسن

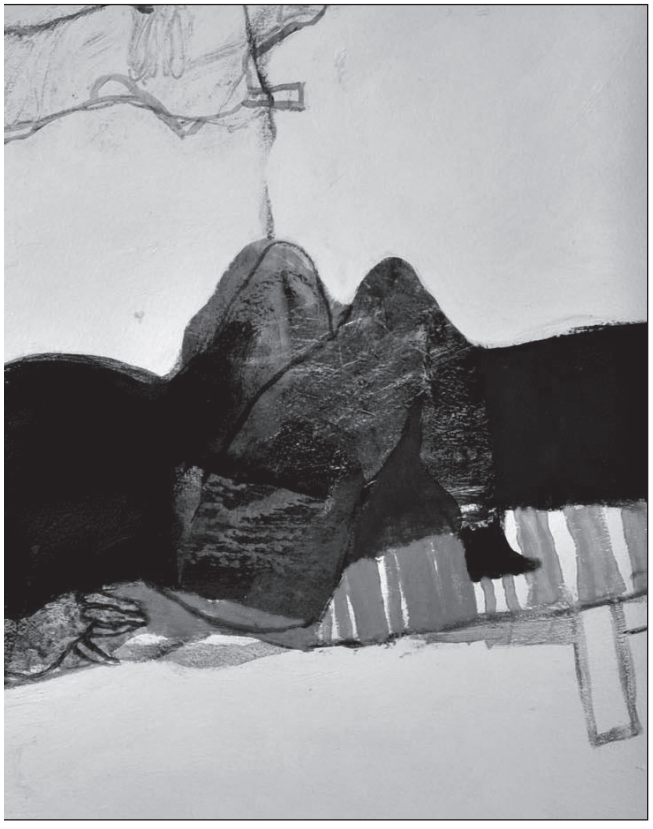

سروان باران - العراق ◄

إبنة عم السيد أسعد محاسن وهو من رجالات سوريا البارزين ولي أيضًا ثلاثة أشقاء وهم وليد وهشام وفاروق، هشام تويفي بالخطأ في حادث مؤلم وهو في السن الثانية عشرة حيث أصيب بطلق بندقية بينما كان يلعب مع أحد أبناء عمنا.

أرسلنا الوالد أنا وشقيقتي نعمت إلى مدرسة داخلية في القدس وهي مدرسة (شميت) للراهبات، ولم يكن عند الوالد أي تمييز بين المسيحيين والمسلمين، وكان يتم استقباله بحفاوة بالغة من قبل إدارة المدرسة والراهبات. في هذه المدرسة الكثير من بنات الشيوخ ومنهم الشيخ (حسام الدين جار الله) الذي كانت تربطنا مع بناته (الإحدى عشر) علاقة ممتازة، وكان لي صديقة في تلك المدرسة اسمها حفصة خيري وأخرى من بيت أبو غنيمة لا أذكر إسمها...

درست في هذه المدرسة سنة واحدة فقط حيث عدت مع شقيقتي إلى عمان بعد مرض والدتي، مدرسة (شميت) كانت صعبة وكان التدريس باللغتين الألمانية والإنجليزية وبعد هذه المدرسة أرسلنا الوالد إلى مدرسة أخرى في رام الله وهي مدرسة (الفرندز) ومنذ التحاقي بهذه المدرسة وأنا أقوم بهوايتي المفضلة وهي المطالعة وبقيت في هذه المدرسة حتى التخرج أذكر أنه كان عدد المتخرجات سبعة فتيات فقط ومنهم: (عبلة الناشف، نادرة الخطيب، قسمت أبو لبن) والتي عملت في الشؤون الإجتماعية وإستشهدت بانفجار من قبل اليهود، وبعدها هاجر أهل قسمت إلى حلب بعد الإحتلال الإسرائيلي، أما عبلة الناشف فقد تزوجت أحد أصدقاء زوجي منيف وهو وصفي حجاب وهما درسا معًا في الكلية العربية في القدس، ونادرة الخطيب هي إبنة الدكتور طاهر الخطيب الذي عمل في غزة والقدس ووالدتها روسية وكان لديهم بيت جميل جدًا على شاطئ غزة وهو من أجمل بيوت غزة في تلك الفترة، في مدرسة الفرندز كانت مديرة المدرسة قديرة وتهتم بي وتشجعني على المطالعة والكتابة.

في تلك الفترة ونحن طالبات في المدرسة كان هناك إضراب شامل في فلسطين عام 1936 وكانت المظاهرات تعم معظم المدن الفلسطينية وخاصة في يافا وحيفا والقدس وغيرها... أثناء الإضراب تم نقلنا من المدرسة وقبل رحيلنا قامت عبلة بمحاولة لأكل كل الزيتون الذي كان في مطبخ المدرسة كي لا يبقى منه شيئ، كان الأهل يزودوننا بالأكل من الخارج وكنا نتشارك في كل ما يصل إلينا منه، وكانت إدارة المدرسة تمنع اليهود واليهوديات من الدخول إلى المدرسة

والمديرة كانت سيدة مناضلة وكانت تسمح لي بأن أستعير كتب شكسبير الذي قرأت له الكثير، وكذلك شاركت بالتمثيل في العديد من مسرحياته التي كان يتم تقديمها في المدرسة وقرأت أيضًا الكثير من الروايات لكتاب عرب.

في مدرسة الفرندز كان هناك عدد من الطالبات الأردنيات أذكر إثنتين منهن وهما توأمان من عائلة الشويحات من مأدبا (آيلن ومرثا).

لم يكن في عمّان في ذاك الزمن بيوت كثيرة، سكنا أولا في بيت شركسي في وسط البلد بعدها وجد والدي بيت حجر صاحبه شخص من آل كمال، وكان في أسفله دكاكين ثم إستأجر الوالد بيتًا جميلاً صاحبه من آل خير قبالتنا كان يسكن هاشم خير والبيت واسع مكون من ثلاث غرف ومطبخ وحمام الشوارع كانت ترابية ولم تكن الكهرباء متوفرة وكنا نستخدم اللوكس والقنديل، وقرأت في حينها كتاب مصطفى المنفلوطي (النظرات والعبارات) على اللوكس وكذلك رواية (ماجدولين) والعديد من الكتب والروايات التي كانت موجودة في مكتبة الوالد وكان جيرانا في جبل اللويبدة من بيت (آل بكري) وآل الفايز أقصد أهل عاكف الفايز، وكنا أصدقاء وكنت ألعب مع عاكف في حينها لعبة (الرز)، وكان (عاكف) صبيًا شقيًا جدًا، ولم يكمل دراسته وكان يلتهي بالمزارع والخيل والجاهات، ومن جيراننا في جبل اللويبدة أيضًا عبد القادر الجندي، ومحمد علي العجلوني وخليل نصر وعبد الكريم زغلول وواصف بشارات وعائلة من بيت الحمود (عز الحمود) وكذلك سمير الرفاعي وكان وزيراً للمعارف وكان متشدداً جداً وكان يعمل على تشغيل البنات أكثر ما يمكن. كنت في حينها أدرس في جبل عمان وأنا أسكن في جبل اللويبدة مما كان يضطرني للانتقال بين البيت في اللويبدة والعودة إلى المدرسة ذهابًا وإيابًا.

في مدرستنا بجبل عمان كانت الصفوف صغيرة وعدد الطالبات لا يزيد عن عشرين طالبة منهن (سعاد أبو الهدى، ومها صحاب، والدتها من الشام وكانت في الصف السابع وكانت تلبس مريولا من حرير أصلي بياقة بيضاء، وكانت ضعيفة في الدراسة، أما المعلمات فمنهن (أميرة الشريقي، شهيرة الشقيري، وأنا) وكنت أدرس مادة الإنجليزي والاجتماعيات ومن طالباتي (فاطمة ملحس، وأختها ثريا ملحس) التي كانت منزوية وكنت صاحبتها الوحيدة. ثريا ملحس هي الشاعرة الكبيرة المعروفة وكذلك حورية المفتي التي أصيبت بمرض نفسي وأختفت بعدها في ذلك الوقت لم يكن سوى مدرستين، مدرسة خرفان ومدرسة أخرى في بيادر وادي السير.

في بداية الخمسينات درست في الجامعة الامريكية في بيروت «وقبل أن أنسى» بعد إنتقالي من مدرسة (شميت) إلى مدرسة (الفرندز) جعلوني أتجاوز صفين لأنني كنت أمتلك معلومات درستها في الأردن في الجبر والهندسة وهذا لم يكن يعرفه باقي الطالبات، وأذكر أن أكثر البنات تحرراً كن البنات العراقيات رغم أنهن كن يلبسن ملابس متحفظة وعباءة درست في الجامعة الأمريكية إختصاص (رياض الأطفال) وأدبًا إنجليزيًا وإنقطعت عن الدراسة في الحرب العالمية الثانية.

إلا أن أمي أصرت على عودتي للدراسة وعدنا إلى بيروت أنا وشقيقتي نعمت، وكان البعض ينقل للملك عبدالله ويحرضه ضد والدي لأنه أرسل بناته إلى بيروت وهن يدرسن مع الرجال وهنّ سافرات في الجامعة، وإزداد

التحريض مما إضطر الملك لمراجعة الوالد وسؤاله (كيف تبعث بناتك للجامعة؟) ونتيجة التحريض خسر الوالد الوظيفة، ووالدي كان وضعه المالي جيدًا، كان والدي مع مواصلة تعليمنا في الجامعة وشقيقنا الدكتور وليد كان ضد هذا متعصبًا إلا أن الوالد كان يمنعه من التدخل في شؤوننا.

في عام 1947 عملت أحاديث في الإذاعة الفلسطينية، وكان المذيع إسمه اديب العامري، وفي عام 1984 عملت بنشاط في الهلال الأحمر الأردني، وفي عام 1949 تزوجت من (منيف الرزاز) وفي تلك الفترة أيضًا أرسلني الإتحاد النسائي وكنت في حينها سكرتيرة، ولدي مقدرة جيدة على الكتابة والخطابة وكان برفقتي زوجة حيدر شكري وأدما هاشم كي ألقي كلمة في القدس وعلى الجسر حاولوا إعادتنا إلا أنني تمكنت من القفز والإختباء في شاحنة خرفان وجرحت يداي جروحاً نزفت كثيراً ووصلت القدس وألقيت كلمة أخرى وحضر هذا اللقاء جمهور كبير ورؤساء البلديات وكان من المفترض أن تبث هذه الكلمة أيضًا عبر الإذاعة منع بثها وحضر هذا اللقاء أيضًا كمال ناصر وسعد جمعة أهم ما كان في كلمتي هو التساؤل : كيف يمكن للرجل أن يعطي المرأة حريتها وهو لا يمتلك هذه الحرية الكل صفق لهذه العبارة هذا كان في عام 1947.

عن الإتحاد النسائي ودور المرأة

في تلك الفترة في نهاية الأربعينات من القرن الماضي كان دور المرأة ضعيفاً والتعليم كان مفتوحاً للأولاد من قبل الأهالي أما الفتاة فإما أن تتزوج باكرا أو تعمل في بيوت أشقائها. والإتحاد النسائي منذ تأسيسه في تلك الفترة كان يعمل بكل جدية كي تأخذ المرأة بعض حقوقها إضافة إلى نشاطاته في مجال مساعدة الفقراء، وهذه النشاطات كانت تقتصر فقط على المدنٍ إذ إنّ معظم الناس كانوا يعيشون ظروفاً صعبة وكان لإميلي بشارات دور كبير، وكنا نعمل وبنفس التوجه والخط، وكنا على قناعة رغم معاناة المرأة الشديدة فإن الرجل لم يكن في حال أفضل، ولذا فإنني في كلمتي التي ألقيتها في المتحف الوطني في القدس وبحضور العديد من رجالات فلسطين، ركزت على هذه القضية أي على معاناة كل الناس (المرأة والرجل) لهذا تم وقف بثها من الإذاعة وسعد جمعة لم يكن راضياً عما جاء في الورق وكمال ناصر أصر على أخذ الورقة بالقوة وقام بإخفائها وقال لي: بدك تودينا بداهية! أنا سأكتب الكلمة وألقيتها بإسم الاتحاد الجمهور صفق كثيراً للكلمة منهم رئيس بلدية نابلس.

في تلك الفترة لم يكن للاتحاد النسائي لا مقر ولا مركز ولا أية أموال... فقط القليل من التبرعات... بعد النكبة الكارثة الفلسطينية التي أثرت على الجميع بدأنا العمل مع الهلال الأحمر، وكان عملاً تطوعيًا شارك فيه العديد من أعضاء الاتحاد وعملنا على مساعدة اللاجئين واللاجئات...

إنها كارثة لا مثيل لها عانى منها الشعب الفلسطيني وخاصة النساء، وحكايات المآسي لا تنتهي ومنها الأمهات اللواتي نسين أطفالهن كنا نعمل مع الهلال الأحمر على تقديم كل المساعدات الممكنة وأذكر أن إبنة رئيس الحكومة (سعاد أبو الهدى) كانت متطوعة معنا أيضًا وكانت معنا ناديا الدجاني. في حينها لم أكن متزوجة.

ومن ثم أسس منيف مركزًا جديدًا للهلال الأحمر وكنا نعمل به وكذلك ومع بداية الخمسينات أسس منيف وعبدالله الريماوي رابطة التجمع الوطني وكانت نواة لتجمع

البعثيين والقوميين.
وفي أوائل الخمسينات تم إعادة تشكيل الاتحاد النسائي باسم اتحاد المرأة العربية واستمر باهتماماته السياسية وقضايا النساء وقدم الاتحاد في حينها مذكرة لرئيس الوزراء ولمجلس النواب لتعديل قانون الإنتخاب والمطالبة بحق المرأة في الانتخابات والترشح لمجلس النواب والبلديات. في حينها أوصت اللجنة القانونية في مجلس النواب بقبول هذه المطالب والاعتراف بحقوق المرأة إلا أن القانون الجديد أقر فقط حق الإنتخاب للمرأة المتعلمة وحرم المرأة الأمية من حقوقها، ولهذا رفعنا مذكرة تقول (نحن النساء الباصمات أدناه نريد حقاً كاملاً غير منقوص) وفي ذلك الوقت كان عدد المتعلمات قليلاً جدًا والأغلبية كن غير متعلمات، وكانت لنا نشاطات ومشاركات سياسية منذ تأسيس (اتحاد المرأة العربية)

في أوائل الخمسينات تم إعادة تشكيل الاتحاد النسائي باسم اتحاد المرأة العربية

وخاصة المشاركة في المظاهرات والمسيرات إحتجاجًا على حلف بغداد، وكنا نحمل أعلامًا ويافطات ونرفع شعارات وطنية وقومية تطالب بإسقاط حلف بغداد، في إحدى هذه المظاهرات ذهبنا إلى مجلس النواب كما قمنا بنشاطات وتحركات بعد طرد كلوب باشا، ومن مطالبنا في تلك الفترة خاصة أثناء حرب السويس وبعدها هو تدريب النساء. لقد كان الحماس شديدًا والعديد من النساء كن يرغبن بالتطوع لمساعدة الشعب والجيش المصري في التصدي للعدوان الثلاثي وكذلك قمنا بنشاطات كثيرة تأييدًا للثورة الجزائرية والشعب الجزائري ضد الاستعمار الفرنسي.

وبعد حل الإتحاد عام 1957 واستمر عملنا ونشاطاتنا ونحن في البيوت وتم اعتقال (منيف)، وقد كان متحمسا بعد طرد كلوب باشا وازداد نشاطه السياسي، وكان يأمل بالجديد طموحه كان بلا حدود، وكان رهانه على جمال عبد الناصر وخاصة في إمكانية تحقيق الوحدة العربية. كان جمال عبد الناصر مثاله ومبعث كل أماله وبعد الإعتقالات التي تمّت أصبح لدينا مطالب جديدة وهي الإفراج عن السجناء.
أول مرة اعتقل فيها منيف بعد زواجنا وكان عمر مؤنس 6 سنوات... أثناء سجنه في الجفر زرته مع مؤنس مرة واحدة... وكان التعاطف معنا ومع الطفل مؤنس من قبل ركاب الترين كبيرًا، كان لنا نشاطات كثيرة في الاتحاد النسائي وطلب مني أن أتحدث في المنتدى العربيّ في شارع الأمير محمد أكثر من مرة...
وكان الحديث عن التمييز ضد المرأة.. والعنف ضد المرأة، بكل أشكاله: الضرب والعنف القانوني والمالي والاجتماعي وكنت أتمنى وما زلت حتى الان أن يكون هناك مراكز تستقبل شكاوى النساء في هذا المجال، ومن أشكال العنف أيضًا تعدد الزوجات، الناس الان يبحثون عن المال، عندما تزوجت منيف لم يكن معه ولا فلس واحد.
اعود للاتحاد النسائي، صاحبة فكرة تأسيس الاتحاد كانت أميلي بشارات، وعملنا معا وبكل جدية من جديد من اجل هذا ، وكنا نعرف (ندلة بشارات) ابنة واصف باشا منذ فتره طويله وكانت معنا في مندرسة (الفرندز) وكان هاجسنا الظلم الذي يلحق المرأة وكنا باستمرار نتحدث بهذا الموضوع (انا واملي)، واملي لها الكثير من الاسهامات افتتحت

ميتما وانشأت مركز تأهيل مهني (نجارة وغيره) ، أملي كانت نشيطة ومثالية إلى حد ان ورشتها لم تتركها لأهلها بل تبرعت بها ... وكانت عائلتها غنية والدها كان باشا . وكنا احيانا نجتمع في بيت الأميرة «زين» وكانت تسكن في جبل عمان وكان لها بيت صغير ووضعهم المادي كان عاديا إلى حد انهم لم يستطيعوا شراء بسكليت للامير الحسين بن طلال .. وبعد ان تحدثت مع الاميرة ايدتنا بكل ما طرحناه عن اوضاع المرأة البائسة ، وحتى انها طلبت الانضمام لنا ... وقمنا بتأسيس هيئة من خمسة أو ست أخوات ، وكنا نذهب إلى جبل النظيف ولم يكن هناك في ذلك الزمن بيوت كانت (مغاور) بلا منافذ أو شبابيك ، وكنت استغرب كيف كان الساكنون في هذه المغاور يتنفسون وكنا نقدم لهم التبرعات .. كانوا فقراء جدا ، كان لنا فرع في اربد ، وكان لنا علاقات عربية زارتنا في إحدى المرات الرائدة النسائية المعروفة السيدة الفاضلة هدى شعراوي، زارتنا في بيت إملي بشارات اجتمعت كل الهيئة مع هدى شعراوي وكان لقاؤنا مفيدا .

وكان لنا في تلك الفترة علاقة مع الحركة النسائية في فلسطين ، وتلك الفترة عملت في الاتحاد النسائي الفلسطيني زليخة الشهابي، وعندليب العمد ، الحركة النسائية الفلسطينية بدأت عام (1930) وعملت فيها أيضًا ساذج نصار زوجة نجيب نصار . عرفت منيف في الجامعة في بيروت ، واثناء حرب فلسطين حيث حولوا المجلس الذي في طريق السلط إلى مستشفى لاستقبال الجرحى وكان عبارة عن بيت صغير وكان منيف صديق شقيقي وليد ومرضت ذات مرة فأحضره شقيقي ليعطيني إبرة وحاول ان يقترب مني في جامعة بيروت وبعث لي احدهم في احدى المرات بطاقتي سينما بظرف رسائل واعدت له الظرف بما يحتويه . والده منيف كانت خياطة وابوه توفي وكان منيف في السنه الأولى والده توفي بالسرطان ورفع قسط الجامعة حينها مما اضطره للعودة وعمل كأستاذ وكان من انجح الاساتذة في حينها .. وبعدها تعرفت عليه في الهلال، وكان معنا نادي الدجاني وكنا نعمل كممرضات و واحدة انتحرت لاسباب مجهولة وكان معنا سعاد ابو الهدى ونادية الدجاني ومنيف في حينها اعطى محاضرة واعتقل بعدها لانه ابدى ملاحظات غلى السياسة المالية .. وفي حينها كنت اشعر انه معجب بي وبعدها طلب مني ان نتعارف وطلب ان نخرج ما (مشوار) ، رفضت ولكنه اصر وطلب ان نلتقي لمدة 10 دقائق .. وتم هذا في شهر رمضان اثناء صعودنا طلعة (لوزميلا) لم نتحدث، غنينا معا ونحن نصعد أغنية قصيرة اسمها :

صاحبة فكرة تأسيس الاتحاد كانت أميلي بشارات وعملنا معا وبكل جدية

الليل يا نانا
والريح يا نانا
في القلب وقد جئت حيرانا
ورحت حيرانا ورحت حيرانا

إنه الآن في عالم الغيب هو الذي غناها صوته الجميل جدا وكان يهوى الموسيقى ويعزف على العود وقد درس الموسيقى في القاهرة ... احببته جدا .. عيونه كانت جميلة واخلاقه عالية وعقله كبير ولكنه كان فقيرا ولم يكن يمتلك شيئا حتى صديقاتي استغربن انني انوي الاقتران به .. تمت خطوبتنا وتزوجنا بعد عام .

جاهة الخطوبة كانت تضم محمد طوقان والشيخ إبراهيم ، محمد الفرحان ، ابراهيم طوقان وكانوا اصدقاء منيف . تزوجنا وانجبنا (مؤنس وعمر) ولم اكن ارغب في الانجاب سريعا، وقمت بالإجهاض لاول حمل وكان توأما غضبت والدته كثيرا . . . وبعدها ذهبنا في رحلة إلى موناكو لحضور مؤتمر وكانت رحلة جميلة واعتقد ان هذا كان في عام1950 أو 1951 واستقبل امير موناكو الحضور في قصره، وهناك التقيت بفاطمة العسكري وقد كنا ندرس معا، وكانت سفرة جميلة ورحلة مفيدة بدأ منيف العمل السياسي الفعال بعد سنة من زواجنا، ورغم وضعنا المادي الصعب تفرغ منيف للانتخابات، ودعم مرشحي الحزب، واغلق العيادة وحولها للاجتماعات السياسية .

منيف تولى مناصب هامة منها أمين عام حزب البعث في سوريا عام 1965 وأمين عام الحزب الحاكم في العراق عام 1977، وشارك في مختلف الهيئات القيادية ورغم كل هذه المناصب والمراكز كانت حياتنا دائما بسيطة ومتواضعة ولم نتغير بهذه المناصب أو بغيرها . حتى في زمن الانقلاب لم يطلب منيف من أحد حتى أن يقدم له الحراسة .. كان انسانا كبيرا . في كل الصدمات والازمات كانت عمان الملجأ، عمان الحنونة (بكاء) وأكثر من مرة أقسم أنني عند وصولي إلى عمان(سوف ابوس ترابها). بقينا في بغداد لعام 1984 كان منيف على قناعة لانه لن يخرج من بغداد حيا في بغداد بعد الازمة كان هناك خوف إلى حد لم يتصل بنا احد ولا حتى على التلفون ، ومنيف اتخذ موقفا ضد الحرب مع إيران وكان يقول إن الحرب يجب أن تكون في فلسطين ، بعد اعلان هذا الموقف جاؤوا إلى البيت واخذوا كل الوثائق وكل كتب منيف وبحثوا حتى في أدراج مكتب منيف ... وكان له مواقف اخرى حتى عند استيلاء صدام على السلطة حيث أن منيف رفض هذا (وقال) هذا حزب وليس تكية ، وانه يجب أن يتم تداول بالانتخاب لم تكن لدينا أية امتيازات كنا عصافير في قفص من ذهب، وراتب منيف كان مئتي دينار عراقي ، ولم يكن يكفينا كان لدينة خادمة فلبينية وكانت عمليا محسوبة معنا وعند مغادرتها إلى بلادهم تم تفتيش حتى ملابسها الداخلية . قمت بتهريب بعض اوراق منيف وهي بعنوان (رسالة إلى أولادي) وخبأتها بكلسة من كلساتي وبباكيت من الورق ، وكانوا ينادونني ام زينة أنا لم أعمل في الأحزاب لان

عصام طنطاوي - الأردن

قناعاتي ان الاحزاب تحد من حرية الإنسان وتحد من تفكيره وتجعله فقط يتلقى الأوامر وينفذها ... أما منظمات المجتمع المدني الجمعيات هناك حرة اكثر ومجال واسع للعمل. بعد استشهاد منيف كان الناس في عمان متعاطفين معنا وكاتوا يؤيدوننا، وكنا نمتلك سيارة حولناها لتكسي، انا لم ارغب ان يعمل منيف في الاحزاب وكنت قريبة من القوميين العرب اكثر من البعثيين. رغم كل ما جرى وهذه التجربة المرة وكل ما يجري الان من تفتيت ومؤامرات الا أن الامل باق، وان الحركة القومية التي استشهد من اجلها منيف ستحيا .. أما في قضايا المرأة فهناك مشكلة تعدد الزوجات والأمية وهي مشاكل قديمة وكنا نتحدث بها قبل أكثر من خمسين عاما، ولم نجد حلا لها حتى الآن ، وهذا حال كل القضايا

العربية: لا حلول، ولا تقدم والأمة تتفتت. أتحدث بهذا لان قضايا المرأة مرتبطة بالسياسة وبكل قضايا المجتمع أيضًا ، المرأة والرجل معا لا يجوز الفصل بينهما ، وهنا لا بد من التأكيد أن التعصب الديني يؤثر سلبا على كل شيء، على المرأة وعلى كل القضايا الاخرى ، اعتقد ان مؤنس في فترة ما اتجه للدين وكان يلتقي ليث شبيلات الا انه لم يستمر طويلا ، هذا التعصب يضر المرء وخاصة في القضايا الشكلية اللباس وغيره ، لماذا يضع المتعصبون للمرأة لجامًا كما الخيل كي لا ترى الشمال ولا اليمين . لازالت المرأة تعاني من ضغوطات الرجل ومشاركة و وجود المرأة في البرلمان مجرد صورة ، الشيء الجديد الآن هو أن المرأة اصبحت تشارك في الوزارة وأن تكون وزيرة .. مؤنس كان فخورا بابنته وهي حصلت على ماستر قانون دولي وتعمل في وزارة التخطيط ... لعمر ابني اسلوب كتابي جميل ، وكان يتبادل الرسائل مع مؤنس كانا يحبان بعضًا كثيرا ومؤنس هو الذي أصر ان يكون له شقيق وعمر درس في امريكا تخصص تخطيط مدني، وهو يعمل في الضمان الاجتماعي الآن وقد بدى التعب على ضيفتنا العزيزة ولاحظنا انها لا ترغب بالإفصاح والغوص أكثر فيما عانته مع زوجها منيف في أكثر من عاصمة ، قمنا بتوجيه بعض الأسئلة السريعة كخاتمة لهذه المقابلة ، وفيما يلي جزء منها : منيف في رسالته لاولاده يقول : «أمكم حين تتحدث عن الشاطئ في غزة يخيل إلى السامع أنها تتحدث عن الجنة ، وحين تتحدث عن فلان أو فلانة من اقاربها وقريباتها وكأنها تتحدث عن حلم جميل رائع «لمعة : نعم دائما كنت أحدث منيف عن شاطئ غزة ، وكنت أتمنى أن نرسو على شاطئ

كي نستريح قليلا.. قليلا، ولكنه كان بحارا صعبًا وشجاعًا ولا يتعب، وكان يرفض أن يستريح ، عندما تكونين وحيدة وفي المساء، ما هي اللحظات أو الشيء الجميل الذي تتذكرينه في هذا التاريخ الغني والصعب؟

لمعة: أتذكر منيف وكل حياتنا معا ظو اتذكر شاطئ غزة، واتذكر إلحاج مؤنس غلى ان يكون أخ، وهذا تحقق بعد 10 سنوات وبصعوبة شديدة وكان مؤنس يقول: (إذا جبتي بنت رجعيها) أتذكر طفولة مؤنس وعمر فقد كانا أكثر من أخوين، وكان عمر يقدم كل الخدمات الممكنة لمؤنس بما فيها تقديم الدواء.. أتذكر القلق الدائم وخاصة عندما يذهب منيف إلى بغداد ، دمشق كانت أهون كثيرا، افكر بمؤنس ولمذا رحل باكرا، أفكر بعمر وابنتي وزينة ، وافكر الاحلام التي ضاعت .

ماذا تقولين للبحر، لبحر غزة ؟

لمعة: نريد ان نسمع أصوات الأمواج التي تعطينا الحياة وتعيد لنا كل حقوقنا وأرضنا المغتصبة.

ماذا تقولين للمرأة ؟

لمعة: انهضي وواصلي العمل والنضال، أكملي المسيرة لا تتراجعي ولا تقبلي بحكم الرجال .

ماذا تقولين للجيل الجديد من الفتيات والشباب؟

لمعة: لا أريد أن أقول الكثير فقط انصحهم بالعمل الجاد و القراءة اجعلو القراءة صديقتكم، لا أحد يقرأ الآن، مرة أخرى اجعلوا الكتاب أعز أصدقائكم ، انا دائما كنت احاول ان يكون الكتاب صديقي.

وماذا تقولين للفقراء:

لمعة: اعملوا، وكان الله بعونكم ، وفي هذا الزمن «ماحدا بساعد حدا»، ومن الضروري العمل الجاد على حل مشكلة الفقر من قبل الجميع .

ماذا تقولين لاتحادنا، اتحاد المرأة الأردنية؟

لمعة: ادعوكن للاستمرار والنضال وخوض كل المعارك من أجل تطوركم ومن أجل حقوق المرأة.

ماذا تقولين للأمة التي آمنتم بها أنت ومنيف .؟

لمعة: الإيمان ما زال راسخا ولو عاش منيف لثبت على نفس المبادئ والايمان بالوحدة العربية، الله يكون بالعون، والمؤامرات تزداد شراسة.

نريد أن نعرف شيئا عن الأحفاد؟

لمعة: عمر عنده بنت وولد ، طارق وآية والفرق بينهما 3 سنوات مؤنس عنده ولد وبنتان، منير ونور وكندة التي أسماها بهذا الاسم لأنها حيوية وكثيرة الحركة نسبة لقبائل كندة العربية، وابنتي زينة عندها ابنة واحدة.

من يزورك الآن من الأصحاب

القدامى لكم ولمنيف ومؤنس؟

لمعة: يزورنا الكثير وخاصة أصحاب مؤنس هيثم وسعود وسميح يأتون باستمرار. شكرا لكم ولاتحاد المرأة لانكم تتذكرون (القديمات) شكرا لهذا الاهتمام.

حوارات

بدايات التشكيل

حوارات: طارق مكاوي

حوار

بدايات التشكيل

حوارات

طارق مكاوي

تأخذ الطفولة في حياة البشر قسطا كبيرا من تشكيل هويته النفسية، فهي البقعة الأكثر تشربا لما يحدث حولها، وبالتالي مستقبلا يتفرع الإنسان بما رسم له من خلال ثراء طفولته أم حرمانها، ولعل المبدع يرى أن طفولته كانت العامل الأكبر في توجيهه للكتابة، إذ يندر أن تخرج تجربة إبداعية دون أن يكون لها رواسب من الماضي أو إرهاصات تشير لها، فالأسئلة التي يسأل الكاتب بها نفسه؛ ما الذي دعاني أن أكون كاتبا؟ لماذا لم أتجه إلى كرة القدم مثلا؟ وهنا قد تكون الإجابة مختبئة أصلا في الحياة الخاصة للكاتب، وبالتالي في الطفولة والنمط العائلي الذي نشأ فيه، ألسنا نحن منتجات بيوتاتنا؟

شاعر وكاتب من الأردنّ

سامية العطعوط:
أهلي والظروف التي عايشتها في طفولتي، وجهّتني نحو الإبداع

من أنني توأم وولد شقيقي ميتًا)، فاستمرّت الاحتفالات سبعة أيام بلياليها، من رقص وغناء وجناكي وموالد، وتوزيع سبعة أنواع من الحلوى والعصير.... !

ومن هنا، كان اهتمام أويّ بي وبإخوتي من بعدي، كبيرًا، خاصة وأنهما كانا على جانب من العلم والثقافة. أرسلت منذ سنّ الثالثة أو أقل إلى مدرسة خاصة (راهبات ماريوسف) وبقيت فيها حتى الصف الأول الابتدائي،حيث كنا نتعلّم فيها اللغتين الإنجليزية والفرنسية، بالإضافة إلى المواد الأساسية الأخرى. وفي عام 1967، سجّلني أهلي لتعلّم البيانو فيها في العطلة الصيفية. أذكر أنني حضرتُ حصتين أو ثلاثًا، لينتهي كل ذلك دفعة واحدة في الخامس من حزيران، وأنا لم أبلغ العاشرة بعد، وكان هذا هو المفصل الأول في حياتي.

❖ تلعب الطفولة دورا مهما في تشكيل هوية الإنسان، كيف أسست الطفولة الهوية الإبداعية لديك ؟

بالتأكيد هي الطفولة التي تلعب دورًا رئيسيًا في ذلك... نعلّق ذكريات الطفولة، على مشاجب الذاكرة، لنكتشف أنها هي التي تعلّقنا على جدائلها..!

كانت طفولتي متناقضة نوعًا ما، جميلة وفي الوقت نفسه صعبة. يمكن القول إنني عشتُ في طفولتي مرحلتين. كانت الأولى حين وُلدتُ لأب يعتبر من أثرياء تجّار مدينة نابلس، ينتظر مولودًا منذ عشرين عامًا، دون فائدة. وحين تزوّج بعد وفاة زوجته الأولى، تحققتْ له الأمنية من خلال مولدي، فكان ذلك يومًا عظيمًا ومشهودًا بالنسبة للعائلة الصغيرة والكبيرة، وحتى بالنسبة لأهالي نابلس، (هذا على الرغم

ريم يسوف / سوريا ◄

كانت تجربة الاحتلال وما تلاها من سنوات، تجربة صعبة ما زالت لحظاتها تلك تحفر في ذاكرتي، كأول وأهم الأحداث المفصلية التي أثّرت عميقًا في نفسي وتنشئتي وحتى على مسار حياتي كلها، لأنغمس بعدها في القراءة والسياسة والمظاهرات..!

❖ لنتكلم عن التجربة الأولى للكتابة عن الإبداع ومهابط الإحباط في سيرة الكاتب؟

بعد الاحتلال، تغيّرت جميع الأوضاع من حولنا، العامة والخاصة. وعلى الصعيد الشخصي، تأثّرت أوضاعنا الاقتصادية كثيراً، حيث إن والدي الذي كان تاجر أقمشة بالجملة، وكان يُحضر بضاعته من الأقمشة والحطّات وغيرها من سورية ولبنان، رفض التعامل مع (اليهود)،

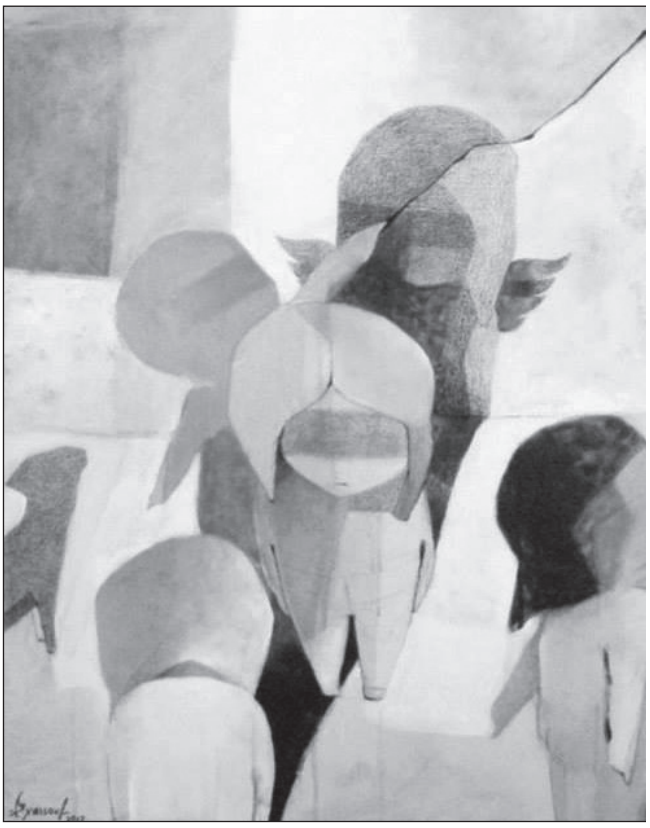

وبالتالي لم يعد لديه هناك ما يبيعه. على العكس من معظم التجار في نابلس والمناطق المجاورة الذين بدأوا يتعاملون في التجارة معهم، من منطلق أن لا مفرّ من هذا الوضع. أُصيب والدي بعدها بعدة جلطات وتوفي ونحن بعد أطفال. وكان هذا المفصل الثاني الذي أثّر في طفولتي تأثيراً كبيراً، وهو الّذي أطلق مكامن التعبير في نفسي، فبدأتُ أكتب الشعر، وكتبت عدة قصائد في أبي وفي الاحتلال.... إلخ، وكنت آنذاك في الثالثة عشرة من عمري تقريبا...!

❖ حينما نكون أطفالا، هل هناك شيء يوجهنا تجاه الإبداع؟ باعتقادك ما هو؟

بالتأكيد، هناك بعض الظروف التي يمكن أن تتهيأ من أجل أن تفجّر الموهبة الإبداعية وتصقلها.. وقد كان لوالدتي رحمها الله، الفضل الكبير في ذلك، بالإضافة إلى أبي الذي كان ذكياً متفتح الذهن ووطنياً. فقد كانت أمي امرأة متعلمة ومثقفة، تعزف على العود، وشاركت قبل زواجها في الاتحاد النسائي والأعمال التطوعية. وبالتالي، كانت تهتم جدًا بدراستنا وبتثقيفنا وتنمية حب القراءة لدينا...! فكانت منذ صغرنا، تقرأ لنا من القصص المصوّرة في كل يوم، ثم شجعتنا على القراءة ونحن في عمر سبع سنوات وثماني سنوات. وكانت تشتري لنا قصص سلسلة المكتبة الخضراء كالأنف العجيب وعقلة الإصبع وغيرها التي قرأناها كلها، وكذلك المجلات الأسبوعية (سوبرمان والوطواط) التي كنا ننتظر صدورها بفارغ الصبر. ثم اعتدنا أنا وأخي على شراء القصص والمجلات من مصروفنا ومن العيديات. وأذكر أول كتاب قرأته كقصة خارج المجلات المصورة وقصص الأطفال، كان (ناقة صالح) الذي اشتريته من

عيديتي.
وكان المفصل الآخر المهم في حياتي، عندما اشترت لي أمي رواية (بائعة الخبز) من إحدى البسطات، ونحن في زيارة إلى عمان، وقالت لي: هذه رواية جميلة. كنت ربما في الحادية عشرة من عمري..! بالطبع،لم أصدق نفسي، بأنني أحمل هذا الكتاب الجميل الضخم، وأقرأ كتابًا للكبار الكبار...! بعد قراءة تلك الرواية، تغيّر تمامًا مسار قراءاتي. لم تعد المجلات الأسبوعية المصوّرة، مثل سوبرمان والوطواط، تكفي لإشباع نهمي للقراءة، وبدأت أشتري الكتب المكلفة جداً بالنسبة إلينا، فأشار أحد الأقارب على والدتي بأن تسجّلنا في (مكتبة بلدية نابلس) كمشتركين. أجابته بأننا أطفال. فقال لها، بأن هذا لا يؤثر طالما ندفع رسوم الإشتراك لمرة واحدة فقط، فذهبت أنا وأخي إلى مكتبة البلدية واشتركنا فيها، وكنا أصغر المنتسبين إليها في تاريخ المكتبة، ووقعنا فيها على كنز ثمين...!
بعد ذلك، أصبحت القراءة والكتابة جزءًا لا يتجزأ من حياتي، وفي المرحلتين المتوسطة والثانوية، كانت مواضيع الإنشاء التي أكتبها، تُقرأ على الطالبات في الصفوف الأخرى..
كنا نذهب إلى المكتبة، مرتين في الأسبوع، نستعير في كل مرة كتابًا أو كتابين، نقرأهما بسرعة لنعيدهما ونأخذ غيرهما، وفي تلك المرحلة وصلت قراءاتي إلى معدل 3 أو 4 كتب أسبوعيًا..
وخلال تلك الفترة قرأت شعر محمود درويش وفدوى طوقان وسميح القاسم، عشقت الشعر وحفظت دواوين كاملة لهم عن ظهر قلب. قرأت كلاسيكيات الرواية العالمية، ثم بدأت أقرأ الفلسفة الوجودية فقرأت معظم كتب سارتر وسيمون دو بوفوار وألبير كامو، ثم قرأت في علم النفس وانتقلت إلى قراءة الفلسفة الماركسية والمادية التاريخية والجدلية وغير ذلك.
قرأت مئات الكتب في سنوات قليلة جداً، وحين أنهيت المرحلة الثانوية، كنت قد أشبعت من القراءة، فانقطعت عنها خلال فترة الدراسة الجامعية إلا قليلاً...
وحتى بعد أن أنهيت دراستي الجامعية بتخصص رياضيات معاصرة، عدتُ إلى القراءة وإلى كتابة الشعر والخاطرة والرواية، دون أن أنشر شيئًا.. وعادت أمي لتشجعني حينها على الكتابة والنشر. فتركت الشعر والرواية وكتبت القصة القصيرة وبدأت متأخرة، بنشر ما أكتب في الصحف والمجلات المحلية، وكان هذا مفصلاً آخر مهمّاً في مسيرتي الإبداعية...!
وبالنسبة لي، أعتقد أن أهلي والظروف التي عايشتها في طفولتي، وجهّتني نحو الإبداع، والأهم من ذلك كله، كانت والدتي (رحمها الله) هي الموجّه والداعم لذلك. هي التي وفّرت المناخ، وهي التي آمنت بي وبإمكانياتي، وكانت تتألم حين تجدني ألعب مثلاً على ما يشبه (لعبة الولد) هذه الأيام، وتقول: حرام عليك، الله أعطاك موهبة، ما تتركيها، ما تضيعي وقتك... الخ..!.

❖ دائما يتكلم المبدعون عن القلق، على الأغلب ينطلقون بهذه الدافعية، ما الذي خبأته الطفولة فينا؟

نعم، هو القلق بكافة أشكاله، خاصة لمن تعرضت بلاده للاغتصاب، ولمن عاش طفولة قاسية في ظروف الاحتلال والعمل الوطني... هو القلق النفسي والوجودي والآيديولوجي والهوّياتي... وكأنني كنت غافية قبل الخامس من حزيران عام 1967. وصحوت. كبرتُ على غفلة. رأيت دموع أمي

وأبي في ليلة الاحتلال تنهمر من عيونهما بصمت، وشفا ابتسامة على وجه أمي حين أنظر إليها، كي أطمئن...! ضاعت طفولتي مني، وواجهتْ واقعًا لمحتلّ، وواقعًا يموت فيه أحد الوالدين. ساعدتني القراءة على تخطّي مرحلة مهمة في حياتي، كانت الروايات تأخذني لعالمها الساحر، فأنسى نفسي في القراءة لساعات، وأغيب عن الوجود. ثم أصبحت الكتابة منذ ذلك الحين، تشكّل المعادل الموضوعي لحياتي، والمنقذ لي من قسوتها..! أصبحت هي أداة التوازن الداخلي مقابل هذا القلق الوجودي في مواجهة الموت، والقلق النفسي والآيديولوجي في مواجهة الواقع المتأزم الذي عشته في طفولتي...! أفجّرُ فيها عشقي، غضبي، أمنياتي، أحلامي وهزائمي..!

الطفولة هي المفتاح، وهي القفل...!

ودائمًا نعود إليها.. نعيش فيها صغارًا دون أن ندرك، وحين نكبر، نعود إليها لنختبئ فيها كبارًا.. وكأنها الحضن الذي يمنحنا الطمأنينة، وكأنها الحلم الذي لا يتحقق..!

جميلة عمايرة:
«مدينة بكل شيء لطفولتي وبكل ما أتشكل منه اليوم.»

❖ تلعب الطفولة دورا مهما في تشكيل هوية الإنسان، كيف أسست الطفولة الهوية الإبداعية لدى المبدع؟

بالنسبة لي أعتقد أن الطفولة هي سر كل ما أكتبه، ومكمن الأحلام والرؤى والتطلعات، والخيبة والبؤس والحزن، كل ما أكتبة هو من خزانها المليء بالصور والأحلام والتوقعات والأخيلة والوجوه .

أبي واحد من بين كل تلك الوجوه البعيدة التي تحضر دائما رغم أنه أوغل في الغياب، لم يغب قط، حضوره القوي ما يزال .. يربت على كتفي، يمنحني قبلة أحسّها ساخنة فوق وجنتي، ويضحك على أبطالي الذين تقتلهم البطلة.

من حسن حظي أنني نشأت لأسرة ممتدة تحب البنات كالأبناء تمامًا، إذ كان يقيم الراحل العظيم «أبي» وليمة كبيرة حينما ترزق العائلة بطفلة .

كل هذه الصور وغيرها الكثير الكثير مما

أعجز عن استحضاره ما تزال ماثلة أمامي ومنها أستمد كل ما أكتبه ..فهي وقودي الذي لا ينفد.

❖ لنتكلم عن التجربة الأولى للكتابة عن الإبداع ومهابط الإحباط في سيرة الكاتب؟

لا أعرف على وجه التحديد أو التعيين السر الكامن وراء التوجه نحو الكتابة .. كل ما أعرفه أنني كنت أتميز بين أقران الطفولة بالاختلاف، وكنت أراني في مكان آخر بعيد وقصي .

وكانت التخيلات تسيطر على تفكيري وذهني . أراني ملكة في قومي قبل أن يتم الإطاحة بي من قبل غرباء ملثمين بالأسود ولا دماء تسري في عروقهم. وأحيانا أراني فتاة تخلى عنها الجميع فعادت ليلاً للغابة لتصادق حيواناتها.

ربما تكون حساسية المبدع عالية تجاه كل شيء ولهذا ثمة قلق نحو كل شيء

ربما من هنا بدأت أنسج أحلامي وتخيلاتي بكلمات، لا أعرف. كل ما أعرفه أن الكتابة باتت ملجأي ودوائي وما أكتمل به وأتوازن، مدينة بكل شيء لطفولتي وبكل ما أتشكل منه اليوم.

❖ دائما يتكلم المبدعون عن القلق، على الأغلب ينطلقون بهذه الدافعية، ما الذي خبأته الطفولة فينا؟

منذ أن امتلكت الوعي الأول بالحياة والكائنات والناس والقلق لم يرافقني ، أحيانا يكون قلقا إيجابيا له صفة الدافعية والإستمرارية في البحث والمعرفة والسؤال الذي يقود لبوابات معرفية جديدة ، وأحيانا يكون قلقا له صفة السلبية والانكفاء والإحباط أمام اسئلة الحياة الكبرى كالموت .. الموت الذي يمهي حياتنا بصورة لا صحو بعدها .. ودائما يحضرني قول الشاعر العظيم المتنبي: على قلق كأن الريح تحتي .. ربما تكون حساسية المبدع عالية تجاه كل شيء ولهذا ثمة قلق نحو كل شيء .. والقلق لم يفارقني ...

حنان بيروتي:
الصدمات في الطفولة تدفع للبحث عن أسلحة للدفاع والرد

❖ تلعب الطفولة دورًا مهما في تشكيل هوية الإنسان، كيف أسست الطفولة الهوية الإبداعية لدى المبدع؟

الطفولة هي المخزون وهي المنبع الذي تتشرب منه الأيام لونها وتتشكل عجينة الحياة بأصابع هذه المرحلة. الطفولة السعيدة المثالية الخالية من المنغصات لا توجد إلا في الأفلام الفاشلة والروايات

الخيالية، ولكل منا أوجاعه الغائرة وأفراحه الخفية المتبقية مثل وشم في الروح، والغريب فعلا أن أوجاعنا الكبيرة في الطفولة تتحول لمنابع فرح خفي عندما تبعدنا الأيام عنها وتجرنا السنون معها في درب العمر الطويل القصير.

ربما ما كان يؤلمني في الطفولة قصر برامج الأطفال في التلفاز والفراغ الطويل في العطل المدرسية ولم أدر أنه سيكون منبعاً لفرحي القادم حين أشرعت نافذة للقراءة واكتشفت شرفة للإطلال على الحياة واكتشاف قدرتي على البوح، فتعلقي بالكتاب لسد الفراغ منحني إرثا من الفرح والذكريات والأحلام. اليوم أشفق علينا وعلى أبنائنا حين أرى الوقت المسروق أمام شاشة الحاسوب والألعاب التي تملأ الفراغ بفراغ أكبر، والخواء الفكري والروحي والعاطفي الذي يفرغ الإنسان من قدرته على الحياة والتعاطي مع الوجود بإيجابية والإحساس بقيمته وببصمته الخاصة وبتشربه للأيام بطعم مختلف وجديد، وأستشعر غربة الإنسان عن ذاته وعمن حوله، القراءة هي ما جعل لطفولتي دورًا في تأسيس الهوية الإبداعية.

وثمة أمر آخر، فكوني الفرد الأصغر في عائلة كبيرة نسبيًا منحني فرصة للحرية بعيداً عن رقابة المحبة الصارمة وعين القلب والاهتمام الكبير الذي يعيش بين قضبانه الجميلة من ينتسب لعائلة قليلة الأفراد، أتذكر لعبي ومشاويري الطفولية وأفكاري وخربشات أحلامي الكثيرة، هذه الفوضى الجميلة والازدحام والتزاحم العائلي أثث داخلي بالدفء وبالقدرة على التأقلم وتقدير القليل واحترام التفاصيل الصغيرة في الحياة التي تجلب معها الفرح الحقيقي.

❖ لنتكلم عن التجربة الأولى للكاتبة عن الإبداع ومهابط الإحباط في سيرة الكاتب؟

التجربة الأولى للكاتبة هي بداية مترددة مشوبة بخوف وخطى غير ثابتة تحتاج لمن يأخذ بيدها أو يوجهها قد تكون ثناء من معلم وأحيانا تشككاً منه بما كتبت، كأن يسألك: من أين نقلت الكلام؟ ولو تجاوزنا خربشات الطفولة وبواكير البوح الأولى، لوصلنا للتجربة الأولى الجادة في الكتابة والتي كانت في الجامعة الأردنية حين اتسعت الحياة، وامتدت الأحلام، وتبلورت الرؤى، وأينعت أدوات الكتابة في ظل رعاية أساتذة متذوقين وداعمين ممن تلمسوا موهبة تحتاج لتوجيه ورعاية، لكن مرحلة الدراسة الجامعية تنتهي مثل طيف جميل ويصطدم حلم الكتابة بالواقع الفقير والمعطيات الصعبة خاصة أمام الأنثى، فليس منتظرًا من المرأة أي شكل للتميز وليس لها أن تتجاوز سياج العادية حتى بحلم، وما تجده في داخلها من موهبة وعطش للبوح عليها أن تقمعه وتطوعه وتغتاله لأجل ألا تخرج عن الإطار المرسوم لها، إطار ضيق يختزل كيانها بصفتها أنثى تنتظر عريسا لتبدأ رحلة الزواج والإنجاب وهذا يكفيها، كأن الحياة تحاول وضعنا أمام خيارات صعبة واختيارات أصعب، لكن من يتمكن من التملص من قسوة الخيار ينتزع الفرح من فم الحياة، إذ أجمل ما يمكن أن يحقق السعادة للمرأة أن تكوّن أسرة وتعيش أمومتها وتسعى للموازنة بين حلمها الذاتي ومتطلبات أسرتها ولا بد من فيض

التجربة الأولى للكاتبة بداية مترددة مشوبة بخوف وخطى غير ثابتة تحتاج لمن يأخذ بيدها

من التضحيات شرط ألا تنسف حلمها ... ولذا سارعت بإصدار مجموعتي القصصية الأولى والتي ضمت ما كتبته من قصص في الجامعة، والغريب أني اخترتها على عجالة من مجموعة كبيرة من القصص ولا أدري للآن كيف أتحتُ لنصوص قصصية فرصة أن ترى الضوء وتُنشر وحكمت على مجموعة أخرى بالوأد، ولما أزل أحتفظ بها مثل جنود حرب شاخوا بانتظار معركة لم تأت، لكني أحسست بالمحاة الخفية الموجهَة ضد أي شكل للتميز للمرأة، وما أراه من بوادرٍ لنسف مشروعي الإبداعي من أساسه، كثيراً ما كان تلميحي لرغبتي بالنشر والكتابة يقابَل بالتهميش وبالتجاهل وبالتثبيط وبايصال رسالة ضمنية أن الأفق مسدود، والطريق الذي يبدو طويلا في الحلم انتهى قبل أن يبدأ، ثمة إذن المعيقات الاجتماعية الضاغطة بشكل كبير.

المعيقات والمثبطات تواجه الكاتب بصرف النظر عن جنسه، لكنها تختلف في الشكل وإن تشابهت في الضغط، من يستسلم تنتهي مسيرته الإبداعية وتضمر في روحه شعلة الإبداع، وتتشوه داخله ينابيع البوح إلى أشكال أخرى من الألم والعطش الخفي والدموع غامضة السبب، كثير من المواهب الموؤودة التي أرى بقاياها المحزنة في وجوه فقدت البوصلة في أول الطريق...

ومن يواصل الطريق يصطدم كذلك بصعوبة المشهد الثقافي الذي يحاول أن يكون جزءاً صغيراً منه، فمنابر النشر محدودة محليا، والحركة النقدية انتقائية بصورة لا ترتبط دائمًا بجودة العمل الأدبي، وهي غير قادرة عن مواكبة الأعمال الإبداعية وغربلتها وتقييمها بحيادية ومهنية، أو بأحكام ومناهج نقدية واضحة وعميقة وسابرة ومقنعة للقارئ وللكاتب نفسه إن كانت مقنعة أصلا للناقد.

واصدار كتاب جديد يحتاج لطلب دعم ليغطي تكلفة النشر إن حصل فعليه، وإن اختار أن ينشر على حسابه الخاص عليه أن يتكبد التكلفة منتظرا المردود المعنوي فقط أما المادي فأمر صعب إن لم يكن معدوما، لأنه لا يجد من يسوقه لا محليا ولا عربيا وعليه هو أن يسعى للنشر والانتشار بنفسه إذا لم يكن من فئة المحظوظين ممن يمتلكون شبكة من العلاقات الاجتماعية التي تظللهم وتدفعهم للأمام وتسلط الأضواء عليهم وتضيء إبداعهم وتعطيه أحيانا أكبر من حجمه، وبالمقابل تهمش آخرين وتترك إبداعهم يتيما بلا راع، ويذبل مثل نبتة عطشى منتظرا حظه وًحقه من الرعاية

محمد نصرالله / الأردن

والسقاية....
إننا لا نحلم ولا نطمح بمشهد ثقافي مثالي وصحي، فهذا لا يكون إلا في الخيال، لكن الحلم مشروع بتحسين الوضع والحالة في المشهد الثقافي لجعله أكثر عدالة وشفافية، وتقليل المثبطات التي تقف في وجه المبدعين والأخذ بيدهم لإيصال إبداعهم ووصوله لمنزلة يستحقها.

مهابط الإحباط في سيرة الكاتب أمر طبيعي ربما هي أكثر من محطات التحفيز ومن يمتلك جذوة الإبداع يمتلك قدرة على توظيف محطات الإحباط لحفز طاقاته على العطاء واعتبار الإبداع حصنه وملاذه وسفينة خلاص لروحه.

❖ حينما نكون أطفالا، هل هناك شيء يوجهنا تجاه الإبداع، باعتقادك ما هو؟

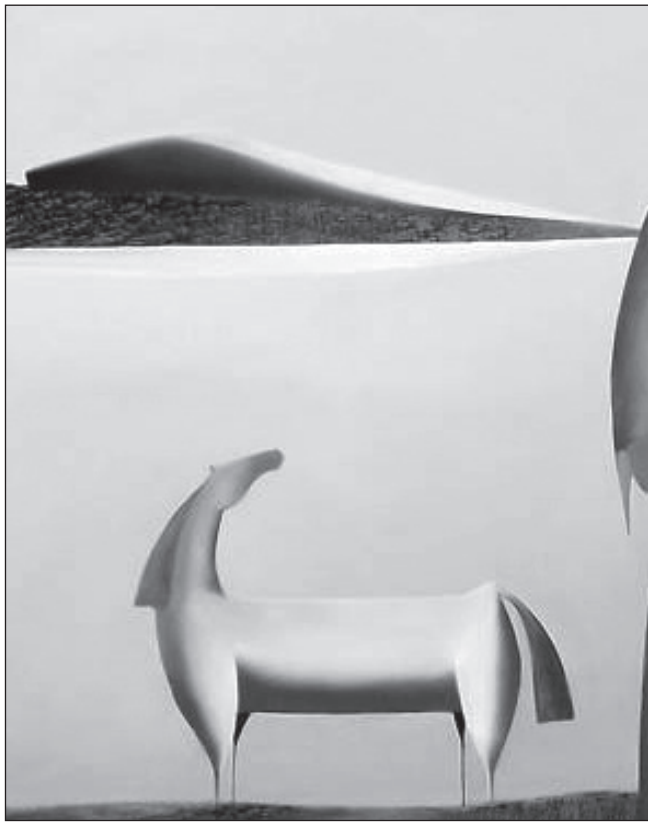

نعم ثمة العطش للبوح، الخيال، الحساسية، والقدرة على الالتقاط الاختلاف عن بقية الأطفال، التأمل، الوجع، والحلم والجذوة الخفية في العروق ..الاصطدام المبكر مع قسوة الواقع، العالم الذي لا يعجبنا .كلها محركات في الوعي واللاوعي توجه من تجري في عروقه لعنة البوح للإبداع.
ثمة الرفض لما نواجهه أطفالا من قسوة وحرمان وأميل هنا للتعميم وليس للتخصيص، فالصدمات في الطفولة تدفع للبحث عن أسلحة للدفاع والرد، من منا لم تتكسر روحه على يد معلم غاضب؟ أو تتجرح روحه بعصا وتتلوث أفكاره بتلقين أعمى في المدارس، وكبت وكسر وقمع؟... من منا لم يحزنه التعامل معه طفلاً كأنه كائن فضائي لا يفهم لغته ولا يحس، وليس له أن يبدي رأيه أو يرفع صوته محتجا على أمر لم يعجبه، ويتم الحديث عنه في حضوره كأنه نكرة أو قطعة أثاث؟...هو أسلوب للتربية أقل ما يمكن أن يقال عنه بأنه ينشئ جيلاً مهزوماً من الداخل، فكيف له أن يرفع راية النصر في حياته؟....ربما الكتابة محاولة لتجميل الواقع القبيح، ومحاولة لتكسير صخرة الواقع الصعب والقاسي وإعادة بناء عالم أكثر انسانية ولو بالحلم، الأحلام هي ما يجعل الحياة أقل من الجحيم بدرجة معقولة!

❖ دائما يتكلم المبدعون عن القلق، على الأغلب ينطلقون بهذه الدافعية، ما الذي خبأته الطفولة فينا؟

الطفولة استكشاف العالم، مواجهة أولى بين وجود مدجج بكل أسلحة الواقع المفروض وبين النفس الطفلة المجبولة على الخير والساعية للفرح، القلق هو شعلة الإبداع

وهو المحرك له وليس ثمة مبدع متصالح مع ذاته ومع الكون بشكل كامل، أسئلة الوجود وحراب الرفض كلها تصطرع داخل المبدع وتخز روحه للبوح، الطفولة تخبئ فينا النقاء الأول والحلم قبل أن تلون الحياة ملامحنا بالألم وتقتل دواخلنا بالموت الذي يسرق منا الأحبة، ونعي بأنا على قائمة انتظار نسكنها لحظة ولادتنا، وتخبئ فينا الحسرة على ما فاتنا أن نعيشه من لحظات وتنمي داخلنا الحنين لأيام النقاء بعد أن تجبرنا الحياة على اقترافها باحتراف !

القلق هو الوجه الآخر للوعي الفكري والوجودي، الإنسان الذي اتسعت دائرة ثقافته وتعمقت، يشتبك مع الواقع، وتستوقفه الحياة ولا يعبرها كأي عابر سبيل، تصطرع داخله الأسئلة التي لا يجد الإجابة الشافية لها، وكلما انتهى من سؤال أسلمه لآخر،سلسلة الأسئلة في الحياة لا تنتهي، وكذلك الإبداع مدى مفتوح لاحتمالات لا تنتهي من البوح والجمال والتعبير وهي تشبه انفتاح الحياة على مدى لا ينتهي لاحتمالات الألم.

المبدع الحقيقي لا يكون دون القلق الايجابي الذي يحفزه للكتابة، أحيانا أحسد من أراهم يعيشون الحياة باطمئنان وسلاسة، لا يبحثون عما وراء الفرح والألم، لا يقرأون لا يكابدون وجع البحث، لا يتأملون إلا احتياجات أجسامهم من الماء والهواء والغذاء والملابس الجميلة والترفيه والاسترخاء، المبدع يكابد وجع القلق، التوقف عن القلق لا يكون إلا مرحليا محطة استراحة قصيرة تمهيدا لمرحلة جديدة متجددة من الأسئلة القلقة التي لا تنتهي عند المبدع إلا برحيله ..

لنا عبدالرحمن:

«الكتابة أمر يحمل كلا الوجهين: المتعة والألم.»

❖ تلعب الطفولة دورا مهما في تشكيل هوية الإنسان، كيف أسست الطفولة الهوية الإبداعية لدى المبدع؟

بالنسبة لي كانت طفولتي في سنوات الاجتياح الإسرائيلي في بيروت، أي إنها لم تكن طفولة عادية،لقد رأيت بعيون طفلة في عامها السابع مشاهد موت،ودمار، ودماء، مشاهد مازالت مخزونة في الذاكرة. وهذا ما ظهر في نصوصي الإبداعية، خاصة الأولى منها. في قصة «عنب أحر للمساء» التي نشرتها ضمن مجموعة «الموتى لا يكذبون» تحضر مشاهد الحرب، من رؤية طفلة تسمع أصوات القذائف،وهي تسير مع أمها في الشارع،وتخاف أن تموتا معاً. كذلك في قصة «الموتى لا يكذبون» التي حملت عنوان المجموعة، وفي قصة «اعتراف» ضمن المجموعة نفسها، لقد

شكلت سنوات الطفولة خلال الحرب ستارا خلفيا لمعظم النصوص التي كتبتها حتى الآن، ربما لأن الحروب المتتالية بالنسبة للشعب اللبناني صارت جزءا من ذاكرته سواء بالنسبة للطفولة، أو في سنوات أخرى. لكن في النتيجة تظل الحكايا والصور التي عشناها خلال طفولتنا خيطاً وثيقا يربط ما بين الذاكرة والإبداع،خيطًا تتمازج فيه الذكريات وتخيلاتنا عنها.

❖ لنتكلم عن التجربة الأولى للكتابة عن الإبداع ومهابط الإحباط في سيرة الكاتب؟

لن أتكلم كثيرا عن الكتابة الأولى للإبداع، لا أستطيع القبض على لحظة فاصلة لهذا الحدث، ليس بمقدوري القول أن مجموعتي القصصية الأولى « أوهام شرقية» هي تجربتي الأولى في الكتابة، كان هناك نصوص قبلها لم أنشرها، لذا دعني أتكلم أكثر عن الجانب الفني في الإبداع، أي الاحساس الذي يترافق مع الوعي بالنص، لقد حدث هذا معي في المجموعة القصصية الثانية « الموتى لا يكذبون»، كان هناك شيء من المتعة في الكتابة، إلى جانب التخيل، وهذا ما لم يكن حاضرا بقوة في مجموعتي الأولى.

أما عن الإحباط في سيرة الكاتب، فتلك لحظات كثيرة، بل كثيرة جدا، العجز عن إيجاد طريق واضح بين اللغة وبين ما يريد الكاتب التعبير عنه،أمر شاق للغاية، والوصول لقليل من الرضى عن النص المكتوب، لا يحدث إلا بعد جهد، يوازي متعة الكتابة تماما. فالكتابة أمر يحمل كلا الوجهين : المتعة والألم.

❖ حينما نكون أطفالا، هل هناك شيء يوجهنا تجاه الإبداع، باعتقادك ما هو؟

أظن أنه من الضروري في البداية وجود نواة الإبداع عند الطفل، ثم فيما بعد إذا توفرت له الظروف المناسبة كي تشق هذه النواة طريقها في تربة خصبة، حينها سيكون محظوظا. بالنسبة للكتابة تحديدا، من الممكن للكاتب أن يكون مقاتلا منفردا في ميدانه، أي أن يكتشف نواة إبداعه، ويعتني بها عن طريق اهتمامه الذاتي بالقراءة والمعرفة، بغض النظر عن الأسرة، بالنسبة لي كنت محظوظة لأنني نشأت ضمن أسرة تهتم بالقراءة، ووجهتني نحوها منذ الطفولة.

❖ دائما يتكلم المبدعون عن القلق، على الأغلب ينطلقون بهذه الدافعية، ما الذي خبأته الطفولة فينا؟

الكلام عن الإبداع والقلق، لا أرى أنه يتعلق بمرحلة الطفولة وحسب، في تقديري أنه يتزايد مع الوقت. وكما قلت من قبل إذا كانت الطفولة مثلا قد تركت عندي ذكريات الحرب، فإن هذه الذكرى مع الوقت لم تظل محصورة ضمن فكرة «الحرب» التي انتهت، بل تجاوزتها لفكرة الموت عموما، لفكرة الفقد والرحيل، لفكرة التخلي، والانتزاع القسري من المكان، من البيت، من كل ما يوحي بالأمان.

ثريا ملحس

عصام عبدالهادي

لمعة بسيسو

أعلام

ندى صبحي أبو غنيمة :
ابنة الأردن وشهيدة فلسطين
هدى أبو غنيمة

سيدة كانت وستبقى مصدر إلهام لنا جميعاً
عصام عبد الهادي
هلا أبو طالب

ندى صبحي أبو غنيمة: ابنة الأردن وشهيدة فلسطين

هدى أبو غنيمة ◄

ليست قضية فلسطين محددة ببعدها الجغرافي، وكارثة احتلالها ألقت بظلالها الكئيبة على العالم العربي ومستقبله. وليست الشهادة من أجل هذه القضية مرهونة بمن ولد في فلسطين أو بمن تحدر من أبوين فلسطينيين، بل هي جذوة الوجدان العربي وقبلة انتمائه القومي وحقوقه المسلوبة ما بقيت فلسطين محتلة.

لم تكن ندى ابنة السنوات الثلاث قد تعلمت تهجئة الحرف بعد، حينما سمعت كلمة فلسطين تتردد على لسان أمها السورية الأصل، وهي تستمع إلى صوت والدها الدكتور صبحي أبو غنيمة من إذاعة برلين العربية، ذات عيد، أثناء الحرب العالمية الثانية.

كان عمر ندى سنة حينما رحل أبوها إلى ألمانيًا مع مجموعة من الزعماء العرب لطلب الدعم من الحكومة الألمانية في مواجهة الخطر الصهيوني، وهجرة اليهود إلى فلسطين. شعور مبهم اشتعل في روحها، وهي تصغي مع أمها إلى رسالة أبيها الشعرية من ذلك الأفق البعيد، وكانت أخباره منقطعة بسبب الحرب وتعرض برلين للقصف:

باحثة وكاتبة من الأردنّ

مرابع الأنس، قيل: العيد حلَّ وما
في غير ربعك أعياد تمناها
ويح الغريب له في الدارساهرة
كأنما من حناياه حناياها
وطفلة كالندى نادت فأرَّقه
أن لايجيب فأبكاه وأبكاها
لو يعلم العيد مافي العيد من شجن
لنازح لأطال الدهر أو تاها

لم تع الصغيرة معنى ماسمعت من شعر أبيها عبر الأثير، لكنها تعلمت من أحاديث أمها وأهلها المفعمة بالحماس المشوب بالمخاوف - كيف تُردد كلمة فلسطين.

كان ذلك أول الوهج، الذي ميز شخصيتها، وطبع روحها المتوثّبة وذكاءها المتوقد بطابعه، ووجّه مسيرة حياتها التي انتهت مبكرا باستشهادها مرتين: مرة حينما استشهد زوجها خالد اليشرطي عام 1969، وهو عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، ومرة أخرى حينما اغتيلت على باب بيتها بعد عودتها من مقابلة رئيس الجمهورية اللبنانية آنذاك، سليمان فرنجية، أواخر شهر نيسان من العام 1973إ، ابان الحرب الأهلية في لبنان، تلبية لنداء ضميرها الوطني، وهي تحاول وقف الاقتتال وحقن الدماء من أجل توحيد الطاقات لمواجهة العدو الصهيوني.

لعل حدس ندى قد أنبأها بأن دورها قد حان، وهي تشيع مع رفاقها القادة الشهداء كمال عدوان وأبو يوسف النجار والشاعر كمال ناصر، فقد ذكرت أكثر من صديقة مقربة منها، أنها كانت توصي بولديها منى وهادي قائلة: لاتنسوا أن تشيعوني تشييعا مهيبا إذا ماحدث لي أمر كهذا ... يوم رحلت ندى، كان الأفق داميا وبيروت مشتعلة بنار القذائف فشيعت مع ندى ومئات الشهداء أحلام التحرر والوحدة الوطنية.

بعد رحيلها بقيت شهورا أراها في الحلم ، تنظر إلي من وراء زجاج المكتبة الشفاف في بيتنا في دمشق ولا تكلمني وفي عينيها حزن وعتاب، فأصحو على صوتي وأنا أردد: قولي ياندى، من غدر بك؟

زهير أبو شايب / الأردن

سيدة كانت وستبقى مصدر إلهام لنا جميعاً
عصام عبد الهادي

هلا أبو طالب ◄

للنساء تأثير بالغ على الحياة في مجتمعاتهن في اوقات السلم وفي أوقات الحرب، ولكن هذا التأثير كان وما زال معرضاً للتهميش حتى من قبل النساء انفسهن. لقد كنت اخطط للكتابة عن اكثر من امراة ، ولكن حين بدأت بالكتابة عن السيدة عصام عبد الهادي قررت ان اركز عليها كمثال للمرأة الناشطة والقيادية والقدوة لناجميعًا.
ولدت السيدة فاطمة / عصام عبد الهادي سنة 1928 في نابلس، فلسطين حيث تلقت تعليمها ثم اكملت دراستها الثانوية في مدرسة الفرندز في رام الله حيث تميزت بقدرتها على الخطابة باللغة العربية الفصيحة وتمكنت من إتقان اللغة الإنجليزية وكان ذلك بالغ المنفعة والأهمية في حياتها السياسية النشطة لاحقاً .
ساهمت عصام في سن مبكرة في الاحتجاجات والاضرابات التي نظمتها الأحزاب السياسية ضد الانتداب البريطاني في فلسطين، وحين حلت نكبة 1948 شاركت في حملات الإغاثة لتقديم العون كالغذاء والدواء للاجئين الذين اجبروا على ترك بيوتهم بالقوة.
انخرطت السيدة عصام في العمل الخيري الاجتماعي التطوعي بانضمامها للاتحاد النسائي في نابلس سنة 1949، وسرعان ما انتخبت سكرتيرة عامة للاتحاد. ثم تحولت إلى العمل

كاتبة من الأردنّ

السياسي حين انتخبت رئيسة للاتحاد العام للمراة الفلسطينية سنة 1965 ثم نالت عضوية المجلس الوطني الفلسطيني ثم المجلس المركزي لمنظمة التحرير الفلسطينية.

لقد لعبت السيدة عصام دوراً قيادياً في المقاومة الفاعلة بعد عام 1967. لقد قامت بتنظيم الكثير من أشكال المقاومة للاحتلال الإسرائيلي من توقيع عرائض احتجاجية ومسيرات واعتصامات وسرعان ما اتهمتها سلطات الاحتلال بمساعدة وإيواء شباب وشابات المقاومة الفلسطينية المسلحة ومن ثم تم سجنها ثم إبعادها مع ابنتها فيحاء إلى الأردن.

سلمان الملك/ قطر

لقد عرفت تاريخ جدتي أم فيصل بشكل شخصي ولكن حين قمت بالبحث والتدقيق وجـــــدت ان البعض يصفها بالناشطة النسوية أيضاً وأود أن أتتبع هذه الصفة منذ بداية وعيها.. لقد تحدت جدتي الاعراف منذ نعومة أظفارها. لم يقبل والدها باسم فاطمة الذي أطلقته عليها القابلة القانونية التي أشرفت على ولادتها معتقدة ان اسم الطفلة لم يكن مهماً لأنها أنثى. : كانت تسمية الطفلة مهمة جداً لوالدها المحامي المثقف فأصر على تسميتها عصام. وهكذا أصبح اسمها مركباً فاطمة، عصام. ومن المفارقة أن هذا كان ذا نفع كبير لعصام فقد كانت تجتاز الحواجز الاسرائيلية مستعملة اسم فاطمة بينما كان جنود الإحتلال يدققون على الاسماء على الحواجز الاسرائيلية ليمنعوا عصام من المرور.

أصرت عصام على إكمال تعليمها الثانوي بينما كانت الفتيات من جيلها يمكثن في البيت ويقبلن بالزواج المبكر بعد اتمام المرحلة الاعدادية لعدم توفر الصفوف الثانوية في مدارس الإناث في نابلس في الأربعينات. استجاب والدها لطلبها وأرسلها إلى رام الله لاستكمال تعليمها في مدرسة الفرندز .

قبل تخرج جدتي من المدرسة، تقدم جدي قاسم عبد الهادي لخطبتها وتوقع أن تقبل ترك الدراسة كغيرها من الفتيات خصوصاً أنه كان موظفاً في البنك العربي ويملك أراض في فلسطين (كان هذا قبل نكبة 1948). أبت عصام ترك الدراسة وجعلت تخرجها شرطاً لقبول الخطبة مما أثار غضب جدي وإعجابه الشديد في نفس الوقت.

بالرغم من انشغال جدتي الدائم كزوجة وأم لأربعة أطفال، فقد استمرت بنشاطها التطوعي الاجتماعي والسياسي بالإضافة لحضورها الفاعل للمؤتمرات العالمية وكان ذلك بدعم ومساندة من جدي.

في عام 1975، توجهت السيدة عصام إلى المكسيك لترأس الوفد الفلسطيني إلى مؤتمر المرأة العالمي بتنظيم من هيئة الامم المتحدة . دعا المؤتمر إلى مزيد من التركيز على حقوق المرأة ودورها في التنمية والسلام العالمي.كان لخطاب السيدة عصام وجهود أعضاء الوفد الفضل في الحصول على إدانة من المؤتمر لإسرائيل كدولة عنصرية وللصهيونية كحركة عنصرية.لقد حقق الوفد هذا الانتصار بالنقاش العقلاني

الهادئ مع كل الوفود وبالحكمة بالتواصل مع الجميع عن طريق سرد الحقائق المدعمة بالأرقام مع ثقة بلا حدود بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني.

في عام 1981 انتخبت السيدة عصام رئيسة للاتحاد النسائي العربي العام، وفي عام 1992 انتخبت عضواً في الاتحاد النسائي الديمقراطي العالمي. شاركت بفعالية في مؤتمرات الأمم المتحدة المتعلقة بالقضايا النسوية من سنة 1990-1983، وتبنت الدفاع عن حقوق المرأة خصوصاً في العالم العربي وطالبت بالمساواة الكاملة بين الجنسين ومما قالت «إن النساء لا يطلبن التفوق على الرجال ولكنهن يطالبن بحقوق وفرص مساوية لما يحصل عليه الرجال. ان المرأة تناضل للحصول على حقها في التعليم،المساواة في الأجور والحقوق ضمن الأسرة والمجتمع.»

في عام 1993 مثلت السيدة عصام آسيا في المؤتمر العالمي لحقوق الإنسان في فينا وبينما كانت تلقي خطابها شارحةً الانتهاكات الإسرائيلية لحقوق الانسان في الأ راضي الفلسطينية المحتلة اقترب أحد الحضور من المنصة وأخذ يصرخ «توقفي، توقفي» وحاول خطف الورقة المكتوبة من يدها. لكن الحضور أخذوا بالهتاف «واصلي، واصلي» فما كان من السيدة عصام إلا أن طوت الخطاب المكتوب ووضعته في جيبها ناظرة إلى الرجل بهدوء ثم توجهت إلى الحضور لتكمل خطابها قائلة «إنني أود مخاطبتكم وجهاً لوجه وقلباً لقلب».

في عام 2000 حصلت السيدة عصام على جائزة ابن رشد للفكر الحر وكان ذلك تقديراً لها على نضالها المتواصل من أجل حقوق المرأة. تأسست جائزة ابن رشد للفكر الحر كمؤسسة مستقلة ،مقرها ألمانيا، في ذكرى 800 سنة على وفاة ابن رشد. أكدت السيدة عصام في خطابها أثناء استلامها الجائزة على العلاقة الوثيقة بين التحرر الوطني وحرية الفرد في المجتمع وخصوصًا المرأة . قالت» من المستحيل الفصل بين حقوق المرأة خاصة والإنسان عامة وبين المسألة الفلسطينية». ووصفت في كلمتها كيف تطور عمل الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية من تنظيم النساء والمساهمة في النضال ضد الاحتلال إلى المطالبة بحقوق النساء المدنية والوطنية والمطالبة بتثبيت هذه الحقوق في الدستور الفلسطيني في المستقبل.

بابلو بيكاسو / اسبانيا

يؤكد الكثير من الناس أن المرأة التي تمتلك الطموح وتعمل لتحقيق هذا الطموح في المجال الإجتماعي أو المهني أو العام لا بد أن تفشل في حياتها الأسرية.. إن مسيرة السيدة عصام مثال حي على خطأ هذه المقولة لأنها نجحت تماماً في أداء واجباتها تجاه زوجها وأولادها.لقد استطاعت بحق تحقيق التوازن في حياتها.إن أولادها وبناتها يتمتعون بقدرٍ كبير من الاستقلالية والمسئولية والوعي وهم ناجحون جداً في حياتهم العملية.ولا شك أن للدعم والتشجيع الذي لقيته هذه السيدة الكبيرة من زوجها كبير الأثر في نجاح مسيرتها.

إيميلي نفاع

أدب

كتابُ الأغاني

إيمان عبد الهادي

قصائد

مريم شريف

تعالَ لآخذَ حقي منك

غادة خليل

بداية

ماجدة العتوم

حجر نرد

منال حمدي

كتابُ الأغاني

إيمان عبد الهادي ◄

إنّهم يرحلونَ طوالَ السّنةْ
يرحلونَ، ولا يتركونَ سوى امرأةٍ مؤمنةْ!
جدّتي سقطت مثل نجمٍ بعيدٍ
ولم أجِدِ الضّوءَ كي أدفنَهْ
«أترى حينَ أفقأُ عينيكَ، ثمّ أثبّت جوهرتينِ مكانَهُما»
قدَ رأى...
فتحسّسَ ضوءاً هنالكَ، ضوئينِ، أكثَرَ،
لكنّهُ لم يجِدْ أعيُنَهْ!

يُرسلُ الكونُ أصداءَها، بينما يتمرأى على صوتُها المُنفَرِدْ
فقدُ ذاكَ: الذي لم يَجِدْ!!

أكاديمية وشاعرة من الأردن

لم تكن تلكَ أمّي!
لا أراها سوى: وردةٍ لا تلِدْ!

وردة خائنةْ
خبّأتْ كلَّ هذا العراءِ؛ لكي تسكُنَهْ
خبَّأت كلَّ سرٍّ، وكلَّ نداءٍ، وكلَّ هَدفْ
ثمَّ مالتْ على الموتِ حتّى اعترَفْ
قالَ: لستُ أرى الفرقَ بينَ الغوامِضِ
والأمكِنةْ

جدّتي الثّانيةْ
جدّتي الحجريّةُ مثلَ الجبالِ،
وكالمارشميلّو كذلك: جدّتيَ الواهنةْ

سقطت مثل نجمٍ بعيدٍ، هنالِكَ: حينَ
أرادت غسيلَ الصّحونْ
وفي لحظةٍ كالجنونْ
تداعتْ، وقوّضت الجسر بينَ ضجيجِ
الأواني وبينَ السّكونْ
على الجهةِ المُذعنةْ
ملكانِ يمدّانِ حبلَهُما:
– آنَ أن تتركي البيتَ، والعملَ المنزليّْ
– ليسَ بعدُ، تبقّى الكثيرُ من الشّغلِ بينَ
يديّْ!
– أرجئيهِ إلى الغدْ!
– هل تتركاني هنالِكَ في مطبخِ الكونِ
راسخةً كالوتَدْ؟
وتنهَّدَت السّيّدةْ
وتذوّقتِ الفِطرَ والجزَرَ الغارقَينِ بقعرِ
الحَسَاءْ
كانَ صوتُ الشّتاءْ
أخرساً، وملامِحُهُ مُبعَدةْ
– جيّدةْ!
قالت الجدّةُ المستعارَةُ في جسمِها
والبعيدةُ عن لحمِها
والقريبةُ من أمِّها!

وتراءى لها (الأمسُ): أعمى
مُدمَّى
فماذا ترى (الآنَ) في غيهبِ الرؤيةَ
الممكِنةْ؟

وكانت تمدُّ يداً لغسيلِ الأواني... تمدُّ
يدَينِ...تمدّهما ثانيةْ
حينما سقطتْ في الفراغِ، وحطّمتِ
الآنيةْ

لم تعد يدها تغسلُ الملكوتْ
فقالت: أموتْ!

وأترُكُ حتّى القيامةْ
بقايا طعامهمُ المُحزنةْ
لن أعودَ لرفِّ الرّسائلِ، فضِّ المظاريفِ،
أشواقها الكامنةْ
أينَ، أينَ؟
إلى أينَ يا روحَها؟ يا حمامةْ!

إنّهم يرحلونَ طوالَ السّنةْ

يرحلونَ، ولا يتركونَ سوى امرأةٍ مؤمنةْ!
جدّتي سقطت مثل نجمٍ بعيدٍ
بعيدٍ إلى حدٍّ:
لم يرتطم بالسّماواتِ بعدُ، وما زالَ
يسقطُ في الأزمنةْ
جدّيَ المدنيُّ تلاها، ولكنّ أمي تقولُ:
تلاها كما يتبعُ الخرزُ المنفلتْ
بعضَهُ
كانَ جوعُ التَّلألُؤِ قد عَضَّهُ
فانبرى...

كانَ نهرُ الهباءاتِ يبلعُ ريقَ الزّمنْ
كانَ يَشرَقُ بالموتِ، والموتُ وقتٌ كذلك،
لكنه كالوَثَنْ
ثَمَّ شيءٌ توقّفَ في الكلماتِ، وما عادَ
يجري كأي دمٍ في العروقْ
ثَمَّ دَينٌ على الرّاتقينَ السّماواتِ بالغيمِ،
واتّسعتْ – في الشّتاءِ– الخُروقْ

ماتَ جدّي
كذلكَ خطوتُهُ لم تعُد في الطّريقْ
صارَ: لا شيءَ
صارَ كتاباً من المحوِ
فيضاً من الصحو:
غيبوبةً
صارَ جسرا من الحسراتِ/ الرّمادِ/
الدّخانِ/ الحريقْ
صارَ مثلَ الحديقةِ لحظةَ موتِ البذورْ
نساءً تجعّدنَ قبلَ الجمالِ العتيقْ
تأكسدنَ مثل الأغاني مع الشّهقاتِ،
تقوّضنَ مثلَ الخُدورْ
يقولُ الخريفُ: ستنهضُ فيكَ الحياةُ،
ولكنّها نائمةْ
ولا فارسٌ قد يقبّلُها:
الحصانُ وحيدٌ، وفارسُهُ باتَ يلقي على
(الجدِّ) باللائمةْ

أينَ أذهبُ من كلِّ هذي المعاني؟
وأصواتُهم كيفَ أدفنُها؟
أخبروني إذا كانَ بالوسعِ دفنُ الأغاني
إذا كانَ بالوسعِ يا أصفهَاني..

عبدالكريم السيد / الإمارات

أدب/شعر

جدار يسند الضوء

مريم شريف ◄

1

أغمضْ عينيك
سأمّحي في تلك الظلمة
انظرْ حولكَ الآن ؛
الحزنُ الهادئُ مكانَ نظرتكَ الصاخبةِ
هو أثري
أنت لا ترغبُ في محوهِ
وأنا أيضًا

2

ساكنٌ هذا الليل

شاعرة من الأردن

كالألم بعد حبّة دواء
بيوتٌ نائمةٌ في تكوينها النهائيّ
الجدارُ يسند الضوء
كي لا يتناثر
والضوءُ يحملُ الجدارَ
كي لا يسقط في الظلام
وتحت الأضواء البعيدة
قشرة الظلام رقيقةٌ
لا يزيد مرور الوقت من سماكتها
والهواء الأزليُّ ما زال يمشي
منذ أوّل الدنيا
حتى هذا السكون
كأن لا شيء يقبضُ انعتاقَ الشوارع
ولا شيء يوقفُ مشي العابرينَ
سوى الوصول
كأنّ لا أحدَ هناك
ولا حتى انحدار صوت حزين
يسيلُ على قشرة الظلام؛ فتنشقُّ قليلا
كأنّ لا شيء أكثرُ طمأنينةً
من هذا الليل !

3

أفكر حين أسير بأثقالي
وحين أصعد الأدراج
نحو مكانٍ لا أحبّه
أنّ الثبات ليس في قدميّ
مكانَ الحقيقة
مكانَ اليقين
ذلك الذي مثل يد تناولني معجزة
ثم تغيب اليدُ
كأنها كانت تلك الغيمة
أو ذلك الجبل
او كأنها لم تكن ،
ربما كنت أداوي خللاً في روحي
تلك اللهفة التي لا يمكن خلخلتها
الانشداد نحو البعيد
الانشداد الذي لا يمكن أن يسمّى أسراً
ما يجعلني بقلب مضطربٍ أفتح الباب
دون أن يطرقهُ أحد
ما يجعلني أتبعُ خفّة في الهواء
وأبتعدُ مسافات
دون أن أعرفَ أًين أتدارك خطاي
ثم أعود
وفي أبعد اعماقي
تغوصُ ضجّة النقصان
العواصفُ المليئةُ بذلك الانشدادِ
المُضني
المبهم
كما لَو أنه بابٌ يتربّع في هدوءٍ ما
وخشخشة مفاتيحه
هي الصوت الوحيدَ بين الأرض
والسماء
وأنا السامعة الوحيدة
لا أجد المفاتيح
ولا أعرف على أي شيءٍ ينغلق الباب
ثمّ
اليد الغيمة
ثمّ التوق ، والنقصان

ثمّ
لا شيء
ذابت الجملة التي كانت
ستكمل السياق ..

4
كنتُ سأكتبُ عن وجهك
لكن ما يمنحُهُ لي وجهُك
ليس في استطاعتي أن أمنَحهُ للقصيدة
كنت سأكتبُ عن يديك
لَمَسَ الليلُ نجومَهُ ألفَ مرّة
وأنا لم أعرف بعد
ماذا تتسمّى الأشياءُ
حين تلمسُها بيديك
كنتُ سأَكتبُ عنك أنت
لكنّني لا أقوى
على رؤية نهايات اللغة
والمفرداتُ التي عادت معي
إلى الأرض
قليلة .

تعالَ لآخذَ حقي منك

غادة خليل

تعالَ لآخذَ حقي منك
وتأخذَ حقَك
ضوءُ نهار
وطعمُ بداية
وأنينُ نبعة
وعشرون طائرا
هذا لك،
ولي عندك
حديقةُ حروف
ومساراتٌ برية

أكاديمية وشاعرة من الأردن

وملمسُ أصابعك
ومهرجانُ ضحك!

خفية عنك
تجولت في دروبك
ولسعتني النحلات
الغريب
أنني أنزّ
عسلا
مذّاك!

اجتماعٌ
لاندفاعِ بركان
وزخاتِ مطر،
طيبةِ درويش
ومكرِ ساحر،
وضوحِ زهرة
وغموضِ غابة،
رقةِ نسمة
وقسوةِ عاصفة،
هذا هو أنت!

سيصيرُ هذا الشوق
قلعةً
وهذا الحنانُ
جديلةً
نصعدُ بها
ونظلُّ في الأعالي!

أصحو ويدُك في يدي
وردةً
برائحة مدوخة
تعبقُ حولي
تصيرُ دمعةً
وغيمةَ شوق
يسرق مني كلَّ شيء!

حزينةٌ أنا
لقد عرفتُ اليوم
كم أحبك!

هذا النوع من الحب
الذي يسيّرُ بوصلةَ فرحِك
أو حزنِك
ويقودُكِ كطفلٍ صغيرٍ
أضاعَ أمَّه

سيكونُ عليّ أن
أظلَّ قيدَ
الاشتياق
بلا نهاية
ها أنت تتسللُ الآن
تسخرُ من دمعتي
وتأخذني إلى
التلال
لنرقبَ شروقَ الشمس

ها أنت تضحكُني

كما تفعلُ دوما
وأنساقُ معك
في لعبةِ اللغة
لكني حزينة
فهذا الحبُّ يسرقُ
مني كلَّ شيء
حتى الكلمات

هوائي ناقصٌ دونك
ويومي شاحبٌ
وقلبي تعوي فيه
الريح

سأفكرُ كيف أنّ خطوتَك
البعيدةَ
تربكني أو تعيدُ اتزاني
وعينيك تملكان أن
تنشلاني من البئر
أو تغرقاني فيه
وكلمةً منك تجعلني
أزهرُ أو أذبُل!

مُكلّفٌ هذا الحب
وقد فات أوانُ الهرب
فأنت صرت لوعةً كاملة
تخصّني وتسري
في دمي

لم أُرِدْ أن أحبَّك هكذا
فلِم كنتَ جارحا
وحارا وواسعا وعاليا
لأتألمَ وأحترقَ وأعدوَ وأعلوَ
وأزيحَ عن طربقي
كلَّ ما يؤخرني عن
الفَناء فيك؟

زرقاءُ زرقاء

زرقاءُ زرقاء
يا روحي الوحيدة

رافع الناصري / العراق

تشبهين غابة جليدية
قُبَيل انبلاج الضوء!
تغفين في البياض
وتطيرين سريعا غمامةً
هاجسها السفر

في حديقتك..
بنفسجيةٌ زهرةُ الشوق
تهمس شعرا يتلفح الرموز
حمراءُ زهرةُ الشهوة صارخة
لا تأبه بالاستعارات !

تتلوّين غيمةً
عميقةَ الاخضرار

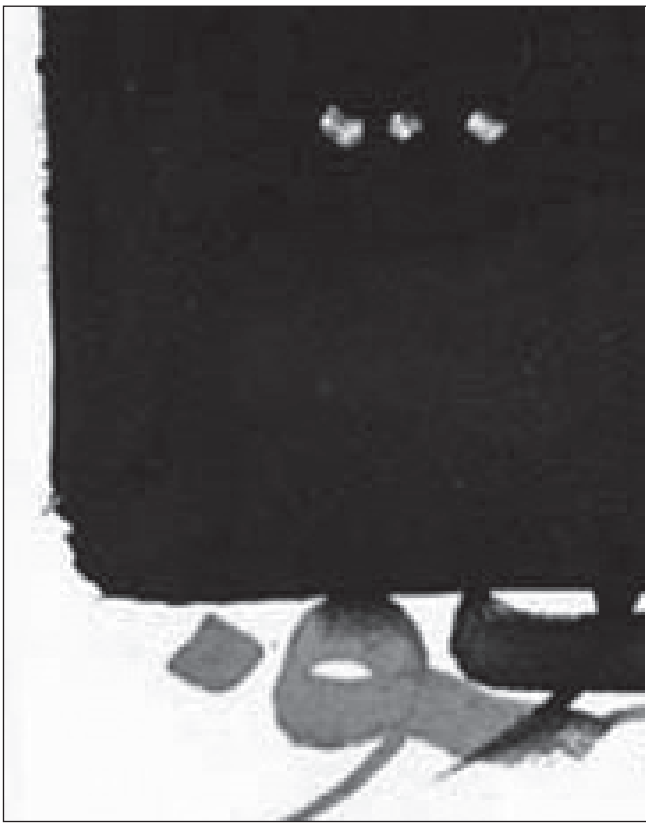

حين تنصتين لصوته
في المدى الشاحب الراجف
تمتدين له قوس قزح!
حين ترينه
تشِفّين تغدين ماء زُلالا وتلمعين
بالضحك!

في موج اللقاء
تعكسين سيمفونية ألوان هي بنت
اللحظة
لم تتمكني للآن من وصفها!

تشتاقينه
فيلبس طاقيةَ الإخفاء!
تصيرين ليلا دامسا
وتضيّعينه
أكثر!

في الصباح تدوّنين
سيرتك وسيرةَ أرواح أخرى
ولا تدركين مغزى ذلك
اعرف أنك تفكرين : لستُ سوى
خيط ضوء وحيد في هذا المحيط
فلِمَ يمضُّني شوقٌ لما هو أكثر؟!

سلوى زيادين

بداية

ماجدة العتوم

لم يحدث أننا التقينا هكذا صدفة على قارعة طريق. لكنني اعتقدت وربما صدقت اعتقادي أنني التقيته على باب مؤسسة حكومية، أو مستشفى كبير أو أنني لمحت صورته على زجاج النافذة المقابلة لي وأنا في ذلك المقهى. لم يحدث أنني وجدت نفسي جراء المفاجأة أقول له: ما الذي جاء بك إلي؟ فيرد قائلا: كم مرة ضعت مني وكم مرة لم أجدك!

هو في حياتي خارج الصدفة وخارج الترتيب. أرتب نفسي في بعض الصباحات إيمانا بما سمعته مرة أنه من الضروري أن تخرج كلما خرجت بكامل استعدادك لمقابلة حبيب قد يلتقيك صدفة. وفي مرات أخرى أقول لنفسي أن ما نهيىء أنفسنا له لا يحدث. فلا أرتب نفسي. وفي كلتا الحالتين: لا ألتقيه. هل هذه نكتة أم سبب قوي للحزن؟ لا أدرك الفرق. وأجزم أنه شخصية روائية أعجبتني ذات كتابة. وربما لشدة إعجابي بها حلمت به أكثر من مرة. مرتين. ثلاثا. لست أذكر. فسكنتني تلك

قاصة من الأردن

الشخصية وصرت أهجس بها وأصنع لها أحداثا بعضها سعيد وآخر حزين. ومنذ ذلك الوقت لم أجد لها نهاية مناسبة لأن تغييرا صغيرا لو أحدثته في مجرى الرواية الأولى كان سيجعلها تضيع مني، فتركتها تتفجر ينابيع من الأسئلة عما حدث وعما ستؤول إليه الحكاية الجديدة.

حكاية جديدة

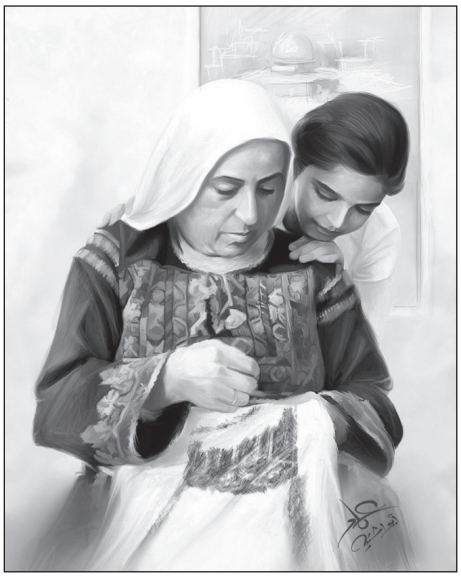

عماد أبو اشتية/ فلسطين

اليوم على غير ايام كثيرة قررت أن أفرح وأن أتمدد في الفرح. كتبت: (صباح الورد) لكل الأصدقاء والمقربين. استمعت إلى فيروز وهي تغني أكثر من مرة: كيفك انت؟ نفخت من جوفي بخارا على المرآة وكتبت: ونحن نحب الحياة إذا ما استطعنا إليها سبيلا. رتبت كل شيء كما ينبغي له أن يكون وأنا أتمايل على موسيقى أغنية فيروز تلك والصوت يرتفع وينخفض وفقا لقربي أو بعدي عن مكان المسجل. اتصلت ببائع الورد وطلبت وردا جاءني غير متباطىء فوضعته في زهريات على أكثر من طاولة. كان مخي خاليا من التفكير بأي شيء سوى رغبتي الوحيدة الأكيدة بالفرح. أعددت قهوتي بتمهل وتأنق وشربتها وكأن أحدا معي. لم أفكر بأن أحدا معي. لم أعتد هذا الرواق وهذا الهدوء من نفسي. لكنني أجزم أنني أحببتني اليوم وتمنيت لو أنني هكذا دائما. قررت أن أخرج، لم تصبني حيرة معظم الأيام: ماذا ألبس؟ فأخرج كل ثيابي من الخزانة فأبدو لشدة فوضويتي وتوتري وكأن لا ثياب لدي. هذه المرة اخترت دون تفكير طويل قميصا ورديا وتنورة رمادية. لم أفكر بالجينز الذي كلما جئت لألبس درت. درت ثم عدت إليه. وضعت ماكياجا خفيفا. حملت حقيبتي وخرجت وأنا أدندن: كيفك انت؟ كان صباحا رائقا، ماطرا، ومنسابا. ركبت سيارتي ومضيت. مرة أخرى عدت إلى فيروز عبر إحدى القنوات الإذاعية.. هذه المرة كانت تغني: لا انت حبيبي ولا ربينا سوى. بصراحة ورغم حبي للأغنية لكنني كنت لا أجدها مناسبة لحالتي هذا الصباح..لكنني تركتها تغني وتركت المطر يتساقط على زجاج السيارة ولم أمسحه. وتركت الطريق تأخذني إلى حيث لا أدرك تماما. توقفت لدى مطعم على الطريق لأتناول أي

شيء أسكت به وجع معدتي الصباحي المعتاد. دخلت، فكان بانتظاري. أو أن ثمة حكاية أخرى بانتظاري.

حكاية أخرى

لم يكن أحد بانتظاري كما إنني لم أكن على موعد مع أحد. لكنها الغواية. أعني غواية الكتابة ونارها التي إذا اشتعلت لا تنطفىء. كانت فيروز تغني هذه المرة: لما ع الباب يا حبيبي. أقول في نفسي أن فيروز تسيء فهمي أكثر فأكثر. لكن لا بأس هي أغنية جميلة وأنا أحبها. أطلب إفطارا بسيطا مكونا من صحن حمص وكم حبة فلافل وتغريني الكبة فأطلبها..يسألني النادل: ماذا تشربين؟ أنسى ما يمكنني شربه فأتكأ على طلب القهوة لكن بعد الطعام.. وأبدأ بمراقبة كل ما هو حولي وعلى وجهي ما يشبه الابتسامة..ابتسامة قررتها منذ الصباح..جربت أكثر من واحدة أمام المرآة وفي النهاية اخترت واحدة لا أدري إن كانت واضحة جدا للعيان أم لا..لا أدري إن كانت حقيقية أم مزيفة..لا أدري إن كانت معقولة أم بلهاء. ليس مهما..المهم أن تلك الابتسامة تلك جلبته إلي..كان رجل ما يمشي بخطى واثقة نحوي حتى اقترب تماما وبادرني بالسؤال: سيدتي، هل أعرفك؟ كنت في لحظة غرور لا معنى لها سأقول: ومن لا يعرفني؟ أنا ابنة الشمس وجارة القمر. أخت الحلم ورفيقة المطر..لكنني انتبهت فقلت: لا أدري..كأنني أيضًا أعرفك..يا لغبائي! كيف اخترعت تلك الإجابة التي جعلته يجلس بكل ثقة..ثقة العارف الأكيد أننا نعرف واحدنا الآخر ولا بد من استعادة تلك المعرفة.

معرفة

كان يجلس يتحدث عن نفسه ويشرب قهوته ويدخن بينما أتناول إفطاري وأصغي إليه.. رجل الحكايات الكثيرة..سافر كثيرا وعاد بكوم هائل من القصص..وأنا أكثر من يعشق القصص.. ولما انتهيت من الطعام، جاءت قهوتي..قلت: كأنك زرت بلادا كثيرة ولم أزر أيا منها.. كأنني لا أعرفك..ربما كان ذلك شبه بينك وبين آخر أعرفه ولا أذكره..قال لي: في هذه الحالة..أعتذر عن تطفلي عليك وإزعاجك..وهم بالوقوف..رجل مهذب ولا ينبغي أن أحرجه..هكذا فكرت..ثم بادرت: بإمكانك البقاء..

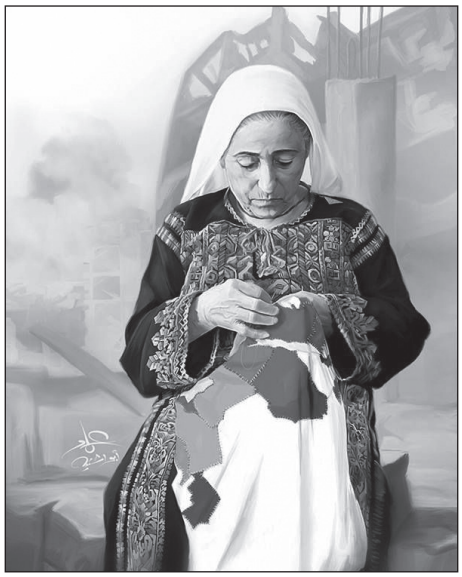

عماد أبو اشتية/ فلسطين

يمكننا التحدث..ولم يتردد في الجلوس مرة أخرى والتحدث عن نفسه ليقدمها إلي أو تذكيري به لاعتقاده أننا نعرف بعضا من ذي قبل.

تحدثت عن نفسي أيضا. عن عملي. وعن تفاصيل أعرف أنها ستجعله يبدو مهتما، ولكنه كان يستمع وكأنه حقا يعرفني ويعرف تلك التفاصيل..في هذه الحالة ليس أمامي سوى التفكير بأحد الخيارين التاليين:فإما أن أكون قد فقدت جزءا من ذاكرتي التي لا أعول عليها جيدا وإما أنه يكذب، وأنا أرجح الخيار الآخر لثقتي بأنني ورغم ضعف ذاكرتي فإنني لن أنسى إلى هذا الحد..بوسعي أن أحدثه عن طفولتي، عن صداقاتي، عن أيام الجامعة، عن أحداث كبرى هزت أركان حياتي..عن الحب الأول المسكين، عن أمي وأبي وإخوتي، لن أنسى إلا ما أريد نسيانه.. لكنني لن أقول لرجل مهذب يبتغي الكذب وسيلة للولوج إلى حياتي أنه يكذب..سأتظاهر بأنني أنسى وأنني لا بد أن أتذكر..

أتذكر

فيما هو جالس يتحدث عن أنواع الطعام التي بوسعه إعدادها نظرا لكونه يعيش وحيدا ونظرا لأنه يستمتع بصنع الطعام ويعتبره أمرا ذا أهمية..أتذكر أن رجلا مر في حياتي يشبهه جدا. ذلك الرجل الذي يعشق الموسيقى ويحترف إعداد الوجبات المختلفة. رجل بعينين تلتقطان كل ما هو جميل ومختلف. شاعر. رسام..موسيقي..راقص محترف..فنان..عاشق مجنون.. رجل بدائي المشاعر والرغبات..رجل متحضر مثقف..كائن خفيف الظل على هذا الكون سريع الحضور وسريع الغياب. رجل ذكي لمّاح فطن ساخر، فكاهي، وقور، هيّب، صاحب خيال واسع..صادق..كل هذا وأكثر..أسأله: هل تحب الموسيقى؟ يرد سريعا: طبعا.. وكيف أتمايل أثناء إعدادي الطعام دون موسيقى..كيف أرقص؟ يسألني: هل تجيدين الرقص؟ أضحك وأقول: أحبه وأفعله لكنني لا أتقنه. يبادرني: وماذا تكتبين هذه الأيام؟ أقول وأنا أكاد أجزم أن ذلك مجرد توقع منه: بوسعك أن تقول أنني أكتب ولا أكتب. أسأله بنوع من الحدة: متى وأين عرفتك؟ ينهض من مكانه ويقول : صار الأمر مزعجا صدقيني. لم يعد بوسعي احتمال كل تقلباتك التي تصبغينها علي..أريد أن أعرف من أنا وماذا تريدين مني أو أنه صار لزاما عليك أن تتركيني وشأني لأجد أجوبة لتلك الأسئلة وحدي.

وحدي كنت وكانت فيروز التي تمعن في مماحكتي شيئا فشيئا تغني آنذاك: طلعلي البكا واحنا قاعدين..

حجر نرد

منال حمدي

لم أعد أقرأ طالعكَ الورد، ولم تَعُد تشغلني شاماتك انتشرت على أيِّ خَد؟
لا أفكر في بعثرتها.. ثم البحث عن ترتيب يليق بقبلة موغلة في عطرك لأبعد حَد.
لا أفكر بوضع سياج حول شاماتكَ فلا يسقطُ عليها ريقُ امرأةٍ خرجتْ من ماضيكَ لتعيدكَ إلى ذاك المجد.
لا أفكر
لن أفكر
لن أتعبَ عينيّ وهي تحترق بجمال ليس لي، ولن أُتعبَ أصابعي بالعَدّ.
سأبعثرها بعشوائية وسأتركُ ذاك الخالُ وحيدًا، فهذا الخال يا خِلّي فقد ذاكرته وتركني ناسيًا الوعد.
سأجعل منه حجر نرد. ما رأيك؟ لو أعدنا ترتيبَ الأحجارِ كُلّها، كأنَّ براعمَ أصابعنا لم تلتق.

قاصة من الأردن

كأننا في أول الربيع برعمًا يجدِّدُ العهد؟!
كأنكَ اليوم فقط التقطتني صورتكَ فوقعتَ من فرط الحب؟! فأفكرُ أن لا أحبكَ كما يومها فكرتْ.. ثم مِن فرطِ حبكَ لي وقعتُ في الحب!
سأعيدُ حينها ترتيب حكايتنا ألف ليلة وليلة مختبئة تحت عروة قميصك ، حين ينغمسُ زرٌّ ما ، بالعشق تنفلتُ كل الأزرار وتتبعثرُ على التراب ، كأنها أزرارٌ ورد، يا كلَّ الورد.
لكن
لا . . لا تسمع صوت الحنين داخلي، هذا المتلقّي الذي لا يفهم معنى أن أكون بلا غد. لا تلتفت إلى ما يبوحُ به ولا أبوحُ به لأحد !
أتَذكُرُ على ذاك الشاطئ حين سألتني عن قبلة مجانية من صديقة أرخت شفتيها لتطبعَها على هذا الخدِّ وذاك الخدِّ؟
وأنا أرخيتُ شفتيّ أبتلع ريقي وأتمنى لو كنتُ أنا من صافحتْ وجنتيكَ وأنتَ المشتاقُ لذائقة شفاهها حين تترك أثرا لذكريات الحبق على هذا الخد وذاك!
لا قبلة عابرة حين يتلون البحر بموج سقطت فيه قبلتي فتحوّلتُ إلى غبار.
البحر لا يثقُ بنا. يكوّمنا بقايا مراكبٍ حطمها كموج ؛ كأصعب رد!
على ذاك الشاطئ أبتلعتُ الندم.
أخرجتُ من فمي بقايا الزبد، كأنني الحوتُ ويونس يلتقط أنفاسه. يودُّ لو أنه يعود.
قبيل غربتي تقلّبتْ المناخاتُ واشتدّتْ؛ ونحن جالسان على أطراف ذاك الشاطئ البعيد . تسالني إن غرتُ أم أنني أثق بك وبلا شك؟ كنتَ تودُّ رؤية وجهي وهو يناديك ، لكنني كنتُ داخلي منشغلةً بغيابك الذي أراه قد حلَّ غيمة فوق مقهى الكلام ، وزّعنا فيه الأدوار أنت قهوتي، وأنا نبض الكلام على مقعد!
كنتُ أنتظرُ وداعكَ فأمسكتُ بيدكَ قبل أن تهربَ مني أصابعك !
كنتُ أخشى قتلكَ السريع ، فحَدّقتُ في الساعة أنظرُ إلى العقارب كي أهربَ من الوقت.
خنتَ قلبكَ ولم تخني بعد. اغتالتكَ وحدتكَ وكنتُ أنا ما تبقّى من المَدّ..
بعتَ روحكَ للغريبِ فاكتملَ داخلكَ الهجرُ والصدّ..
خرجتَ فرحًا من البلاد؛ لكنكَ عدتَ حزينًا بلا قلب، تجلسُ على مقعدٍ شاغرٍ لا ترى وجهكَ فيه، لا ترى سوى منفاكَ من بلدٍ إلى بلد!
كم أنتَ شقي بمنفاااااك...

المكتبة

إعداد: يوسف عبدالعزيز

الكتاب: أنثى اللغة / أوراق في الخطاب والجنس
زليخة أبو ريشة

الكتاب: الأسس الفلسفيّة للفكر النِّسوي الغربي
خديجة العزيزي

الجريمة باسم الشّرف
رنا الحسيني

المرأة والأمن الإنساني
مايا مرسي

المرأة والدَّور/ نظرة أردنيّة
عدد من الباحثين والباحثات

تاريخ الحركة النسائيّة الأردنية
1944 – 2008
د. سهير سلطي التَّل

حدائق الأنثى
نزيه أبو نضال

قبل أن تنام الملكة
حزامة حبايب

ليلى خالد - أيقونة التّحرّر الفلسطيني
عبلة عودة

واقع المرأة الأردنية بين الدّين والمجتمع
د. كامل العجلوني

الكتاب: أنثى اللغة / أوراق في الخطاب والجنس
المؤلّف: زليخة أبو ريشة

سنة النّشر: 2009
النّاشر: دار نينوى/ دمشق

تلج الشاعرة والباحثة زليخة أبو ريشة، في هذا الكتاب، حقلاً جديدًا، لم يتم طرقه من قبل إلا بشكل قليل، وهو ما يمكن أن ندعوه بجنوسة اللغة. تلاحظ زليخة من خلال مراجعتها للمفردات والألفاظ التي تدلّ على الأنوثة، أنّ تلك الألفاظ وُضعَت أساساً من قِبَل المجتمع الذكوري، لتكرّس التّخلّف والإحباط والدّونية عند المرأة، وفي الوقت نفسه تكرّس العلو والسّيادة عند الرّجل.

تتطرّق الباحثة للقواميس اللغوية الغربية، لتستنتج أنّ الغرب قد أدخل في نسيجه اللغوي، نوعًا من الانسجام بين كلّ من الأنوثة والذّكورة، الأمر الذي ظلّ غائبًا عن قاموس ومفردات اللغة العربية. وعلى الرغم من التّقدّم الذي أحرزته المرأة العربية في العقود القليلة الماضية، وأدّى إلى تحسين موقعها في الحياة العامّة، إلا أنّ كلّ ذلك التّبدّل لم ينعكس إيجاباً على مستوى اللغة، فظلّت المفردات تشير إلى ذلك الكيان المهمّش الخانع. من جهة أخرى وجدت الكاتبة أنّ ما ساعد على تكريس الظاهرة السابقة، هو وجود تيّارات نسائية محافظة، تتبنّى طروحات المجتمع الذكوري، وترتّب وفْقَها أمور حياتها.

لا تنسى الباحثة أن تشير وهي تراجع التراث العربي، إلى كاتبين عربيين، كرّسا المفهوم الذكوري الاستعلائي، في كتاباتهما تجاه الأنثى، وهما كلّ من عبّاس محمود العقّاد، الذي انطلق فيما كتب من موقع المعادي للمرأة. أمّا الكاتب الآخر فهو أبو حامد الغزالي، الذي أفصح عن موقفه من المرأة من خلال كتابه إحياء علوم الدين.

أخيرًا تقدّم الباحثة نموذجًا للأدب الذي تكتبه بعض النساء، والذي يبدو متورّطا بالحسّ الذكوري، وكأنّ العبارات والأفكار فيه مدبّجة بلسان الذكورة، ولم تخطّها امرأة! أمّا الكتاب فهو رواية ذاكرة الجسد للكاتبة الجزائرية أحلام مستغانمي.

الكتاب: الأسس الفلسفيّة للفكر النِّسوي الغربي
المؤلّف: خديجة العزيزي

سنة النّشر: 2005
النّاشر: بيسان للنّشر والتّوزيع

تُعتَبَر الحركة النسوية العربية المعاصرة، إذا جاز لنا أن نسمّيها بهذا الاسم، حركةً حديثةً نوعا ما. وقد تشكّلت ملامحها في العقود القليلة الماضية، ولا تزال تتشكّل حتى هذه اللحظة. ولا نبالغ إذا قلنا إنّ الأثر الكبير الذي طبع هذه الحركة، كان بفعل الجهود الهائلة التي أنجزتها كلّ من الحركة النسوية الغربية، وحركات تحرّر المرأة في تلك البلدان، سواء على صعيد الكتب الفكرية النسوية التي ظهرت، أو على صعيد المكتسبات التي حصلت عليها المرأة. من هنا نثمّن محاولة الباحثة الأردنية د. خديجة العزيزي، في هذه الدراسة الجديدة التي تقدّمها، والتي تتناول من خلالها، تاريخ الفكر النسوي الغربي، وتيارات هذا الفكر، والأسس التي رفدته، حتى وصل إلى ما وصل إليه من تطوّر وتأثير. تقسّم العزيزي كتابها إلى ستّة فصول، حيث تغطّي من خلالها التحوّلات التي طرأت على الفكر النسوي الغربي، منذ نشأته في أواسط القرن التاسع عشر، مرورًا بولادته الثانية في ستينيّات القرن العشرين، وانتهاءً بإنجاز ما يمكن أن نسمّيه نظريّة نقدية نسوية، تستمدّ مشروعيّتها من أحوال المرأة وخصوصيّة قضاياها المطروحة، وتطرح رؤاها الخاصّة في مواجهة الظلم التاريخي التي تعرّضت له، وتحقيق حريتها المنشودة.

تنتبه الكاتبة إلى التنوّع الكبير، الذي يسم الفكر النسوي الغربي، وإلى طبيعة الاختلافات والتباينات الموجودة فيه على مستوى الأفكار والرؤى والأهداف، ولذلك فقد لجأت إلى تقسيم هذا الفكر حسب المدارس، أو التيّارات العامّة التي تنتمي إليها تلك الدراسات التي قدّمها الباحثون النسويّون والباحثات النسويّات. ومن هذه التيارات: التيّار الليبرالي، والماركسي، والراديكالي، والاشتراكي. وعلى الرغم من هذه التباينات الظاهرة فيها، إلا أنّ الكاتبة ترى أنها تكمّل بعضها بعضًا.

الكتاب: الجريمة باسم الشّرف
المؤلّف: رنا الحسيني

سنة النّشر: 2010
النّاشر: شركة المطبوعات للتّوزيع والنّشر

يُعاني المجتمع الأردني، كما تُعاني المجتمعاتٍ العربية، من تلك الآفة المسمّاة خطأً (بجرائم الشرف)، حيث يتم سنويّا حصد عدد من أرواح النّساء، تحت هذا العنوان. وقد يكون السبب تافهًا في بعض الأحيان، كما تقول الصّحفية الأردنية والناشطة في حقوق الإنسان رنا الحسيني مؤلّفة هذا الكتاب، مثل أن تمضغ الفتاة العلكة، أو تضحك لطرفة معيّنة، أو ترتدي تنّورة قصيرة!! أو أن تتعرّض للاغتصاب، الذي يكون قد تسبب به رجل ما، قام بالاعتداء عليها، وليس هي!!!

من خلال عملها كصحفيّة في جريدة الجوردن تايمز، تخصّصت رنا الحسيني في تغطية جرائم الشّرف، فكانت تذهب إلى موقع حدوث الجريمة، وتتسقّط تفاصيلها، من خلال مقابلات مباشرة تجريها مع المعنيين بها، أو من خلال الاطلاع على تقارير صادرة عن المحكمة التي درست ملابسات الجريمة. كانت تلك التفاصيل تسبب الذّعر، ليس لرنا فقط، وإنّما لمجتمع كامل يتناقل وقائع القتل الرهيبة التي تحدث بحقّ النساء، دون أن يتمكّن من فعل شيء لإيقافها. تتناول رنا هنا المادّة 340 من قانون ما يسمّى بعقوبات جرائم الشرف، والتعديلات الطفيفة التي جرت عليها، بسبب الحملة المنظّمة التي قام بها الناشطون والناشطات في منظّمات المجتمع المدني، من أجل استبدالها بمادّة أخرى تنتصر لحقوق المرأة. أمّا المادة المذكورة فقد بقيت تقدّم للقاتل العذر، خاصّةً حين يمسك بالقتيلة وهي في حالة تلبّس. كل ما حدث أنّ مدّة الحبس لمرتكب الجريمة قد زادت قليلاً.

ثمّة عدد من الحلول تقترحها الحسيني في كتابها هذا، على طريق مجابهة هذه المشكلة المستعصية. من هذه الحلول السعي إلى تبنّي الخطط نحو تعليم المرأة وتمكينها، هذا بالإضافة إلى الأخذ بيد النساء المعنّفات وحمايتهنّ.

الكتاب: المرأة والأمن الإنساني
المؤلّف: مايا مرسي

سنة النّشر: 2011
النّاشر: المجلس الوطني لشؤون الأسرة/ عمّان

لا يمكن للمجتمع أن يتطوّر في ظلّ غياب الأمن الإنساني، والذي هو مهم لقطبي الأسرة، الرجل والمرأة. بالنسبة للرجل فإنّه يتمتّع بمجموعة من الامتيازات داخل الأسرة، الأمر الذي يجعله يتحكّم فيها، ويفرض في أركانها سطوته. أمّا بالنسبة للمرأة فالأمر جدّ مختلف، فهي الكائن الخانع أو التابع للرجل، وهي تقضي جلّ وقتها في خدمته وتنفيذ تعاليمه. وهي حين تحاول التعبير عن رأيها، أو تنتقد تصرّفات الرجل، زوجًا كان أو أخا، فإنها سرعان ما تتلقّى الصّفع والتوبيخ والازدراء. من هنا يبدو وضع المرأة في الأردن كما هو في البلدان العربية الأخرى قلقًا ومُهَدّدًا.

من هذه المنطقة الحرجة التي تسم حياة المرأة، تنطلق الكاتبة مايا موسى، لتتحدّث عن الأمن الإنساني اللازم للمرأة، باعتباره حلاً عمليّاً يقود في نهاية المطاف إلى إعادة الطمأنينة المفقودة للنساء، ممّا سيكون له أكبر الأثر في استقرار المجتمع، وتقدّمه وازدهاره. أمّا هذا الأمن الذي تقترحه الكاتبة، فهو قائم على تلبية الحقوق التاريخية للمرأة، والتي تستند إلى تحقيق مبدأ العدالة، والحرية، والمساواة مع الرّجل، لتتمكّن المرأة من ممارسة حياتها بكفاءة، ولتشارك جنباً إلى جنب مع الرجل في صنع القرار. وبهذا يكون الأمن هو المحصّلة النهائية لعمليتي الحماية والتّمكين.

يتكوّن الأمن الإنساني المقترح من عدد من الأشكال، فهناك الأمن الاقتصادي، والذي يتيح للمرأة مجال العمل والتعليم. هناك أيضًا الأمن الجسدي، حيث يوفّر للمرأة الرعاية الطبية والصحية، ويقضي على شبح العنف الذي يهدّد حياتها. ثمّة الأمن السياسي أيضاً، والذي يمكّن المرأة من ممارسة حقوقها الدستورية. أخيرًا هناك الأمن الاجتماعي والنفسي، الذي يخلق الطمأنينة للمرأة، ويجعلها بعيدة عن التهديد.

الكتاب: المرأة والدَّور/ نظرة أردنيّة
المؤلّف: عدد من الباحثين والباحثات.
مراجعة وإعداد: د. هند أبو الشّعر

سنة النّشر: 2998
النّاشر: منتدى عبد الحميد شومان والمؤسسة العربية للدّراسات والنّشر.

يضمّ هذا الكتاب مجموعة مهمّة من الدراسات، التي تناولت واقع المرأة الأردنية، وما طرأ عليه من تطوّر في السنوات القليلة الماضية. أمّا الدراسات هذه فقد جاءت في ثلاثة أبواب، هي على التّوالي: (المرأة والتّنمية الوطنيّة، المرأة والحكم المحلّي، والمرأة والكتابة).

شارك في تأليف هذا الكتاب عدد من الباحثين والباحثات، منهم: الأستاذ حسني عايش، ود. شكري عزيز الماضي، والمحامية أسمى خضر، ود. أنس السّاكت، ود. إبراهيم خليل، فيما قامت الباحثة د. هند أبو الشعر، بمراجعة الكتاب وكتبت له مقدّمة ضافية استعرضت فيها الدراسات الواردة، وأضاءت من خلالها أيضًا العديد من النقاط التي أوردها الدّارسون. ومن الجدير بالذكر، أنّ د. هند أبو الشعر تعتبر من المبدعات الأردنيّات الرائدات، اللواتي أخذن على عاتقهن الكتابة عن المرأة الأردنية، وعن واقعها وتطلّعاتها.

من النقاط المهمّة التي ركّزت عليها الباحثة أبو الشعر في مقدّمتها العولمة، تلك التي هبّت رياحها بشدّة على الدول والشعوب في العالم، في العقدين الأخيرين. ترى د. هند كما يكتب الأستاذ حسني عايش في الدراسة التي قدّمها، أنّ العولمة ليست ترفًا، ولم تكن فقط مجرّد حوار يدور في صالات النّخب الثقافية، بقدر ما كانت موضوعًا حسّاسًا فتح حياتنا بكاملها على التّغيير، ومن ضمن ما تغيّر بسبب العولمة وضع المرأة، حيث نقلت العولمة قضايا المرأة المخبوءة في الأدراج إلى الندوات والحوار الذي يدور في الهواء الطلق.

غطّت فصول الكتاب عددًا مهمًّا من المواضيع التي تغطّي نشاطات المرأة الأردنية، ومحاولاتها الحثيثة في انتزاع حقوقها، وأخذ موقعها جنباً إلى جنب مع الرجل، على طريق بناء حياة مدينية جديدة.

الكتاب: تاريخ الحركة النسائيّة الأردنية / 1944 – 2008
المؤلّفة: د. سهير سلطي التَّل

سنة النّشر: 2010
الناشر: دار أزمنة للنشر/ عمّان

تطوّر المجتمع الأردني في العصر الحديث، وتمّ خلال العقود القليلة الماضية رصد هذا التّطوّر، في مختلف نواحي الحياة. لكنّ اللافت في كلّ ما رصده الباحثون والمؤرّخون، هو الغياب شبه المدوّي لإنجازات المرأة الأردنية، مثل هذا النقص الفادح في المدوّنة التاريخية الأردنية، هو ما دفع الباحثة د. سهير التّلّ، إلى المبادرة بكتابة هذه الدراسة الشاملة، التي تتناول من خلالها تاريخ المرأة الأردنية في العصر الحديث.

تنطلق د. سهير التلّ في كتابها الجديد من معاينة الواقع التاريخي الذي تعيشه المرأة الأردنية، وذلك على المستويين المحلّي والعالمي، وبذلك فهي تدرس تطوّر وضع المرأة الأردنية في سياق تطوّر وضع المرأة في العالم. وثمة عام مفصلي هنا كان له الأثر الكبير في الدفع بالمرأة وقضاياها إلى الواجهة، ونقصد به العام 1975، وهو العام الدولي للمرأة.

يضم هذا الكتاب ستة فصول، تشكّل بمجموعها المشهد العام لتطوّر وضع المرأة الأردنية، منذ البدايات الأولى التي غابت فيها المرأة عن الحضور، بسبب الأحوال السائدة (فترة الاستعمار والأمية والإلحاق بالرجل)، حتى العام 2008، حيث شهد هذا العام قفزات نوعية تمثّلت بالاعتراف بالمرأة ومعاناتها. في الفصل الأوّل تتحدث الباحثة عن تلك المرحلة الجنينية الأولى التي انطلقت منها المرأة الأردنية للعمل. الفصل الثاني، وترصد فيه المؤلّفة العوامل التي ساعدت على نشوء وتطوّر الحركة النسائية الأردنية. الفصل الثالث، تتناول فيه الباحثة الآليات الوطنية الداعمة لعمل المرأة. الفصل الرابع، وفيه يتم سرد الوقائع التاريخية الخاصة بالحركة النسائية الأردنية. الفصلان الخامس والسادس، وفيهما تغطّي الكاتبة الوقائع والتطوّرات التي طرأت على واقع المرأة منذ العام 1975، وحى العام 2008.

الكتاب: حدائق الأنثى
المؤلّف: نزيه أبو نضال

سنة النّشر: 2009
النّاشر: دار أزمنة للنشر/ عمّان

يرى الناقد والدارس نزيه أبو نضال، أنّ معركة تحرير المرأة، هي جزء من المعركة الشّاملة التي تخوضها الأمّة العربية في مختلف الميادين. من هنا جاءت حماسة الناقد الكبيرة في الدفاع عن قضايا المرأة، والكتابة عنها في أكثر من كتاب، ومن هذه الكتب مؤلَّفه (تمرّد الأنثى) الذي أصدره في العام 2004، والذي يتناول من خلاله نماذج متميّزة من الرواية النسوية العربية. في هذا الكتاب يدرس أبو نضال، نصوص عدد كبير من الكاتبات الأردنيّات، ومنهنّ: سميحة خريس، سهير التلّ، سلوى العمد، زليخة أبو ريشة، مجد القصص، سحر خليفة، ليلى الأطرش، سلوى البنّا، هيلدا الحياري، فيروز التميمي، سحر ملص، زهرة عمر، فاديا الفقير، رفقة دودين، كفى الزعبي، فكتوريا عميش، حزامة حبايب، سامية العطعوط، وغيرهن. وكما نلاحظ فقد تنوّعت الحقول التي درسها بين الشعر والرواية والقصة القصيرة والنّصّ والسيرة والدراما التلفزيونية والمسرح.

يفرّق أبو نضال في دراسته بين الكتابة النسوية، والكتابة الأخرى التي تكتبها بعض النساء، والتي لا يمكن إدرجها تحت بند الكتابة النسوية. وفي هذا المجال يرى أنّ ما يسم الكتابة بالنسوية، هو ذلك الجنوح الجندري باتجاه قضايا المرأة، وطرحها بكل ما تشكّله من مفارقة واختلاف.

في حديثه عن الجانب الروائي النسوي، يوضّح أبو نضال أنّ ثمّة زمنًا طويلاً مَرّ بين الراوية الأولى شهر زاد، وبطلات الروايات المعاصرات. ففي الوقت الذي كانت فيه شهرزاد تروي الحكايات خوفًا وهلعًا من سيف شهريار، أصبحت البطلات الجديدات أكثر قوّةً وشجاعة في حديثهنّ عن قضايا المرأة واضطهادها وحقوقها التاريخية، حتى غدت الروايات النسوية المكتوبة في العصر الحديث، شبيهة بالمرافعات القانونية التي تطالب بحقوق المرأة.

الكتاب: قبل أن تنام الملكة
المؤلّفة: حزامة حبايب

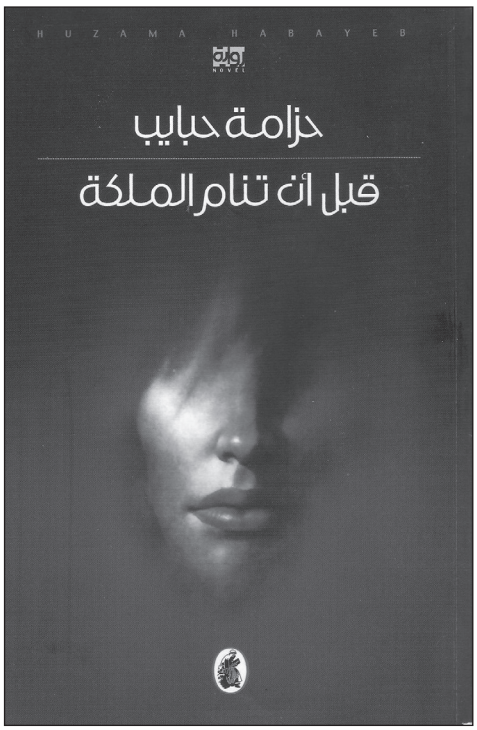

سنة النّشر: 2011
النّاشر: المؤسسة العربية للدّراسات والنّشر/ بيروت

في روايتها الجديدة، تسرد الروائيّة المتميّزة حزامة حبايب، فصلاً جديدًا في رواية التّيه والألم والحب والغربة، التي لا تزال تعيشها المرأة الفلسطينيّة، كما يعيشها المجتمع الفلسطيني الذي فقد وطنه إثر سلسلة من الحروب والمجازر. تقع أحداث الرواية التي بين أيدينا في كلّ من الكويت والأردن، ثمّ تاليًا في بريطانيا حيث ترتحل الابنة. لا تختلف المنافي كثيرًا عن بعضها. هذا ما تكتشفه بطلة الرواية الأمّ حين تقارن بين حياتها في المخيّمات وحياتها في الكويت، حيث ترى أنّ حياتها في حيّ (النّقرة) في الكويت ليس إلا تنويعاً جديداً على الحياة التي كانت خبرتها في مخيمات اللجوء في الأردن.

تستعرض الروائية حبايب في روايتها، محولات البطلة الأم الدائبة للتّماسك في ظلّ واقع رمادي متشظٍّ، ففي كل بيت جديد تقيم فيه تحاول أن تؤثّثه قدر ما تستطيع بالمحبة والذكريات الجميلة، ولكنّ المحزن في الأمر أنّ كلّ ما تبنيه بعرقها وعواطفها وشقائها لا يلبث أن يتبدّد. وكأنّ حزامة بهذه التوصيفات تحاول أن تقول لنا، إنّ المرأة الفلسطينية التي فقدت وطنها، لا تزال تُحارَب في حياتها أيضًا، بحيث باتت هذه الحياة برمّتها ترزح تحت طائلة سلسلة من الفقد المتواصل. يعزّز هذه القناعة النتيجة الصّادمة التي تؤول إليها علاقة البطلة بالرجال الثلاثة الذين أثّروا في حياتها: الرجل الأب، والرجل العاشق، والرجل الزوج، فجميع هؤلاء الرجال خانوها كلّ على طريقته، وتركوا ندوبًا غائرة في جدار روحها.

الصّدمة الأخيرة التي تطيح بكيان البطلة، تأتي من طرف الابنة، التي تقرّر أن تشبّ عن الطوق وتسافر، تاركةً الأم تتخبّط في منفاها الروحي، وعذابات التي تتعمّق.

الكتاب: ليلى خالد - أيقونة التّحرّر الفلسطيني
المؤلّف: سارة إرفنغ
ترجمة: عبلة عودة

سنة النّشر: 2013
الناشر: المؤسسة العربية للدّراسات والنّشر

أواخر الستينيات، مثّلت ليلى خالد رمزًا طليعيًا للمرأة الفلسطينية الجديدة، وذلك حين ذاع خبر اختطافها لطائرة (TWA 840)، من أجل أن يفرج العدو الصهيوني، عن أعداد من الأسرى الفلسطينيين المعتَقَلين في السجون الإسرائيلية. لم يكن هذا الرّمز يسعى فقط إلى تحرير الوطن المغتَصَب، بل كان يسعى أيضًا، إلى إحداث تغيير جوهري في حياة المرأة الفلسطينية والعربية، من خلال تحرّرها الاجتماعي، وتحطيم القيود التاريخية التي تكبّلها.

من هذه النّقطة المهمّة التي تتصل بعمليّة التّغيير، تقدّم لنا الباحثة البريطانية سارة إرفنج، المناضلة ليلى خالد، التي انخرطت من خلال عملها الثوري في صلب الخطاب النّسوي الجديد. كان ذلك الخطاب قد شهد في الستينيّات من القرن الماضي، انطلاقة حاسمة باتّجاه تحرر المرأة. وفي هذه الفترة، شهدت الكثير من دول العالم خصوصًا في أوروبا وأمريكا، حراكاً نسويّاً متميّزاً، تمخّض عن إحداث نقلة نوعيّة في حياة المرأة، على مستوى القوانين والتّشريعات.

تتتبّع سارة إرفنج في هذا الكتاب، حياة المناضلة ليلى خالد، منذ أن ولدت في حيفا في العام 1944، وهُجِّرَت في العام 1948 إلى مدينة صور في لبنان، إلى حياتها في المخيّم الفلسطيني، ونشاطها المبكّر في حركة القوميين العرب، إلى حياتها في بيروت، ثمّ رحيلها إلى الكويت فعمّان، ولندن، وموسكو، ودمشق، واستقرارها أخيرًا في عمّان. وفي هذه السيرة العاصفة بالأحداث، تتوقّف الكاتبة عند بعض التفاصيل المهمّة في حياة هذه المناضلة الاستثنائية. ومن ذلك ما حدث معها عند اختطافها لإحدى الطائرات مجددا في العام 1970، حيث استشهد رفيقها النيكاراغوي في العملية، وتمّ إلقاء القبض عليها في مطار لندن، وإطلاق سراحها لاحقًا لتعود إلى ساحة النضال.

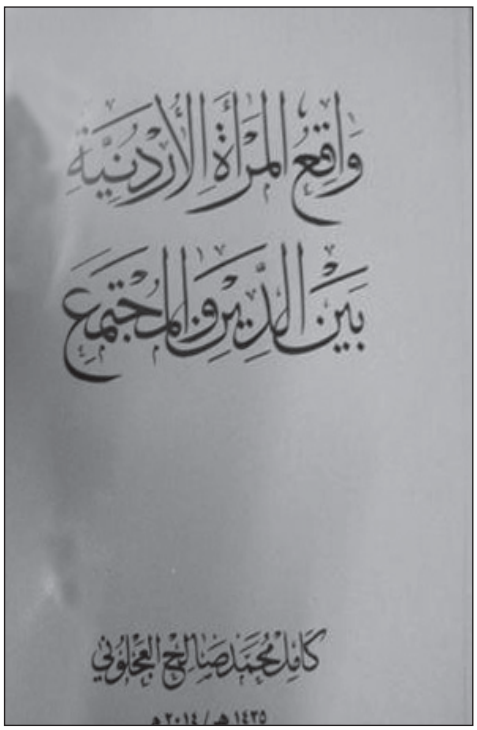

الكتاب: واقع المرأة الأردنية بين الدّين والمجتمع.
المؤلّف: د. كامل العجلوني

سنة النّشر: 2014
النّاشر: الجامعة الأردنيّة/ عمّان

فاجأ د. كامل العجلوني، وهو طبيب ووزير معروف الأوساط الثقافية والنسائية في الأردن، بنشر مؤلَّفه الجديد (واقع المرأة الأردنية بين الدّيَن والمجتمع). يتناول د. العجلوني في هذا الكتاب وضع المرأة في الأردن، بناء على مقارنة يجريها بين رأي الدين، ومجمل النصوص الشرعية التي تحدّثت عن المرأة، من جهة، والواقع المعاصر الذي تعيشه هذه المرأة، والذي تتحكّم فيه ضوابط وأعراف من اختراع المجتمع.

اعتمد د. العجلوني في كتابه على دراسة بحثية شاملة، كانت وزارة الصحة الأردنية قد أجرتها في عدد كبير من أقسامها ومشتشفياتها، بعد تداول هيكليتها في المركز الوطني للسكري التابع للجامعة الأردنية، حيث جرى عمل استبيان خاص شاركت فيه المريضات اللواتي يتردّدن على المركز، بالإضافة إلى الطبيبات العاملات في المركز أيضًا. أمّا الاستبيان فقد تناول ثلاثةً وعشرين بندًا دارت في مجموعها حول علاقة المرأة بالرجل، خاصّةً ما يتعلّق بالنشاط الجنسي بين الجانبين.

احتوى الكتاب على عدد كبير من الآيات القرآنية والأفكار الدينية، التي تؤكّد على حقوق المرأة وحريّتها ومساواتها بالرجل، ومنها الآية القرآنية المعروفة في سورة البقرة: (ولهنّ مثل الذي عليهنّ بالمعروف، وللرجال عليهنّ درجة)، تلك الآية التي تدعو إلى احترام المرأة من خلال الحديث عن حقوقها وواجباتها. حين ينتقل د. العجلوني ليعاين واقع المرأة اليوم يجد أنها لا تزال ترزح تحت سوط التقاليد والأعراف البائدة، في مخالفة صريحة للنصوص القرآنية.

ممّا يؤخذ على الكتاب، هو استعانة الكاتب بعدد من الفقرات المجتزأة من مؤلّفات ومواقع إلكترونية معروفة، دون أن يشير إليها، ولو فعل ذلك لكان سدّ ثغرةً في جدار هذه الدراسة الجميلة والهادفة.

قسيمة اشتراك

أرجو تسجيل / تجديد اشتراكي بـ ..... نسخة ابتداء من العدد رقم ..... ولمدة ..... عام

☐ مرفق شيك بقيمة ..... صادر لأمر اتحاد المرأة الأردنية

☐ تم تحويل مبلغ ..... إلى حساب اتحاد المرأة الأردنية

لدى البنك الأهلي الأردني - فرع جبل الحسين - حساب رقم 412549 - 14 رمز البنك JONB JOA

الإسم: .....

العنوان: .....

.....

.....

الإشتراك السنوي

داخل الأردن

للأفراد: **خمسة عشر ديناراً** للهيئات والمؤسسات: **ثلاثون ديناراً**

خارج الأردن:

للأفراد: **خمسة وعشرون دولاراً** للهيئات والمؤسسات: **خمسون دولاراً**

يرسل طلب الاشتراك إلى عنوان المجلة مع حوالة مصرفية أو شيك بقيمة الاشتراك بإسم مجلة الروزنة.

اتحاد المرأة الأردنية

شارع صفد، خلف مدرسة سكينة الثانوية للبنات، جبل الحسين

ص.ب: 961188، عمان 11196

المملكة الأردنية الهاشمية

هاتف: 009626 5689522 / 009626 5687037 / 009626 5687238

فاكس: 009626 5687061 / الشؤون المالية: 009626 5674285

البريد الإلكتروني:

rozanah__jwu@yahoo.com

Arabic Feminist Cultural Review
Issued by Jordanian Women's Union

Subscription Form

Please Confirm / Renew My / Our Subscription

..... Copy From Issue ..... Until ..... Year

Included Chick of .....

Transmission of .....

Jordanian Women's Union
Account No 14-412549
Jordan Ahli Bank – Jabal Al – Hussain Branch
Bank Code JONB JOA

Name: .....

Address: .....

.....

Annual Subscription

Including Air Mail

Inside Jordan
Individuals 15 J.Ds. Institutions 30 J.Ds.
Other Countries
Individuals 25$. Institutions 50$

Jordanian Women's Union
Safad St, Near Sukaina Secondary School, Jabal Al Hussain
P.O.Box: 961188 Amman 11196 Jordan
Tel: (00962)6 5689522 – 5687037 – 5687038 – 5674285
Fax: (00962) 6 5687061
E-mail: rozanah_jwu@yahoo.com
Website: www.jordanianwomenunion.org